التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧ هـ

يُطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبّوش

المجلد الحادي عشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(١١)

حُقوق الطّبع محفوظَة

الطبعَة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

سُورَةُ المُؤمِنُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلق الإنسان من سلالةٍ من طين، الرحمنِ الذي يرزق البرَّ والفاجر وهو خير الرازقين، الرحيمِ الذي يغفر ويرحم وهو خير الراحمين.

ورَوى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكةُ بالرَّوح والريحان وما تَقَرُّ عينُه عند نزول ملَك الموت»[1].

وهذه السورة مكيةٌ، وهي مئة وثماني عشرةَ آيةً، وقيل: تسعٌ، الاختلاف في قوله: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥].

وكلماتها ألفٌ وثماني مئة وأربعون[2]، وحروفُها أربعةُ آلاف وثلاثُ مئة وسبعةٌ وتسعون[3].

وانتظام أول هذه السورة بآخر سورة الحج: أنه قال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] وقرَّر ذلك ببقيَّة السورة حيث أمَر بالمجاهَدة

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٧)، وإسناده واه كما في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٣٢٢). وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في جميع النسخ: «ألف وثمانية وأربعون»، والمثبت من «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٣٧).

(٣) في المصدرين السابقين: «أربعة آلاف وثماني مئة وحرفان».

فيها حقَّ المجاهدة[١]، ومدحهم، وافتتح هذه السورة بذكر ذلك الفلاحِ وتفاصيلِ العبادة ومدحهم بها.

وانتظامُ السورتين: أن هذه السورة مشتمِلة على ذكر صفات المؤمنين، ومُحاجَّةِ الكافرين، والترغيبِ والترهيب للغافلين[٢]، وكذلك تلك السورة.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قد فاز بما رجا وأمن مما خاف المؤمنون[٣].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: قيل: متذلِّلون، وقيل: خائفون، وقيل: ساكنون.

وقيل: الخشوع في الصلاة: سكونُ الأطراف، وتركُ الالتفات، والاشتغال بها عما يَشغل عنها.

ورُوي: أن النبي ﷺ رأى رجلاً يَعبثُ بلحيته في الصلاة، فقال: «أمَا إن هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[٤].

---

(١) «حق المجاهدة» من (ف).

(٢) في (أ): «للعالمين».

(٣) في (أ): «مما يخاف المؤمنون». وذكره عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥) بلفظ: المفلحون الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا.

(٤) ضعيف مرفوعاً، وقد تقدم تخريجه مفصلًا في أوائل سورة البقرة عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾.

قال أبو العالية: بلغني أن الله تعالى لمَّا خلق الجنة أذِن لها في الكلام، فكان أولَ ما نطقت به أن قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الآيات، فأنزل الله تعالى بها[١] قرآناً[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي سُمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل، فمكثنا ساعةً، فاستقبل القبلةَ ورفع يديه وقال: «اللهمَّ زِدْنا ولا تَنْقُصنا، وأكرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تَحْرِمنا، وآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ علينا، وأَرْضِنا وارْضَ عنا» ثم قال: «قد نزلت عليَّ عشر آياتٍ مَن أقامهنَّ دخل الجنة»، ثم قرأ علينا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ﴾[٣].

وعن ابن سيرين قال: كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع رأسه إلى السماء، حتى نزلت هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فخفض رسول الله ﷺ بصره، ونظر إلى موضع سجوده[٤].

---

(١) في (ف): «فأنزلها الله» بدل من «فأنزل الله تعالى بها».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦)، بلفظ: لما خلق الله الجنة قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فأنزل به قرآناً.

(٣) رواه الترمذي (٣١٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٤٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦١).
قال النسائي: هذا حديث منكر، لا نعلم أحداً رواه غير يونس بن سُليم، ويونس بن سُليم لا نعرفه.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا (يعني يونس بن سليم) فقال: أظنه لا شيء.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٣) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد، فقد قيل عنه مرسلاً. وقال الذهبي: الصحيح مرسل.
والمرسل رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٦١)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٣) وقال: هذا هو المحفوظ مرسل.

وقال مجاهد: الخشوع: خشية القلب، وغضُّ البصر، وخفضُ الجَناح، وكان الرجل من العلماء إذا صلى هاب الرحمنَ أن يمدَّ[١] بصره إلى شيء أو يحدِّثَ نفسه بشيء من شأن الدنيا[٢].

وقال القشيري رحمه الله: الخشوع في الصلاة: إطراق السرِّ على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة، والذوب تحت سلطان الكشف، والانمحاء عند غلَبات التجلِّي.

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾؛ أي: قد أدرك ثمراتِ القُرْب وفاز بكمال الأُنس مَن وقف على بساط النجوى بنعت الهيبة ومراعاةِ آداب الحضرة، ولا يكمل الأنس بلقاء الحبيب إلا عند فَقْدِ الرقيب، وأشدُّ الرقباء وأكثرهم تنغيصاً للقُرْب النفسُ، ولا راحة للمصلِّي مع حضور[٣] نفسه، فإذا حبَس عنه نفسَه، وشاهدَه عدمُ إحساسِه بآفةِ نفسه، طاب له العيش، وتمت له النُّعمى، وتعجَّلت له البشرى[٤].

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الحَلِف الكاذب[٥].

---

(١) في (أ) و(ف): «يشد».

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٨٢).

(٣) في (ف): «حظوظ».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٢٢).

وقال مقاتل: هو الشتم والأذى[١].

وقال الحسن والضحاك: هو الباطل[٢].

وقيل: هو ما لا يُجدي خيراً.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: أي: لا يشغلون أنفسهم به.

وقيل: جملة الفضول وما لا يَحسن من القول والفعل.

وقال القشيري رحمه الله: ما شغل عن الله فهو سَهْو، وما ليس لله فهو حَشْو، وما ليس بمسموع من[٣] الله أو بمقولٍ مع الله[٤] فهو لَغْو، وما فيه حظٌّ للعبد فهو لَهْو[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾: أي: مؤدُّون.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: قال الفرَّاء: أي: إلا من أزواجهم[٦]؛ أي: زوجاتهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٥٢).

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٣) عن الحسن والسدي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى عن الحسن قوله: (عن المعاصي)، وكذا ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٢٢).

(٣) في (أ): «عن».

(٤) في (ر): «أو مقول مع الله»، وسقطت من (ف)، وفي «اللطائف»: (أو بمعقول مع الله).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٧).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣١).

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: أي: إماؤهم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: أي: لا لومَ عليهم إن لم يحفظوا فروجهم من[1] نسائهم وإمائهم، فهذا حلالٌ وما وراء هذا حرام.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: أي: طلب قضاء شهوةٍ من غير هاتين ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: أي: المتعدُّون حدودَ الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾: قرأ ابن كثير: ﴿لأمانَتِهم﴾[2] والمراد بها الجنس، وهذا يشتمِل على حقوق الله تعالى وحقوقِ عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢].

وقيل: هي العبادات وما ائتمن[3] الله عباده عليه من فرائضه وشرائعه، وأماناتُ الخلق ظاهرةٌ وهي داخلةٌ فيها، فالعهدُ يقع على ما يوثِّق الله تعالى فيه على عباده بأن يقوموا به، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩١] ويقع على النذور والأيمان أيضاً، وعلى عهود الخلق فيما بينهم.

وقوله تعالى: ﴿رَٰعُونَ﴾؛ أي: حافظون جميع ذلك.

وقال القشيري رحمه الله: الأمانات مختلفة: فأمانة قومٍ الوظائفُ بظواهرهم،

---

(١) في (أ) و(ف): «عن».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٣) في (ف): «يئتمن».

وأمانةُ آخرين اللطائف(١) في سرائرهم، وأمانةُ قوم معاملاتُهم، ولآخرين(٢) منازَلاتهم، ولآخَرين مواصلاتهم، وكذلك عهودهم متفاوتةٌ: فمنهم مَن عاهَده أن لا يعبد سواه، ومنهم مَن عاهده على أن لا يَقصد سواه، ومنهم مَن عاهده على أن لا يَشهد في الكونين سواه(٣).

***

(٩ ـ ١١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿على صلاتهم﴾ والباقون: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾(٤).

﴿يُحَافِظُونَ﴾: أي: يداومون في أوقاتها على شرائطها ومراعاةِ حدودها وحقوقها ومعانيها.

وقال القشيري رحمه الله: لا تصادفُهم أوقاتها وهم(٥) غيرُ مستعدين لها، ولا يدعوهم المنادي إليها(٦) وليسوا بالباب، فهم في الصف الأول بظواهرهم، وكذلك في الصف الأول بسرائرهم(٧).

---

(١) في (ف): «الوظائف».
(٢) في (ر): «معاملتهم وآخرين».
(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٨).
(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).
(٥) «وهم» من (أ).
(٦) في (ر): «لها». ولم ترد في مطبوع «اللطائف».
(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٨).

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: أي: الواجدون ثمراتِ أعمالهم.

والفردوس: الجنة بلسان الحَبَش.

وقال السدي: هو البساتين عليها[١] الحيطانُ بلسان الروم[٢].

وقال مجاهد: فردوس جبل في الجنة من أصله تتفجَّر أنهارها[٣].

وروى سمرة بن جندب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفردوس ربوةُ الجنة العليا، وهي أوسطها وأحسنها»[٤].

وقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يموتون فيها ولا يخرجون عنها.

وقال القشيري رحمه الله: الإرثُ على حسب النسب[٥]، والنسبُ في استحقاق وعد الجنة بالإيمان في الأصل، ثم الطاعاتِ في الفضل، واستحقاقُ الإرث على تفاوتٍ في السُّهمان وبالفرض والتعصيب، كذلك في الطاعات فمنهم ومنهم[٦].

ثم إن الله تعالى وعد الفلاحَ بالإيمان والطاعات في أول السورة، ونفى الفلاحَ

---

(١) في (ف): «البستان عليه» بدل من «البساتين عليها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٠). ورواه الطبري (١٧/ ١٦) عن مجاهد قال: الفردوس بستان بالرومية. وروى ابن أبي حاتِم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٨) عن السّديّ قال: الفردوس هو الكَرم بالنبطية، وأصله: فرداسا.

(٣) رواه بنحوه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والترمذي (٢٥٣٠)، وابن ماجه (٤٣٣١)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٥ و٤٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٨٥) و(٦٨٨٦).

(٥) في (أ) و(ر): «السبب». والمثبت من (ف) و«اللطائف».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٩).

بالكفر في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ولولاه لوقع عند العصاة أن الفلاح إذا كان بالإيمان مع الطاعات وفاتت الطاعات فات الفلاح، فسكَّن قلوبهم وذكر أن عدم الفلاح بالكفر لا بالمعاصي.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: بيَّن في هذه الآية ابتداءَ[1] خلقِ الإنسان، وذكر أن آخرَه الموت ثم البعثُ للجزاء، وهو تحريكٌ على الإيمان والطاعات التي بها ينالون الفردوس.

يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾[2] الآدميَّ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: أي: من طينةٍ مستلَّةٍ من كلِّ تربةٍ؛ لأن آدم عليه السلام خُلق منها فكان أصلاً لأولاده، فجاز أن يضاف خلقُهم إليها إذا كان أصلهم مخلوقاً منها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾: أي: الإنسانَ، وهو ولدُ آدم بعد أن كان أصله الطين ﴿نُطْفَةً﴾ في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، فقذفه من الصُّلب حالة الالتقاء إلى رحم المرأة.

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: هو[3] الرَّحِم؛ أي: في مقرٍّ مكينٍ لذلك؛ أي: هُيِّئ له.

وقيل: معناه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾ الآدميَّ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾؛ أي: من نطفةٍ مسلولةٍ ﴿مِّن

---

(١) «ابتداء» ليست في (ف).

(٢) «الإنسان» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «هو التقاء».

طِينٍ﴾؛ أي: مخلوقةٍ من طينٍ وهو آدم؛ لأن النطفة سلَّت منه، والسُّلالة تقع على النطفة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨]، وتقديره: ولقد خلقنا الإنسان من سلالةِ آدم؛ قال الشاعر[١]:

هــلِ ابنُــكَ إلا مِــن ســلالةِ آدمٍ   لــكلٍّ علــى حــوضِ المنيَّــة مَــورِدُ[٢]

وقيل[٣]: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾؛ أي: آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾؛ أي: من طينٍ إذا قُبِض عليه انسلَّ من بين الأصابع.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ ﴾؛ أي: جعلنا ولده ﴿نُطْفَةً﴾، فأَضمَر واختصَر هاهنا وبسَطه في موضع آخر فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧ـ٨].

والنطفة: المنيُّ، والنطفة: الماء القليل، ونَطَفَت القِربة[٤]؛ أي: قَطَرت.

* * *

(١٤) ـ ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾: أي: نقلنا النطفةَ فجعلناها علقةً؛ أي: دماً غليظاً.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾: أي: نقلنا العلقة فجعلناها قطعةَ لحم.

---

(١) في (أ): «شعر» بدل: «قال الشاعر».

(٢) أنشده رجل لعمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك. انظر: «عيون الأخبار» (٣/ ٦٢)، و«التعازي والمراثي» للمبرد (ص: ٧٨)، و«ربيع الأبرار» (٥/ ١٤٣).

(٣) «وقيل:» ليس من (ف).

(٤) بعدها في (ف): «مرطاً».

قوله ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابنُ عامر: ﴿عظماً﴾ ﴿**فكسونا العظم لحماً**﴾ على الواحد موافقةً لِمَا قبلها[1]، وقرأ الباقون: ﴿عِظَٰمًا﴾ ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ كذلك[2]؛ لأن الوجود كذلك.

أخبر أنه تعالى خلق الإنسان درجةً فدرجةً، إلى أن صارت النطفة التي هي كالماء عظماً بما أَبْدع فيها عَرَضاً بعد عَرَضٍ.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: أي: نفَخْنا فيه الروح فصار روحانياً حيواناً[3] بعد أن كان جماداً.

وقيل: هو نبات الشعر.

وقيل: هو تصريفُه إياه بعد الولادة في الطفولية وما بعدها.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ هو استواءُ الشباب[4].

وقيل: هو جعله[5] ذكراً أو أنثى.

وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: قيل: تَعَظَّم. وقيل: دامت نعمُه وبركاته على خلقه. وقيل: **تعالى**.

وقيل: هو دوام بقائه؛ أي: المصوَّرون والمقدَّرون ليسوا بهذه الصفة، ولذلك قال بعده:

---

(١) في (ف): «لما تقدمه».

(٢) «كذلك» زيادة من (أ). وانظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٣) في (ف): «بروحنا حيواناً»، وفي (ر): «روحانياً نباتاً حيوانياً».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٢)، والواحدي في «تفسيره» (١٥/ ٥٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤) عن مجاهد.

(٥) في (ر) و(ف): «خلقه».

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾: أي: والبقاءُ للخالق دونكم.

وقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾؛ أي: أحسن المقدِّرين؛ قال زهير:

ولأنــتَ تَفْـرِي مــا خَلَقْــتَ وبعـــ ـــعضُ القـومِ يخلـقُ ثم لا يفـري[1]

وقال تعالى: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]؛ أي: خلَقه محكَماً يصلح لِمَا أُريد له.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾: أي: بعد نفخ الروح فيكم ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾؛ أي: للجزاء بالأعمال؛ إذ خلقتكم[2] للتعبُّد فاعلموا أنكم لم تُخلقوا عبثاً؛ كما قال في آخر السورة: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عبد الله بن سعدِ بنِ أبي سرحٍ أخاً لعثمان من الرضاعة، وكان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أَملى عليه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ كتب ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وإذا أملى عليه ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ كتب ﴿رؤوفاً رحيماً﴾، فكان رسول الله ﷺ يملي عليه هذه الآية، فلما بلغ قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ خطر بباله: فتبارك الله أحسنُ الخالقين، فلما قال رسول الله ﷺ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ قال عبد الله: إن كنتَ نبياً يوحَى إليك فأنا نبيٌّ يوحى إليَّ، فارتد ـ والعياذ بالله[3] ـ ولحق بمكة كافراً[4].

---

(١) انظر: «ديوان زهير» (ص: ٩٤).

(٢) في (أ): «خلقتم».

(٣) «والعياذ بالله» زيادة من (أ).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٧٠)، والماوردي في =

= «النكت والعيون» (٢/ ١٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ١٦٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٨٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٥).

وهذه القصة قد وردت في أكثر التفاسير، وهي باللفظ الذي ذكره المؤلف مردودة سنداً ومتناً، أما السند فقد صرح بعض من ذكرنا أنها من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وآخرون أنها من رواية الكلبي عن ابن عباس، فتكون من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، فالخبر ساقط لا يحتج به.

وله طريق آخر رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٦) من طريق أسباط عن السدي، وهذا أيضاً ضعيف لإرساله، وأسباط هو ابن نصر قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق كثير الخطأ يغرب.

وأما متناً ففيه نكارة عظيمة في قوله: فإذا أملى عليه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كتب ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وإذا أملى عليه ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ كتب ﴿رؤوفاً رحيماً﴾، بل زاد بعضهم: (فيقول له النبي ﷺ: هما سَوَاء)، فكيف يعقل أن يترك النبي ﷺ ما أنزل الله عليه ويعدل إلى كلام ابن أبي سرح فيثبته بدلاً عن كلام الله؟! وهل من بهتان أعظم من هذا البهتان، أم هل من سبيل لأعداء المسلمين في طعنهم على هذا الدين والتشكيك به أحسن من هذا السبيل؟! وأعجب من ذلك كيف يورد أئمة كبار كالطبري وابن أبي حاتم والماوردي والبغوي وابن الجوزي هذه القصة ويسكتوا عليها.

لكن وردت هذه القصة بسياق آخر ليس فيه ما تقدم من النكارة، فقد ذكرها أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٦٦)، بألفاظ متقاربة، وفيها: أن ابن أبي سرح كان يكتب هذه الآيات للنبي ﷺ، فلما انتهى إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، عجب من ذلك فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فقال النبيّ ﷺ: «اكتب هكذا أُنْزِلَتْ» فشك عند ذلك... إلخ.

فهذا ليس فيه ذلك المحذور الذي قدمناه، ومع قد ذلك فقد رده بعض العلماء، فقال أبو الليث عقبه: وقد قيل: إن الحكاية غير صحيحة، لأن ارتداد عبد الله بن أبي سرح كان بالمدينة، وهذه الآية مكية. وكذا قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: وهذه الرِّواية غيرُ صحيحة؛ لأنَّ السُّورةَ مكيَّةٌ، وارتداده كان بالمدينة على ما اعترف به الرَّاوي. =

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ عرَّفهم أصلهم كي لا يُعجبوا بفعلهم.

وقيل: عرَّفهم نسبتهم[١] لئلا[٢] يخرجوا عن حدِّهم، ولا يغلطوا في أنفسهم.

وقيل: بسط عذرهم عند الكافة، فإن المخلوق من سلالة ماذا ينتظر منه؟

وقيل: خلقه من طين لكنَّ القَدْر للتربية لا للتُّربة.

وقيل: ﴿سُلَٰلَةٍ﴾ ولكنها معدن العرفان وموضع المحبَّة ومتعلَّق العناية، وكذلك قال[٣]: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾؛ أي: قطرةً أجزاؤها متماثلة، وأبعاضُها متشاكلة، ثم جعل بعضَها لحماً، وبعضَها عظاماً، وبعضها شعراً، وبعضها ظفراً، وبعضها عصَباً،

= وقد نقل الآلوسي رحمه الله التوفيق بين كون السورة مكية والقصة وقعت في المدينة فقال في «روح المعاني» (١٨/ ٣٨): وطعن بعضهم في صحة هذه الرواية بأن السورة مكية وارتداده بالمدينة كما تقتضيه الرواية، وأجيب: بأنه يمكن الجمع بأن تكون الآية نازلة بمكة واستكتبها ﷺ إياه بالمدينة فكان ما كان، أو يلتزم كون الآية مدنية لهذا الخبر، وقوله: إن السورة مكية، باعتبار الأكثر.

قلت: وأصل القصة رواه أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٤٠٦٩)، ولفظه: (عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ).

فهذا القدر من القصة ليس فيه إشكال، وقد قال الطبري (٩/ ٤٠٧): ولا تمانُع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين.

(١) في (ف): «تسميتهم». وفي «اللطائف»: (نسبهم).

(٢) في (أ): «كيلا».

(٣) في (أ) و(ر): «ومن قال». وعبارة «اللطائف»: (ويقال: خلقهم من سلالة، ولكنّ معدن المعرفة، ومرتع المحبة، ومتعلق العناية منه لهم، قال تعالى).

وبعضها جلداً، وبعضها مخًّا، وبعضها عِرْقاً، ثم خصَّ كلَّ عضوٍ بهيئةٍ مخصوصة، وكلَّ جزء بكيفيةٍ معلومةٍ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يحتمِل: مِن سمعٍ وبصرٍ، وفكرٍ وغضبٍ، وإرادةٍ وقدرةٍ، وعلمٍ وكتابة، وحَذاقة وملاحة، وشجاعة وجُبن، وحِقد وحَرَد، إلى غير ذلك من الأوصاف التي يتقاصر عنها الحصر.

وقيل: هو أن هيَّأهم لأحوالٍ عزيزةٍ يُظهرها عليهم بعد بلوغهم إذا استووا وحصَل لهم كمال التمييز من فنون الأحوال، فلقومٍ تخليص من رِبْقة العبودية[1]، ولقومٍ تحرُّرٌ من رقِّ البشرية، ولآخرين تحقُّقٌ بالصفات الصَّمدية.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: خلق السماوات والأرضين والعرشَ والكرسيَّ، مع سائر المخلوقات من الجنة بزينتها ومن النار بأهوالها، وأخبر عنها ولم يعقِّبها بهذا التمدُّح الذي ذكر بعد ذكر[2] خلقه بني آدم؛ تخصيصاً لهم.

وقيل: لما ذكَر نعتكَ وتاراتِ حالك، ولم يكن لك لسانُ شكر ينطق[3]، ولا بيان مدح ينطلِق[4]، ناب عنك بالثناء على نفسه، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾:

آخِرُ الأمرِ ما تَرَى ... اللحدُ والقبرُ والثرى

---

(١) في (أ): «فلقوم ربقة العبودية» وليست في (ر) و(ف)، وفي مطبوع «اللطائف»: (فلقوم تخصيص بزينة العبودية)، ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) «ذكر» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «منطلق».

(٤) في (ر) و(ف): «ينطق».

كسَر على أهل الغفلة سطوةَ غفلتهم، وفلَّ دونهم سيفَ صولتهم[١]، بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[٢].

* * *

(١٧) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾: ثم بيَّن أنه خلَق ما به قِوَام معايشهم، وما يتوصلون به إلى أداء ما عليهم.

قال الفرَّاء: ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سبعَ سماوات كلُّ سماءٍ طريقةٌ[٣]، سميت بها لأن بعضها فوق بعضٍ، من قولهم: طارَقَ بين الشيئين: جعل أحدهما فوق الآخر.

وقيل: سميت بها لأنها طرائق ملائكته[٤] للنزول والصعود.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾: أي: عما يحتاجون إليه في إقامة مصالحهم.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: الآيات في بيان خلقِ ما يحتاجون إليه.

وقيل: ما كنا غافلين عما يفعله الخلق من الشكر على هذه الأنعام ومن كفران

---

(١) في (أ): «وفل دونهم شي دولتهم»، وفي (ر) و(ف): «وقل دونهم سيئ صولتهم». والمثبت من «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٩ ـ ٥٧١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٢).

(٤) في (أ): «ملائكة».

ذلك، وعلى هذا ﴿كُنَّا﴾ زائدة، وتقديره: ولسنا عن الخلق غافلين، كما في قوله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨]؛ أي: بمقدارٍ ما علمناه كافياً لهم، مُصلحاً لغلّاتهم، عائداً بمنافع معايشهم.

﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾: في العيون ونحوها ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ﴾؛ أي: على إذهابه ورفعه عن[1] الأرض وتغويرِ العيون، فلا يبقى لكم ما تشربونه وتسقونه دوابَّكم وزروعَكم وجناتِكم، تهلكون عطشاً ﴿لَقَادِرُونَ﴾ لأن القادر على إنشاء الشيء قادر على إفنائه، يعرِّفهم منَّته في إنشائه وإبقائه[2].

* * *

(١٩) - ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ﴾: أي: بهذا الماء ﴿جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾:

قيل: أي: من الرُّطَب والعنب.

وقيل: ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ من الجنات سوى هذين.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: قيل: من الفواكه.

وقيل: من الجنات؛ من حبوبها قُوتاً[3]، وتتفكَّهون من فواكهها، وجمَعَ الأطعمة والفاكهة في الذكر.

* * *

(١) في (ر) و(ف): «ودفقه على».

(٢) في (ر): «وإفنائه».

(٣) «قوتاً» ليس من (أ).

(٢٠) ـ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾: عطفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: وأنشأنا بهذا الماء شجرةَ الزيتون من طور سيناء، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: أي: من جبل البَرَكة[1].

وقال قتادة والضحاك: أي: جبلٌ حسن[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو كثير الشجر، وهو الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام[3].

وقيل: هو فَيْعالٌ من السَّنا؛ أي: الرِّفعة.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بكسر السين، والباقون بفتحها[4].

وخُصت هذه الشجرة بالذكر للعبرة؛ لأنها لا يراعيها أحدٌ بسقيٍ وغيره وتخرج[5] الثمرةَ التي منها الدُّهن الذي تَعظُم به الفائدةُ وتَكثُر المنفعة.

وقوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء، والباقون

---

(١) ذكره عنهما بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٠)، والواحدي في «تفسيره» (١٥/ ٥٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩) عن ابن عباس بلفظ: هو جبل بالشام مبارك. وعن مجاهد بلفظ: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾: المبارك.

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠) دون قوله: «هو كثير الشجر»، وهذا اللفظ رواه الطبري عن معمر عمن حدثه.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٥) في (ف): «لأنها لا يرى عندها من به علة إلا شفي وتخرج»، وفي (ر): «إلا تخرج» وسقط ما بينهما.

بفتحها[١]، ووجه الفتح: أن الفعل يتعدَّى[٢] بالباء، ووجه الضم: أنه متعدٍّ والباء زائدة.

ومعنى إنباتِ الدهن: إنباتُ ثمرِ الدُّهن، وهو كعصر الخمر: عصرُ ما يصير من خارجه الخمرُ.

وقيل: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾؛ أي: تنبتُ هي ومعها الدُّهن؛ كما يقال: جاء فلان بالسيف؛ أي: ومعه السيف، ومعنى: معها الدهنُ؛ أي: في ثمرها ما إذا استُخرج[٣] كان دهناً.

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾: أي: إدامٍ يُصْطَبَغ به، والصِّبغ: هو الدُّهن، وإنما أدخل[٤] الواو لاجتماع معنيين في الزيت: معنى الادِّهان، ومعنى الاصطباغ، وتقديره: تَنبت بما يُنتفع به انتفاعَ الدُّهن من الاستصباح[٥] والتداوي والادِّهان، ويُنتَفع به انتفاعَ الإدام بالضم إلى الطعام.

وخصَّ النخيل والأعناب والزيتون هاهنا لأن العرب في الحجاز كانوا يرون هذه الأشياء، وذكرُ إخراجِ هذه الشجرة من طور سيناء تعريفٌ ببركتها، فإن هذا الجبل مباركٌ، وقد قال في صفة الزيتون: ﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾[٦] [النور: ٣٥].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٢) في (ر): «معدى».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «بما ينتفع به انتفاع».

(٤) في (ف): «دخل».

(٥) في (ف): «تنبت بالدهن من الاستصباغ»، وفي (ر): «تنبت بالدهن للاستصباح».

(٦) في (أ) و(ف): «زيتونة مباركة» بدل: «﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾».

(٢١) ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: أي: ما تعتبِرون به؛ أي: تستدلُّون به على قدرة الله تعالى وعجيب صُنعه[1].

وقوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بفتح النون من السَّقي، والباقون بضمها من الإسقاء[2]، وهما واحد؛ يقول: نخرج لكم من بطونها لبناً سائغاً خالصاً من بينِ فرثٍ ودم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: سوى الألبان، وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار والجلود وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: وهي لحوم[3] الأزواج الثمانية وشحومُها ونحوها.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾: أي: وعلى الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾؛ أي: وعلى السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ في أسفاركم؛ كما قال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ الآية [النحل: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: ذكر بعد بيان بدءِ الخلق أنه هيَّأ لهم

(١) في (أ): «صنيعه»، وفي (ف): «صنعته».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٣) في (ر) و(ف): «لحمان».

أسباب القيام بما لأجْله خلقَهم؛ من إتمام ما يقوم به المعاش، ومواترةِ الرسل لبيان ما به تُعُبِّدوا، وبدأ بقصة شيخ الأنبياء نوحٍ صلوات الله عليه فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾.

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: وحِّدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: اتَّقوا.

***

(٢٤) ـ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: أي: الأشراف فمن دونهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أنكروا كونَ الرسول من البشر، واختصاصَه بالرسالة من بينهم مع تساويهم في البشرية، وقالوا:

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يريد أن يكون ذا فضلٍ وعلوٍّ في المنزلة عليكم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: أن لا يُعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ للدعاء إلى ذلك، لا بشراً مثلنا.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: أي: بما يدعونا إليه نوحٌ من التوحيد وتركِ الشرك ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

***

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٢٥ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: أي: جنون، ولو كان عاقلاً ما ادَّعى الرسالة؛ لأن من المحال عندنا بعثُ البشر رسولاً.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: أي: هو مجنون فلا تعجِّلوا بعقوبته، بل دعوه إلى مدةٍ، فإما أن يموت أو يرجعَ عن هذا أو تفعلوا به ما شئتم.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾: أي: انتقِمْ لي[1] منهم واحفظني من شرهم.

وقيل: ﴿ٱنصُرْنِى﴾ بتحقيق قولي لهم في العذاب أنه نازل بهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ من العذاب الذي أنذرتهم به إن لم يؤمنوا.

وقال هذا حين أيِس من إيمانهم حين أُوحي إليه: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

* * *

(٢٧) - ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: أي: أجبنا دعاءه وأرسلنا إليه رسولاً من السماء: ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: اتخذِ السفينة بمرأًى منا وبما نوحي[2] إليك من صفتها، وبعث إليه جبريل عليه السلام حتى علمه ذلك.

---

(١) في (ف): «أمني» بدل: «انتقم لي».

(٢) في (ر) و(ف): «ومما أوحينا».

وحقيقة قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: واعلم أنا حافظون لك ومُوحون إليك بما تحتاج إليه في إتمامه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: أي: عذابنا بأمرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ ذكرنا الأقاويل فيه في سورة هود.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾: أي: فأدخل في الفلك ﴿**مِن كلِّ زوجين اثنين**﴾؛ أي: من كلِّ ذكرٍ وأنثى من الحيوانات ذكراً وأنثى[1]، أراد أن لا ينقطع نسلها.

قال قتادة والحسن: لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض، وأما البقُّ والذباب والدود فلم يحمل معه شيئاً منها إنما يخرج هذا من الطين.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين ﴿ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾[2] أي: من كلِّ صنفٍ فردين ذكراً وأنثى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أي: وأدخل أهلك أيضاً وهم نساؤه وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: بالهلاك، فلا تُدخله الفلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: أي: ولا تسألني نجاةَ الذين كفروا والإذنَ بالإدخال[3] في السفينة فإني أغرقُهم في الطوفان.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) «ذكراً وأنثى» ليس في (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٣) في (أ): «بالدخول».

وقولـه: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: قـال أبو عبيـدة: أي: في الفلك[(١)]؛ أي: تمكَّنْتُـم عليها راكبين.

قوله: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: من عذابهم.

وقيل: هو أمرٌ بالحمد على إهلاكهم، ففي هلاكهم نجاة المؤمنين.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والباقون بضم الميم وفتح الزاي[(٢)]. وبالفتح: النزول، وموضعُ النزول، وبالضم: الإنزال، وموضع الإنزال، ويَصلح كلُّ واحد منهما مراداً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: تكفي مَن أنزلتَه كلَّ ما به إليه حاجةٌ، وغيرُك لا يتهيَّأ له ذلك.

وقيل: أُمر بهذا الدعاء أن يقوله إذا نزل.

وقيل: أُمر بأن يدعو به وهو في السفينة يلتمس وجود ذلك إذا نزل.

ومعنى ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾: اجعله نزولاً[(٣)] تُتابعُ به الخيراتِ عليَّ وعلى مَن معي حتى يَكثر أتباعُنا في الدين، فأجاب ذلك فقال: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٣) في (ر) و(ف): «نزلًا».

وقال القشيري: الإنزال المبارك: أن يكون لله وبالله وعلى شهود الله[١]، من غير غفلةٍ عن الله، ولا مخالفةٍ لأمر الله[٢].

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: أي: في ذلك الاقتصاص لعلاماتٍ على الحق يُعرف بها وجوبُ متابعة الأنبياء واستحقاقِ العقوبة على مخالفتهم، وأن الله تعالى لا يعذِّب إلا بعد انتهاء الحجة، وأنَّ مَن فعل فعْلَهم جُوزي جزاءَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: له وجهان في اللغة: وما كنا إلا مُبْتلين، وقد كنا مُبْتلين.

قال قتادة: أي: ابتلى الله الناس قبلكم وكشفه[٣]؛ أي: لم يزل الله يبتلي الأمم ليظهر المطيع من العاصي، فمَن أطاع نجا ومَن عصى هلك، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وقيل: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مِن بعد قوم نوح كما ابتليناهم.

وقيل: أي: إرسال الرسل إلى الأمم كان للابتلاء.

* * *

(٣١ ـ ٣٣) ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

---

(١) «وعلى شهود الله» زيادة من (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧٦).

(٣) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٩٧).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: ولم يسمه. قيل: هو صالح، وقيل: هو هود، عليهما السلام.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: أرسلناه إليهم بهذا.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي: البعثِ ولقاءِ ما وَعد الله في الآخرة.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: ووسَّعنا عليهم ونعَّمناهم.

وقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: أي: يحتاج إلى غذاءٍ يقيمه كما تحتاجون أنتم، ولو كان نبيًّا لكان ملكاً[1] مستغنياً عن هذا.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: أي: الانقيادُ للمِثْل والرضا بأنْ نكون دونه خسرانٌ.

وقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾: خبر (أنَّ) المذكورةِ أولاً قولُه: ﴿مُّخْرَجُونَ﴾ و(أنَّ) الثانيةُ مكرَّرةٌ للتأكيد.

وقيل: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ جملةٌ تامةٌ جُعلت خبراً للأول، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

ومعناه: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ هذا المدَّعي للنبوة ﴿أَنَّكُمْ﴾ بعد أن تصيروا تراباً وعظاماً باليةً لا لحومَ عليها ولا جلود تُخرَجون من قبوركم أحياءً[2]؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار.

---

(١) «ملكاً» ليس من (ف).

(٢) «أحياء» زيادة من (أ).

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾: أي: بعيد بعيد هذا الموعودُ؛ أي: هو مما لا يكون.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي: ما الحياةُ إلا هذه الحياةُ القربى التي نحن فيها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: قيل: هذا[1] على التقديم والتأخير: نحيا مدةً ونموت بعد ذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت.

وعلى التقدير على النظم معناه: يموت بعضنا ويحيا بعضنا.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: ما هذا الذي يدَّعي الرسالة إلا رجل كذَب على الله ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي: فأوحى الله إليه: عن قريب ـ وهو القليل من الزمان، و(ما) صلةٌ ﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾ قومك؛ أي: ليصيرُنَّ ﴿نَادِمِينَ﴾ على تكذيبهم إياك إذا أخذهم العذاب، ولا تنفعُهم الندامة.

* * *

---

(١) في (أ): «هو». وسقطت من (ف).

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: العقوبةُ الهائلة، أو حقيقةُ الصيحة من جبريل عليه السلام ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باستحقاقهم ذلك.

وقيل: بالأمر من الله وهو الحق.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾: أي: موتى باليِنَ كالغُثاء، وهو ما يأتي على وجه السيل من القصب والحشيش، شبِّهوا بالغُثاء في البِلَى وتفرُّقِ الأوصال، وفي أنهم[1] صاروا لا يُنتفَع بهم[2] بوجهٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَبُعْدًا﴾: أي: فهلاكاً، وقيل: فبُعْداً من كلِّ خير، الأولُ من باب عَلِم، والثاني من باب شَرُفَ.

﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾: أي: أمماً في أزمنةٍ شتَّى، وهاهنا إضمار: كذَّبوا أنبياءهم فأهلكناهم، والاختصارُ ما[3] ذُكر في آخره: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «وقيل إنهم»، بدل: «وفي أنهم».

(٢) في (أ): «لهم».

(٣) في (أ): «لما».

وقوله تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: أي: ما كان يتقدَّم أمةً من هؤلاء القرون الوقتُ المؤقَّت لعذابهم ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: لا يتأخَّرون عنه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾: أي: تِبَاعاً متَّصِلين ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ جهلاً منهم وتقليداً لأسلافهم واستثقالاً للشرائع.

قوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾: في الإهلاك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٦١] الآيات.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أي: صيَّرناهم إلى حالٍ يتحدث الناس بعدهم بذكرهم ويتعجَّبون منهم ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالأعلام الدالة على صحة نبوتهما ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: حجةٍ ظاهرة.

وقيل: الآيات: المعجزات، والسلطان: القدرة والقوة والملك.

وقيل: السلطان: إيجاب الانقياد لهما.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: مر تفسيره ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: أي: تعظَّموا[1] عن الانقياد لهما ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾؛ أي: كانوا قد قهروا مَن في ناحيتهم من الناس واستعبدوهم.

---

(١) في (ف): «تعاظموا».

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾: أي: أنصدِّق آدميَّينِ مثلَنا في ادِّعاءِ الرسالة من الله في وجوب الانقيادِ لهما علينا ﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾؛ أي: وبنو إسرائيل لنا مطيعون يَرون أنفسهم لنا عبيداً فكيف نكون نحن مطيعين لهما؟!

وقيل: ﴿عَٰبِدُونَ﴾: دائنون.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾: فصاروا من المغرقين في اليم.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٤٩ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾؛ أي: ليهتدوا بها إلى الحق.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾: أي: عيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ﴾؛ أي: مريم ﴿ءَايَةً﴾: ولم يقل: آيتين؛ لأنهما باجتماعهما صارا آيةً واحدة، وهي ولادتُها إياه من غيرِ أب، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ﴾ [الإسراء: ١٢]؛ لأن كل واحدٍ منهما آيةٌ على حِدَة.

ومعنى هذه الآية: وجعلناهما ﴿ءَايَةً﴾؛ أي: علامةً يُستدل بها على قدرتي على اختراع الأجسام من غيرِ أصل كما خلقتُ عيسى من غيرِ أبٍ، وعلى أنِّي المتفرِّدُ[1] بالخلق والاختراع لا خالقَ غيري، وعلى صدقِ عيسى في دعوى النبوة، فلم أُخْلِ الناس في كلِّ وقتٍ من رسولٍ يدعوهم إلى الحق.

---

(١) في (ر) و(ف): «المنفرد».

وقوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: أي: وجعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً، والربوة بفتح الراء وضمِّها وكسرها: المكان المرتفع على ما حوله، واختُلف فيها أين كانت؟

قال أبو هريرة رضي الله عنه: هي الرَّملة من فلسطين[1].

وقال سعيد بن المسيب: هي دمشقُ[2].

وقال ابن زيد: هي بمصر، وقراها[3] على الرُّبى، ولولاها غرقت بالماء[4]، وهو قول الكلبي أيضاً.

وقيل: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة[5]، وهو أنشر[6] الأرض.

قال كعب: هي أدنى الأرض إلى السماء بثمانيةَ عشر ميلاً[7].

وقوله تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: أي: ذاتِ استواءٍ يُستقرُّ عليها[8].

وقال قتادة: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: ذاتِ ثمار[9]؛ أي: لأجلها يَستقرُّ فيها ساكنوها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَعِينٍ﴾: ماءٍ جارٍ ظاهرٍ للعيون.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤).

(٣) في (ر) و(ف): «هي مصر، وقال: وجدتها».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٦) في (ر): «أيسر».

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٨) في (أ): «مستقر عليه»، وفي (ف): «عليها» بدل: «يستقر عليها».

(٩) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

قال سعيد والضحاك: ﴿وَمَعِينٍ﴾ مفعول من عِنْتُه أَعِينُه؛ أي: أصبتُه بعين[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا الإيواءُ كان عند الولادة، وهو كما ذكر في سورة مريم: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] الآيات.

وقيل: كان هذا حين فرَّت مريم بابنها إلى مصر، فكانا بها سنين، ثم رجعت به إلى أهلها بعدما مات الملك الذي كانا هربا منه.

***

(٥١) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾:

قيل[٢]: أي: كنَّا نقول لكلِّ هؤلاء: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ وإضمار القول في القرآن كثير.

وقيل: كان هذا خطاباً لعيسى عليه السلام على إضمار القول، وتسميةُ الواحد بالجماعة تشريفٌ له.

وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ بذلك بغير إضمار القول، وتسميتُه بالرسل لكونه أفضل الرسل وسيدَ الرسل[٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٧ ـ ٥٨). واللفظ المذكور هو للطبري، وقد روى قبله عن سعيد والضحاك قولهما في معنى المعين: هو الماء الظاهر، ولعل هذا هو المراد من كلام الطبري، فقد قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: المَعينُ الماءُ الجاري على وجه الأرض، مفعول مِن عَانَه: إذا أدركه بالعَين، نحو رَكَبَهُ: إذا ضربه بالرُّكْبَةِ؛ أي: يُدْرَكُ بالعَيْن لظهوره، فميمه على هذا زائدة.

(٢) «قيل» من (أ).

(٣) في (ف): «المرسلين».

وقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليَّ ما تعملونه فأنا مجازيكم عليه، فاجتهِدوا في الطاعات، وهي الصالحاتُ، وتجنُّبُ الحرام، وأكلُ الحلال وهو[1] الطيبات، وإذا كان الأمر للأنبياء ولنبينا على الخصوص بهذا فمَن سواهم أولى به.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الألف وهو ابتداءٌ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافعٌ بفتحها[2] عطفاً على قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وبـ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ قاله الكسائي وأبو عبيد والفراء في قول، وعنه أنه قال: أضمر في أوله (واعلموا) أن هذه[3].

يقول: هذا الذي تقدم ذكرُه من وصية الله لرسله بالتوحيد والطاعة، ووصيةِ الرسل لأممهم، هو دينُكم وملَّتكم[4]، وهي واحدة لا تختلف في الأصل فالْزَموها وتمسَّكوا بها.

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾: وحدي ﴿فَٱتَّقُونِ﴾؛ أي: فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري، وقد أوضحنا هذا في آخر سورة الأنبياء.

---

(١) في (أ): «وأكل الحلالات وهي» وفي (ف): «وأكل الحلال وهي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩). وخفف ابن عامر النُّون ـ مع فتح الهمزة ـ وشدَّدَها الباقون.

(٣) القولان اللذان ذكرهما عن الفراء هما وجهان في تأويل هذه القراءة كلاهما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٧)، لكن الفعل المضمر عنده هو: (واعلم) وليس: (واعلموا).

(٤) في (ر) و(ف): «وقبلتكم».

وقيل: الأمة: الجماعة والفريق، أي: هؤلاء الذين[١] ذكرتُهم جماعتكم وفريقكم الذين ينبغي أن تقتدوا بهم وتكونوا من جملتهم.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ نصبٌ على القطع، ومعناه: هم فرقة مجتمِعة على التوحيد.

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: أخبر عن تفرُّق أهل الكتاب في دينهم، يقول: فصار هؤلاء الذين أُمروا بالاجتماع على الدِّين الحقِّ فِرقاً في أمرهم؛ أي: في أمر دينهم.

قوله: ﴿زُبُرًا﴾: بضم الباء[٢]؛ أي: كتباً، جمعُ زبور، وقال الحسن[٣] وقتادة ومجاهد وابن زيد: توزَّعوا وتقسَّموا كتباً دانوا بها وكفروا بما سواها؛ كاليهود في قبول التوراة وكفروا بالإنجيل والقرآن، وكالنصارى في قبول الإنجيل وكفرِهم بالقرآن[٤].

وقرأ ابن عامر: (زُبَراً) بفتح الباء[٥]: جمع زُبرة[٦]، أي: جماعاتٍ كقطع الحديد؛ أي: تقسَّموا جماعاتٍ مختلفة متفرقة.

---

(١) في (أ): «والفرائق أي هؤلاء الذين» وفي (ر) و(ف): «والفريق، أهذا الذي».

(٢) في (أ): «الزاي».

(٣) في (أ): «الحسين»، وسقط من باقي النسخ، والصواب المثبت. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٠٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢ ـ ٦٣) عن قتادة ومجاهد وابن زيد.

(٥) نسبها لابن عامر الداني في «جامع البيان» (٢/ ٣٠٣) لكن بخلاف بين أصحاب هشام راوية ابن عامر، ونسبت لأبي عمرو في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

(٦) في (ر) و(ف): «زابرة».

وقال القشيري رحمه الله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾: فمستقيمٌ على حقِّه، وتائهٌ في غِيِّه، ومصرٌّ على عصيانه وفسقه، ومقيمٌ على إحسانه وصدقه، كلٌّ مربوط بحدِّه، موقوف[1] على ما قُسِم له في البداية من شأنه، كلٌّ ينتحل طريقة، ويدَّعي لحسن[2] طريقته حقيقة، وعند صحوِ سماء قلوب أرباب التوحيد لا غبار في الطريق، وهم على يقينِ معارفهم، فلا ريب يتخالجهم ولا شبهة، وأهلُ الباطل في عمَى[3] جهلهم وغبار جحدهم، وظلمةِ تقليدهم ومحنة شكِّهم[4].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾: أي: فدَعْ يا محمد هؤلاء الضَّلالَ المتقطِّعين أمرهم بينهم في ضلالتهم وغفلتهم[5]، والغمرة: ما يغمر القلب ويغطي عليه، فيغفل صاحبه عن النظر لنفسه، ومنه: الرجل الغمر، ومنه: غمرةُ الماء، ومنه قولهم: دخل في غُمَار الناس؛ أي: في زحمتهم بحيث يستَتِر عن الأبصار.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: أي: إلى وقت نزول العذاب بهم، ولا يَضيقنَّ قلبُك بتأخير نزول[6] العذاب عنهم، وذلك الوقت قد يكون بالموت فيعرفون ذلك، وقد يكون بنزول العذاب ولا ينفعهم الندم؛ كما وقع بفرعون حين أدركه الغرق.

* * *

(١) في (ر): «كل مربوط موقوف على حده وموقوف».

(٢) في (أ): «حسن»، وفي «اللطائف»: (بحسن).

(٣) في (أ) و(ف): «غمام»، والمثبت من (ر) و«اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧٧).

(٥) في (ف): «وغفوتهم».

(٦) «نزول» من (أ).

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: أيظنُّون أنما نزيدهم ونعطيهم على الترادف[١] من الأموال والأبناء ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ به[٢] ﴿فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: نجعله ثواباً وكرامة معجَّلاً لهم على حسن صنيعهم عندنا، ﴿بَل﴾: هو ردٌّ ما قبله؛ أي: ليس كذلك ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾: لا يعلمون أن ذلك لتعبُّدهم بالشكر والتوحيد والطاعة.

وقيل: نفعله استدراجاً لهم، وهو كقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٥٥]، وإضمار (به)[٣] في قوله تعالى: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ كالإضمار في قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]؛ أي: به، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]؛ أي: بالله غيرَه.

* * *

(٥٧ ـ ٥٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: أي: من خوفهم ربَّهم ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ من عذابه.

وقال الضحاك: يخافون أن يُنزع منهم[٤] الإيمان.

---

(١) «على الترادف» من (أ).

(٢) «به» من (ف).

(٣) في (ر): «وإضماره»، وفي (ف): «الإضمار».

(٤) في (أ) و(ف): «عنهم».

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بكتبِ الله كلِّها، لا يفرِّقون بين كتبه كالذين تقطَّعوا أمرَهم بينهم، وهم أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾: كشرك العرب.

***

(٦٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾: أي: يُعطون ما أَعطوا من أموالهم في حقوق الله.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾: أي: خائفة أن لا تقبلَ ولا ينفعَهم ذلك إذا رجعوا إلى جزاء الله يوم القيامة.

وقرأت عائشة رضي الله عنها: (يَأْتُون ما أَتَوا)(١)؛ أي: يفعلون ما فعلوا، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: أهم الذين يَزْنون ويسرقون ويشربون الخمر؟ قال: «لا، هم الذين يصلُّون ويزكُّون ويحجُّون ويصومون ويخافون أن لا يقبل منهم»(٢).

وقال كعب: لو أن رجلاً كان له مثلُ عملِ سبعين نبيًّا، يخشى أن لا ينجوَ من عذاب يوم القيامة.

وقال الحسن: لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى خشي أن لا ينجو من عِظَم ذلك اليوم(٣).

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و«المحتسب» (٢/ ٩٥).

(٢) رواه الترمذي (٣١)، وابن ماجه (٧٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٦٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧) بلفظ: يعملون ما عملوا من أعمال البر، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم.

وقال الحسن: لقد عمِّرتُ عمراً، وأدركت صدراً من الناس، فوالذي[1] لا إله إلا هو: لهم فيما أُحِلَّ لهم كانوا أزهدَ منكم فيما حُرِّم عليكم، وهم لحسناتهم ألا تُقبل[2] كانوا أشد خوفاً منكم لسيئاتهم أن يؤاخَذوا بها[3].

❊ ❊ ❊

(٦١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: أي: هؤلاء هم الذين يسارعون فيها لا الذين تقطَّعوا أمرهم بينهم.

﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾: أي: إلى الخيرات، واللام بمعنى (إلى)، كما في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]؛ أي: أوحى إليها.

وقيل: ﴿لَهَا﴾؛ أي: لأجلها؛ أي: من جهة خيراتهم هم سابقون إلى الجنة.

وقال القشيري: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾؛ أي: مسارعٌ بقدمه من حيث الطاعات، ومسارعٌ بهممه من حيث المواصلات، ومسارعٌ بندمه من حيث تجرُّعُ الحسرات، والكلُّ مصيب، ولكلٍّ من إقباله على ما يليق بحاله نصيب[4].

❊ ❊ ❊

(٦٢) ـ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «فوالله الذي».

(٢) في (ف): «وهم لخشية أن لا يقبلون» وفي (ر): «وهم لخشيانهم ألا تقبل».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (٤٥)، والدينوري في «المجالسة» (٦١٦)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٦/ ١٣٣).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧٩).

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: لا نحمِّل من الخيـرات أحداً شـيئاً إلا مـا في وسـعه وهـو دون طاقته.

وقال القشيري رحمه الله: مطالباتُ الشريعة مضمَّنة بالسهولة، فأما مطالبات الحقيقة فقد قالوا: ليس إلا بذلَ الروح وإلا فلا تَشتغل بالترَّهات، قال للمستضعفين: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال لأهل الحقائق: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨][1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾: أي: كتبُ الملائكة فيها[2] أعمالُ العباد.

وقوله تعالى: ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: يبيِّن جميعَ ما عمله العبد على الصدق، فهذا الكتاب محفوظٌ عند ملائكة الله، وأضافه إلى نفسه لأنهم يحفظونها بأمره، ويُخرَج يوم القيامة ويُحاسب عليه ويجازى به.

وقيل: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ كتبناه فيما سبق بما هم[3] عاملون، فهم يعملون ذلك ونحن نجازيهم به.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: لا يُنقص من ثوابهم ولا يعذَّبون بغير[4] ذنب.

* * *

(٦٣) ـ ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (أ): «في».

(٣) في (ف): «مما هم»، وفي (ر): «مما هو».

(٤) في (ر) و(ف): «من غير».

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لكلام مضمَر، وكأنه[١]: ليس تركُهم الإيمان لقصور في البيان؛ لكن قلوبهم في غطاء وغمرة؛ أي[٢]: غفلةٍ؛ للحَميَّة الجاهلية، وإلْفِ التقليد، وترك التدبر.

﴿مِنْ هَذَا﴾: قيل[٣]: أي: العذاب. وقيل: أي: مما سبق ذكره. وقيل: من الكتاب الذي عندنا.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾: قيل: أي: سوى ذلك، يعني: هم عاملون أعمالاً ينضم ذلك إلى غمرتهم فيعاقبون على الكل.

وقيل: أي: أدنى من ذلك وهو المعاصي[٤]، والأول هو الكفر؛ أي: يعملون ذلك فيعاقبون على الكل[٥].

وقيل معناه: ولهؤلاء المشركين أعمال أُخر أقبح من هذه الأعمال التي ذكرناها عنهم هم يعملونها للحال لم نذكرها لكم.

وقيل: بل هذا إخبار عما يعملون بعد هذا، فلهم مدة يبقَون إليها ثم يأخذهم إذا جاء وقتُهم.

وقيل: معناه: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾؛ أي: من قبل نزول العذاب بهم، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ﴾ [المؤمنون: ٦٤] بيانُ غاية ذلك.

---

(١) في (أ): «وكأنه هذا».

(٢) «غمرة أي» من (ف).

(٣) «قيل» من (أ).

(٤) في (ر): «المعصية».

(٥) في (أ): «الجميع».

وقيل: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: قلوبهم في غفلة عن[١] طلب الحق، ولهم أشغالٌ سوى الحقِّ هم بها مشتغلون منصرفون عن الحق.

وقال القشيري رحمه الله: لا يصلُح لهذا الشأن إلا مَن كان فارغاً عن جميع الأعمال، وأكثرُ أصحاب الدنيا مشغولون بدنياهم، وأربابُ العقبى بعُقباهم، وأهلُ النار ببلواهم، وإن الذي له في الدنيا والآخرة غير مولاه ـ حين الفراغ ـ عزيز[٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ [يس: ٥٥][٣].

* * *

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: أي: منعَّميهم ﴿بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾؛ أي: يستغيثون ويضجون ضجيج مَن نزل به ما لا يقدر على دفعه، ونزل هذا بهم يوم بدر، أخذ الله رؤساء مكة بالسيف فجأر أهل مكة لذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: أي: لا تضجُّوا بالاستغاثة إلى غيرنا، فلا مانع لكم من عذابنا.

ويحتمل[٤]: لا تضجُّوا إلينا فلا نصرةَ لكم عندنا، والمراد بذلك النهيِ الخبرُ أنكم وإن ضجِجْتم فلا نصرةَ لكم.

---

(١) في (ر): «زمن»، وفي (ف): «من».

(٢) في (أ) و(ر): «فمَن الذي له في الدارين عن مولاه خبر الفراغ عزيز»، وفي (ف): «فمَن له في الدارين عن مولاه غنى فإن خبر الفراغ عزيز». والمثبت من «اللطائف».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٠).

(٤) في (أ): «وقيل».

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أي: القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾؛ أي: ترجعون القَهْقَرى.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ قال أكثر المفسرين[١]: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالبيت، أو بالحرم، وكانوا ينكرون[٢] على كل الناس بكونهم أهل الحرم وأهل البيت.

وقوله تعالى: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾: أي: متكلِّمين بالسَّمَر ليلاً حول الكعبة تقولون الهَجْر، وهو الهذَيان الذي في حقه أن يُهجَر ويُرفض، و﴿سَٰمِرًا﴾ واحد[٣] بمعنى الجمع من وجوه:

أحدها: أنه جنس يصلح للجميع.

والثاني: أنه موضوع للجمع.

والثالث: أن الفاعل قد يستعمل للمصدر، ثم المصدر يصلح نعتاً للجمع.

والرابع: ما قال أبو عمرو الشيباني: يقال لمجلس القوم بالنهار: النادي، وبالليل: السامر، ثم ذكر[٤] المجلس يكون ذكراً لأهله، قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]؛ أي: أهلَ ناديه، وقال الشاعر:

لهم مجلس صُهْبُ السبال أذلةٌ ... سواسيةٌ أحرارُها وعبيدُها[٥]

---

(١) في (أ): «أهل التفسير».

(٢) «ينكرون»، كذا في (أ)، وسقطت الجملة من باقي النسخ، ولعلها: (يتكبرون).

(٣) في النسخ: «واحداً»، والصواب المثبت.

(٤) في (ف): «وذكر» بدل: «ثم ذكر».

(٥) البيت لذي الرمة، وهو في «ديوانه» (٢/ ١٢٣٥). أراد: أهل مجلس، وأما قوله: (صهب السِّبال) =

وكانوا يجتمعون بالليل حول الكعبة ويتحدثون بالقبح في ذكر النبي ﷺ.

وقرأ نافع: ﴿تُهْجِرُونَ﴾ بضم التاء وكسر الجيم[١]، وهما لغتان هَجَر وأَهْجَر.

وقيل: في القراءة الأولى: أي: تهجرون الحق بالإعراض عنه، أو: تهجرون النبي ﷺ أو القرآن.

وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ كنايةٌ عن مكنيٍّ لم يسبق ذكرُه، وهو كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، ثم يجوز أن يكون ﴿بِهِۦ﴾ ـ أي: بالبيت ـ صلة الاستكبار، ويجوز أن يكون صلةَ السَّمَر.

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالنكوص المذكور في قوله: ﴿تَنكِصُونَ﴾.

وقال الضحاك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: الجوعَ، وذلك حين دعا النبي ﷺ على مُضر في القنوت: «اللهمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضر واجعلها عليهم سنينَ كسِني يوسفَ» فألقى الله عليهم الجوع حتى أكلوا الجيَف والأولاد[٢].

* * *

(٦٨) ـ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾: أي: أفلم يتدبَّر هؤلاء القرآن ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا

= فإنما أراد به الأعداء، والعرب تصف الأعداء بذلك وإن لم يكونوا صهب الأسبلة، وقوله: (سواسية) يريد أنهم مستوون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا في الذم. والسبال جمع سبَلة، وهي ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية، والصَّهَب حمرة أو شقرة في الشعر؛ أي: هم عجم ليسوا بعرب.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٥١)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ١٩)، والمرفوع رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: وهذا توبيخٌ لهم بلفظ الاستفهام؛ كأنه قال: ما عذرُهم في الإعراض عن استماع القرآن من الرسول والنكوصِ على الأعقاب، أهو أنهم لا يتدبرون القرآن[1] الذي يخاطَبون به فالتقصيرُ منهم، أم يقولون: لو كان لله رسولٌ إلى العرب لأتى ذلك آباءنا الأولين، وإذا لم يأتهم لا يأتينا[2]، وهذا ليس بحجة أيضاً؛ لأنه قد أتى غيرَهم من الأمم رسلٌ كثيرة قد سمعوا ذلك، وتناهت[3] به الأخبار المتواترة إليهم، وهي أخبار صالحٍ وشعيبٍ وهودٍ، وهم رسل الله إلى العرب.

* * *

(٦٩) ـ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: أم يحتجُّون في ترك سماعه من محمد عليه السلام أنه مجهول فيهم، فلم يعرفوه بالصدق والعقل وشرفِ الأصل، وليس كذلك، بل قد عرَفوا مولده ومنشأه، وصدقه وأمانته، وخلالَه[4] المحمودةَ، فما الذي ينفِّرهم[5] عنه؟ وهو إشارة إلى ما وهبه[6] الله تعالى له[7] عليه السلام قبل أن يبعثه من أسباب القبول؛ من حسن التربية وتمام العصمة من أول حاله إلى مبعثه، لم يَعْلق به أمر شائن؛ ليكون ذلك أدعى إلى الركون إليه والقبول منه.

* * *

---

(١) في (أ): «القول».

(٢) في (ر): «لم يأتنا».

(٣) في (ر) و(ف): «وشاعت».

(٤) في (ر): «وصفاته»، وفي (ف): «وجلالته».

(٥) في (أ): «ينكرهم».

(٦) في (أ): «مهد».

(٧) في (ف): «وقد منحه» بدل: «وهو إشارة إلى ما وهبه الله تعالى له».

(٧٠) ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾: أي: جنون، فليس من حقِّه أن يُسمع كلامه.

وليس كذلك ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾: أي: ليس[1] به شيء من هذا، لكن ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ والانقيادُ للحق تَنفر عنه طباعهم الجاهليةُ ميلاً منهم إلى الرئاسة في الدنيا والانهماكِ في لذاتها، وذلك قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.

وقيل: الحق: التوحيد.

* * *

(٧١) ـ ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾: أي: لو كان الحق تابعاً لأهواء[2] الناس لبطل نظام العالم؛ لأن الأهواء مختلفةٌ وطبائعَ الناس شتَّى متضادَّةٌ، فشهواتهم تتضادُّ وتتنافى، واجتماع المتضادَّات محال ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ لأفضى ذلك إلى وجود ما لا يُتوهَّمُ وجوده في العقول، وهو باطل.

ولأن أهواءهم داعيةٌ إلى القبيح، والحقُّ يدعو إلى المحاسن[3]، فلو اتَّبع أهواءهم لانقلبت الأدلة، وصارت الدلالة على القبيح[4] دليلاً على الحَسَن، والدلالةُ على الحَسَن دليلاً على القبيح[5]، وفي انقلاب الأدلة انقلابُ المدلول

---

(١) بعدها في (أ) و(ر): «لهم».

(٢) في (أ): «لهؤلاء».

(٣) في (ف): «إلى القبح... إلى الحسن».

(٤) في (ف): «القبح».

(٥) في (ف): «القبح».

وسقوطُ حكم الأدلة، وفي ذلك فسادُ العالم، فإن بقاء العالم ببقاء أحكام الحق، وبقاءَ الأحكام ببقاء أدلتها.

وقيل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، كما قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: أي: بما فيه شرفُهم وعزُّهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بسوء اختيارهم.

وقيل: معناه: بذكر ما بهم[1] الحاجةُ إليه في الدين.

وهذه الآية على القولين تتصل بقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾؛ أي: وما ينبغي أن يكرهوه وفيه شرفُهم، وفيه ذكرُ ما يحتاجون إليه.

* * *

(٧٢) ـ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾: قرأ ابن عامر بغير ألف فيهما، وقرأ حمزة والكسائي بالألف فيهما، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ونافع: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ بالألف[2].

قال أبو عبيد وأبو معاذ[3]: هما لغتان.

---

(١) في (أ): «به».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٣) الفضل بن خالد، أبو معاذ النَّحْوي المروزي، روى عن عبد الله بن المُبارك وغيره، وأكثر عنه الأزهري في «التَّهْذيب»، وذكره ابن حِبَّان في «الثِّقات»، وصنَّف كتاباً في القرآن، ومات سنة (٢١١هـ). انظر: «بغية الوعاة» (٢/ ٢٤٥).

وقال الحسن: هو الأجر على العمل[(١)]، يقول: أهم يتَّهمونك[(٢)] فيما تدعوهم إليه أنك تسألهم عليه أجراً فيظنون بك أنك تطمع في أموالهم، وهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: فما يؤتيك الله من الأجر على طاعتك له في الدعاء إليه خيرٌ لك من عرَض الدنيا.

وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: أي: خيرُ مَن أعطى عوضاً على عمل؛ لأن ما يعطيه لا ينقطع ولا يتكرر وقد علمت ذلك ورضيت به، فما معنى اتهامهم لك بالطمع في أموالهم وهذا كله إخبارٌ أنهم متعنِّتون محجوجون[(٣)] من كلِّ وجهٍ في ترك الاستماع إليك والتدبر بما جئتهم[(٤)] به.

***

(٧٣ ـ ٧٥) ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: فحقيقٌ أن يستجيبوا لك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾: أي: عن هذا الطريق[(٥)] المستقيم لعادلون مُجانبون.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: زاغوا عن المحجَّة المثلى بقلوبهم فوقعوا في

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩٠).

(٢) في (ف): «أم يتوهمونك» بدل: «أهم يتهمونك».

(٣) في (ر) و(ف): «محجوبون».

(٤) في (ر) و(ف): «والنذير الذي جئتهم».

(٥) في (ر): «الصراط».

جحيم الفُرقة، وستزلُّ أقدامهم عن الصراط فيقعون في نار الحُرقة، فهم ناكبون في دنياهم وعقباهم(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: متصل بقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾.

﴿لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي: لتمادوا في عتوِّهم يتردَّدون؛ أي: لعادوا إلى الطغيان الذي به أخذناهم بالعذاب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

***

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أي: لقد أخذنا مترفيهم بضربٍ(٢) من العذاب فما تذلَّلوا لربهم استكباراً منهم على الله تعالى وجراءةً.

ثم أخبر عن عنادهم فقال: ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: في الشدائد فلا يُظهرون تذلُّلاً وانكساراً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: أي: متحيِّرون لا يدرون ما يصنعون.

وقيل: آيسون من الفرج.

قيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ هو سبعُ سنين في الجوع والقحط، وهو قول مجاهد(٣)، وهو قوله: ﴿قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية [النحل: ١١٢]، ﴿فَمَا

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٣).

(٢) في (ف): «بصرف».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦٤)، ورواه دون ذكر العدد ابن المنذر في «تفسيره» كما =

﴿ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ ما زادوا على قولهم: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] على الوعد لا على التحقيق؛ كقول قوم فرعون: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [المؤمنون: ٧٧]، هو يوم بدر.

وقيل: الأول عذاب الدنيا بالشدائد، وقوله: ﴿ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو عذابُ الآخرة في النار.

* * *

(٧٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: عدَّد نعمه، وبيَّن قدرته؛ تنبيهاً على استغنائه عن طاعة خلقه، وأن إرساله الرسل والامتحانَ لم يكن للحاجة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾؛ أي: وربكم الله الذي خلق الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لإدراك الأصوات والألوان ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ للتمييز بين الحق والباطل.

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: أي: لا تشكرون إلا قليلاً بقولكم: هو الصانع، ثم تشركون به غيره.

وقيل: أي: لا تشكرون له أصلاً، تقول العرب: هذه أرضٌ قلما تُنبت؛ أي: لا تنبت أصلاً.

* * *

(٧٩ ـ ٨٠) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

= في «الدر المنثور» (٦/ ١١١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: خلقكم في الأرض وبثَّكم فيها ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تبعثون وتُجمعون للجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي: هو المالك والفاعل بمجيء الليل والنهار أحدِهما بعد الآخر، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢].

وقيل: الاختلاف هو التفاوت[1] بالزيادة والنقصان، وهو الفاعل ذلك بهما.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أن اختلافهما دليل حدوثهما، وأن لهما محدِثاً لا شريك له عالماً قادراً مريداً.

* * *

(٨١ ـ ٨٣) ـ ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ وهو قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: أي: لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليَعلموا أنَّ مَن قدر على هذه الأشياء قدر على بعث الموتى فلا تستبعِدوا ذلك.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: سلفُهم ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أنبعث؟! وهذا محال.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾: أي: قبل مجيء محمد ﷺ.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما هذا إلا ما سطَّرته الأوائل من الأحاديث الأكاذيب.

---

(١) في (ف): «التقارب».

وقيل: نزلت الآية في آل أبي طلحة، منهم: طلحة وشيبة وأبو سعيد ومسافع[١] وأرطاة بن شرحبيل والنضر بن الحارث وأبوه[٢] الحارث بن علقمة بن كلدة؛ هم الذين قالوا هذا القول[٣].

وقال القشيري رحمه الله: ليس اختلاف الليل والنهار كلُّه في ضيائهما وظلمتهما[٤] وطولهما وقِصَرهما، بل ليالي المحبين تختلف في الطول والقِصَر، وفي الرَّوح والنَّوح، فمِن الليل ما هو أضوأُ من النهار، ومن النهار ما هو أشدُّ ظلاماً من الليل، يقول قائلهم:

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ ... تخبِّر أن المانَوِيَّة تَكْذبُ

وقال آخر:

ليالي وصالٍ قد مضَيْن كأنها ... لآلي عقودٍ في نحور الكواعب
وأيامُ هجرٍ أعقبَتْها كأنها ... بياض مشيب في سواد الذوائبِ[٥]

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

---

(١) في (أ): «سعد وسافع» وفي (ر): «سعيد وشافع». وانظر ما سيأتي في تخريجه.

(٢) في (أ) و(ر): «وأبو». وانظر ما سيأتي في تخريجه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٦٣)، وفيه: (... وأبو سعيد ومشافع وأرطاة وابن شرحبيل والنضر بن الحارث وأبو الحارث بن علقمة...).

(٤) «وظلمتهما» من (ف).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٤).

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فأَجيبوا.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾: وإقرارهم أنها لله إقراراً به أنشأها[1] فهو مالكها.

﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾: كأنه شيء كانوا عالمين به لوضوحه فنسُوه فذكَروه بالتنبيه عليه، فقيل: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلموا بذلك أن مَن قدر عليها قدر على إحياء الموتى.

وقيل: أفلا تتَّعظون فتعملوا بذلك فتتركوا الإشراك بالله تعالى؛ إذ هو القادر على هذا والأصنامُ غير قادرة عليه.

وقيل: أفلا تتَّعظون بذلك فتتركوا جحود البعث؛ إذ خالقُ هذه الأشياء لم يخلقها عبثاً بل ليَستأدِيَكم شكرَه عليها ثم يميزَ[2] بين المطيع منكم وبين العاصي، وفي ذلك إثباتُ البعث والثواب والعقاب.

* * *

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾: قيل: ﴿ٱلْعَرْشِ ﴾: المُلك هاهنا، وكانت العرب تُقِرُّ بالملائكة وسكانِ السماوات فقرِّروا على ذلك[3]، وأما العرش الذي هو سرير فثبوته عند أهل الكتب.

وقيل: كان ذلك مقرَّراً[4] عند العرب أيضاً بإخبار أهل الكتاب.

---

(١) في (ر): «إنشاءها»، وفي (ف): «أنشاها»، والمثبت من (أ)، والجملة غير واضحة على الكل، ولعلها: (إقرار بأنه أنشأها...).

(٢) في (ر): «لم يميز»، وفي (ف): «ليميز».

(٣) في (أ): «فأقرا بذلك» وفي (ف): «فقروا على ذلك».

(٤) في النسخ: «مقرر»، والصواب المثبت.

قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: وقرأ أبو عمرو في هذا وفي الذي بعده: ﴿سيقولون الله﴾ وهذا ظاهرٌ موافق للابتداء، وقرأ الباقون: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[1].

قال الفرَّاء وقطرب: هو[2] محمول على المعنى؛ لأن قوله: ﴿لله﴾؛ أي: لله هذه الأشياء، وهذا جوابٌ صحيح، وإن مَن قال لآخر: مَن مولاك؟ فقال: أنا لفلان، كفاه من أن يقول: مولاي فلان[3]، وأنشدوا في ذلك:

إذا قيل مَن ربُّ القِيَان[4] بموقفٍ ... وربُّ الجيادِ الجُرْد قيل لخالد[5]

وأنشدوا في عكسه شعراً:

فقال السائلون لمَن حفَرْتُم ... فقال المخبِرون لهم وزيرُ[6]

أي: هو وزير[7] الذي يُحفر له.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) في (أ): «هذا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤١).

(٤) في (أ) و(ف): «القباب»، وفي (ر): «العباب»، والمثبت من «حاشية الطيبي على الكشاف» (١٠/ ٦٢٠).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٨٠)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٤٧٩)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٣٠). وصدره فيها جميعاً:

إذا قيل من ربُّ المزالفِ والقرى

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤١)، قال: أنشدني بعض بني عامر...، فذكره. ونسبه الجاحظ في «البيان والتبيين» (٣/ ١٢٧) للوزيري، لكن لا شاهد في البيت على روايته؛ لأن صدره عنده:

وقال السائلون من المسجّى

(٧) في (ف): «أي وزير هو».

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أي: عذابَ الله في اتخاذكم غيرَ الله إلهاً معه وأنتم مقرُّون أنه خالقُ هذه الأشياء ومالكُها، والأصنامُ لا تملك شيئاً منها ولا تخلقه.

وقيل: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ في جحودكم قدرتَه على إحياء الموتى مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء.

* * *

(٨٨) ـ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: يملك هذه[١] الأشياء كلها.

وقال مجاهد: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خزائنُ كلِّ شيء[٢].

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: أي: يمنع مَن يشاء مِن عباده ممن قصَد الإضرار به.

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: أي: ولا يُمنع ولا يمكن منعه[٣] مَن أراده الله تعالى بسوء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فأجيبوا[٤].

وقيل: وهو يؤمِنُ مَن أخافه غيرُه ومَن أخافه هو لم يؤمِنه غيره.

* * *

(٨٩ ـ ٩٠) ـ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

---

(١) «هذه» ليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٠٠).

(٣) في (ر) و(ف): «ولا يمنع ويمكن مع»، وفي (ر): «ولا يمتنع ويمكن مع».

(٤) في (ف): «فاجتنبوا» بدل: «ذلك فأجيبوا».

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: ووجهُه ما مر؛ أي: لله قدرةُ ذلك ومُلك ذلك فاجتنبوا[١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: أي: فمِن أيِّ وجهٍ يخيَّل لكم الباطلُ حقًّا حتى تشركوا به غيره.

وقيل: فكيف تُخْدعون عن الحق.

قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾: أي: ليس كذبهم على الله بنسبة الولد إليه لقصورِ البيان، فقد ﴿أَتَيْنَاهُم﴾ بالكتاب المبينِ ذلك، وأعطيناهم العقل الذي به يُتوصل إلى بطلان ذلك.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦].

* * *

(٩١) ـ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾: أي: لم يتَّخذ الله الملائكة بناتٍ له ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾؛ أي[٢]: ليس معه شريك في الألوهية.

﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: أي: ولو كان معه آلهةٌ لميَّز كلُّ إله ما خلَقه هو[٣] وحده، ولم يتركه مختلِطاً بمخلوقٍ غيرِه، وظهرت المنازعة، وإذ لا منازع في شيء من المخلوقات للتمييز بطل قول المشركين.

---

(١) في (ر): «فأجيبوا»، وليست في (أ).

(٢) في (ف): «و».

(٣) في (أ): «لميَّز كلُّ إله ما خلقه وهو»، وفي (ر): «لتميَّز كلُّ إله بما خلقه»، وفي (ف): «لميَّز كلُّ إله بما خلق هو».

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: لغَلَب؛ فإن الإلهين لو تُوُهِّما: فإما أن يكونا إذا أراد أحدهما شيئاً والآخر خلافَه يحصل[1] مرادهما، أو لا يَحصل شيء، أو يحصل مراد أحدها، ولا يجوز أن يحصل مرادُهما جميعاً؛ لأن الضدَّين لا يُتصور اجتماعهما، فلو لم يحصل مرادهما جميعاً فهما عاجزان فلا يكونان إلهين، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر فالذي حصل مراده هو القادر والآخرُ عاجز فبطل أن يكون إلهاً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] على ما قدَّرنا.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي: تنزيهاً لله عمَّا يصفه به هؤلاء.

وقيل: هو بمعنى الأمر؛ أي: فنزِّهوه.

* * *

(٩٢) ـ ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص بالخفض وصفاً لقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء[2]؛ أي: هو عالمُ الغيب والشهادة فلن يخفى عليه شيءٌ، فخبرُه هو الحق دون قول هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تقدَّس عن الشركاء الذين يقولون.

* * *

(٩٣ ـ ٩٤) ـ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «حصل».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

وقوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ﴾: (إنْ) شرطٌ و(ما) صلة والنونُ المشدَّدة تأكيد وكأنه قسم.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُوعَدُونَ ﴾: أي: من العذاب، ويجوز من أَوْعَد، ويجوز من وَعَد؛ كما قال: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ [الزخرف: ٤٢].

***

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: أي: معهم وفي جملتهم في العذاب. أَخبر أنه يعذِّبهم، وأمره أن يدعو بهذا، وهو كما رُوي عنه أنه كان يقول: «وإذا أردتَ بقومٍ فتنة وأنا فيهم فاقْبِضْني إليك غير مفتون»[1].

و(الفاء) في قوله ﴿فَلَا تَجْعَلْنِى ﴾ لجواب قوله: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ ولولاه لم تصلح الفاء في الابتداء.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴾: أي: على أن نعذبهم[2] قبل أن نقبضك فتراه.

***

(٩٦) ـ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: أي: بالمعاشرة التي هي أجمل

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «على أن ننزل بهم ما نعدهم».

﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: معاملتَهم القبيحة؛ أي: فأحسِن معاملتَهم إلى أن تؤمرَ بقتالهم لتَسْلَم بذلك من أذاهم.

قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: من الشرك، فسنجازيهم[١] عليه ونأمرك بقتالهم لوقته.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: ادفع الجفاءَ بالوفاء، ادفع ما هو حظُّك بما هو حقُّه[٢].

وقد فعل ذلك حين شُجَّ جبينه وأُدْمي وجهه، وكُسرت رَبَاعِيَتُه والبيضةُ على رأسه، فقال: «اللهمَّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[٣].

وقيل: الأحسن ما أشار إليه القلب، والسيئة ما دعت إليه النفس[٤].

* * *

(٩٧ ـ ٩٨) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: قيل: أي: نَزَغاته ووساوسه[٥]، وأصله: الطعن، وهو طعنٌ في القلب، وقد يكون في النفس فيقع به الصَّرع ونحوُه.

---

(١) في (أ): «فنجازيهم»، وفي (ف): «فيجازيه بهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٧).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٤٧) عن عبد الله بن عبيد، وقال: «هذا مرسل».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٨).

(٥) في (ر) و(ف): «نزغاته أي: وساوسه».

وقيل: هو ما يوقعه الشيطان في القلب من ترك دفع السيئة بالأحسن واستعجالِ العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾: أي: يأتوني.

وقيل: هو حالُ حضرة الموت، وأَخْوَفُ ما يكون حضورُ الشيطان في تلك الساعة، وهو لتعليم الأمة(١).

* * *

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: يقول: إذا ذكِّروا بالآخرة والبعث ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [المؤمنون: ٨٢] إلى آخره، هذا قولهم إلى أن يجيء الموت فيَتيقَّنَ بضلالته وجهالته في مقالته.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يستغيث أولاً بالله، فيقول: ﴿رَبِّ﴾ ثم يقول للملائكة الذين حضروه لقبض الروح: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾؛ أي: ردُّوني إلى الدنيا ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾؛ أي: لأعمل صالحاً، و(لعل) أصله للشك، وهاهنا لليقين؛ لأنه حالة اليقين(٢)، وهو كإطلاقِ لفظة الظن في معنى اليقين في آيات.

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: له وجوه:

أحدها: في تركتي أؤدِّي حقوق الله فيها وأتقرَّب بها؛ كما قال: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون: ١٠].

---

(١) في (أ): «وأخوف ما يكون القلب من ترك دفع السيئة بالأحسن واستعجال العذاب».

(٢) «لأنه حالة اليقين» ليس في (ر).

والثاني: ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: في الموضع الذي تركت؛ أي: الدنيا، تركتُ فيها التوحيدَ والطاعة، فالآن ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ في الدنيا: التوحيد والطاعة.

والثالث: ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾؛ أي: فيما تركت العملَ به من الصالحات.

﴿كَلَّآ﴾: ردٌّ لِمَا سأل؛ أي: لا ترجع.

وقيل: أي: ردٌّ لِمَا بعدُ؛ أي: لو رُدَّ إليها لا يَفي بها؛ كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: قيل: ﴿إِنَّهَا﴾؛ أي: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ كلمةٌ يقولها الكافر عند الموت.

وقيل: ﴿إِنَّهَا﴾؛ أي: قول الله ﴿كَلَّآ﴾ للردِّ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ﴾؛ أي: الله ﴿قَآئِلُهَا﴾ وهو حقٌّ صدق لا خُلف له، وهو قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أي: وأمامَهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع.

قال ابن زيد: هو الحاجز بين الموت والبعث.

وقال مجاهد: حاجز بين الميت والرجوع إلى الدنيا.

وقال الضحاك: هو الحاجز بين الدنيا والآخرة(١).

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ جمع بعد ذكر ﴿أَحَدَهُمُ﴾ لأن أحداً أضيف إلى الجمع فانصرف هذا إلى أولئك الجمع.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ من قبورهم للحساب والجزاء.

---

(١) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١٠ ـ ١١١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الكافر إذا حضره الموت ورأى ما حلَّ به من نقمة الله تعالى سأل الرجعة إلى الدنيا؛ لأنه علم أن الله تعالى لا يقبل توبةً بعد الموت ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ أقول: لا إله إلا الله مخلصاً ﴿كَلَّآ﴾ هيهات، إن هذا كلام يقوله عند موته لندامته[1].

* * *

(١٠١) ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: للبعث ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: إذا سِيقوا إلى موقف الحساب شغلهم الحزن والخوف عن أن يتناسبوا في ذلك الموضع ليَعرف بعضُهم بعضاً بالنسب، ولا يتفاخرون أيضاً بالأنساب كما فعلوا في الدنيا، ولا يَسأل بعضهم بعضاً عن حاله كما يتساءلون في الدنيا على سبيل التعاطف.

وقيل: هذا حال الكلِّ على العموم، بدليل أنه فصَّل بعده حال الفريقين: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، ولا يُشْكِل هذا بقوله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] لأن ذلك قولُهم: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢] ثم يساقون إلى الموقف ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وقيل: فإذا ﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ أي: النفخةُ الأولى، فيُقطع التواصل والقرابات[2] والتساؤل عن الحالات.

وعن[3] ابن عباس رضي الله عنهما: إذا نُفخ النفخةُ الأولى هلك كلُّ شيء إلا

---

(١) لم أجده.

(٢) في (أ): «فينقطع التواصل بينهم بالقرابات».

(٣) في (ر) و(ف): «وقال».

ما شاء الله، وتقطَّعت الأنساب وذهبت المساءلة، ثم نفخ النفخةُ الثانية فقاموا جميعاً لربِّ العالمين ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[1].

وقال النبيُّ ﷺ في صفة الصور: «إن عُظْمَ دارةٍ منه كعرضِ السماء والأرض»[2].

ويقول إسرافيل في النفخة الثانية: أيتها الأجساد البالية، والجلود المتمزِّقة، واللحوم المتفرِّقة[3]، والعظام النَّخِرة، والعروق المتقطِّعة، والشعورُ المتطايرة: قوموا فإنَّ الديان قد أقام القيامة، فيَحْيَون جميعاً في أقلَّ من لحظة[4].

وفي الخبر: أن بين النفختين أربعين سنة؛ تمطر السماء، وتنبت الأرض، وتمضي فصول السنة وليس في السماء والأرض حيوان[5].

وقيل: لا يُسألون في القيامة عن الأنساب، إنما يُسألون[6] عن الأعمال، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١٢).

(٢) رواه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «واللحوم المتفرقة» ليس من (ف).

(٤) روي نحوه عن قتادة كما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢].

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٤) عن قتادة قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قال نبي الله: «بين النفختين أربعون» قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، ولا زادنا على ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة، وذُكر لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له: مطر الحياة، حتى تطيب الأرض وتهتزّ، وتنبت أجساد الناس نباتَ البقل، ثم ينفخ فيه الثانية ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

(٦) في (ر) و(ف): «لا يتساءلون... إنما يتساءلون».

(١٠٢ ـ ١٠٤) ـ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: فسرنا الآيتين في سورة الأعراف وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: أي: تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ الكُلوح: تقلُّص الشفتين من العُبوس حتى تبدوَ الأسنان؛ أي: إذا لفَحت النار وجوههم تقلَّصت شفاههم وبدت أسنانهم، وتغيَّرت بذلك مناظرهم وقبحت صورهم، قال رسول الله ﷺ: «تَقْلِصُ شفةُ الكافر العُليا حتى تبلغَ وسطَ رأسه، وتسترخي شفتُه السُّفلى حتى تَضْرِب سُرَّتَه»(١).

* * *

(١٠٥ ـ ١٠٦) ـ ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يقال لهم في النار: ألم يكن كتابي المنزلُ على رسولي يُقرأ عليكم.

﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: وتزعمون أنها ليست من الله تعالى.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿شَقاوتُنا﴾ بالألف وفتح الشين، وقرأ الباقون: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين وحذف الألف(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٧) و(٣١٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

ومعناه: قال أهل النار: غلب علينا ما سبق لنا[١] في سابق علمك، وكُتب في أمِّ الكتاب من الشقاوة.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾: في الدنيا عن طريق الهدى، وهو كقوله: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٦].

وقيل: أي: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ الأعمال الرديَّة والأمور القبيحة التي شَقِينا بها ﴿وَكُنَّا﴾ في فعلها ﴿ضَالِّينَ﴾ عن الحق والصواب، وليس هذا باعتذارٍ بل هو اعترافٌ منهم بسوء الصنيع.

* * *

(١٠٧ ـ ١٠٨) ـ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: أي: من جهنم ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾؛ أي: في الكفر والمعصية ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ بالعود؛ أي: فلا نعود.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾: أي: ابْعُدوا في النار ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وهو أبلغُ ما يكون من الإذلال.

قال الحسن: وهو آخِرُ كلام أهل النار، فلا يقدرون على الكلام بعده، فلا يبقى لهم إلا زفيرٌ وشهيق[٢].

وقال أبو الدرداء: يرسل على أهل النار الجوع حتى ينسيَهم ذلك كلَّ[٣]

---

(١) «لنا» ليست في (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٥٨)، ورواه بنحوه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٠).

(٣) «كل» من (أ).

العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، فينشبُ[١] في حلوقهم، فيَذْكرون أنهم كانوا في الدنيا يُجيزون الغصص بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيُسقون الحميم، فإذا أدنوه من وجوههم شوى وجوههم، وإذا دخل بطونهم قطَّع أمعاءهم، فيدعون خزنة النار: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩] فيجيبونهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠] فيقولون: ادعوا مالكاً، فيقولون: يا مالك: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] قال: فيجابون بعد ألف سنة: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيقولون: ادعوا ربكم فليس أحد خيراً لكم من ربكم، فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ إلى قوله: ﴿ظَٰلِمُونَ﴾[٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: فلا يجابون قَدْرَ الدنيا مرتين، ثم يقول الله تعالى لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فما نبس القوم بعدها بكلمة[٣]، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم بأصواتٍ كأصوات الحمير أولُها زفيرٌ وآخرُها شهيق[٤].

---

(١) في (ر) و(ف): «فيتشبث».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٢٩)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٢٣)، ورواه الترمذي (٢٥٨٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً. وقال: (قال عبد الله بن عبد الرحمن: والناس لا يرفعون هذا الحديث)، وعبد الله بن عبد الرحمن هو الدارمي صاحب «المسند»، وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٢٦٣): هو وإن كان موقوفاً لكنه في حكم المرفوع فإن أمثال ذلك ليس مما يمكن أن يقال من قبل الرأي.

(٣) قوله: «فما نبس القوم بعدها بكلمة» من (أ)، وفي (ف): «فييأس القوم بعدها الكلام»، وفي (ر): «فأيس القوم بعدها فلا أحد يتكلم بكلمة».

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٣١٩ ـ زوائد نعيم)، وهناد في «الزهد» (٢١٤)، وابن أبي حاتم كما =

وفـي حديـث محمـد بن كعـب القرظي: أقبـل بعضهم علـى بعض يَنبـح نباحَ الكلب وأطبقـت عليهم[(١)].

* * *

(١٠٩ ـ ١١٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾: وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾: قرأ حمزة والكسائي بضم السين، والباقون بكسرها[(٢)]، وهما لغتان:

قيل: هما بمعنى الهزء.

وقيل: بالضم من التسخير وبالكسر من الهزء[(٣)].

= في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤٩ و٦٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٧٠) وصححه، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٤٨).

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (ص: ٩١ ـ ٩٢ ـ زوائد نعيم) وقد سقط من المطبوع بعضه لسقط في المخطوط نبه إليه المحقق، وهو خبر طويل ذكره بتمامه القرطبي في «التذكرة» (ص: ٨٩٨ ـ ٩٠٠) وعزاه لابن المبارك، وكذا عزاه إليه في «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٣) وذكر بعضه ومن ضمنه القطعة المذكورة أعلاه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٢٤)، وفيه: فرق أبو عمرو بينهما فجعل المكسورة من جهة التهزؤ والمضمومة من جهة السخرة، ولا يعرف هذا التفريقَ الخليلُ وسيبويه رحمهما الله ولا الكسائي ولا الفراء؛ قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد؛ كما يقال: عُصِيٌّ وعِصِيٌّ.

وذكر قول النحاس القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩٤)، ثم عقبه بقوله: وحكى الثعلبي عن الكسائي والفراء الفرق الذي ذكره أبو عمرو، وأن الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول، والضم بمعنى =

أي: قصدتُم يا معاشر الكفار هؤلاء المؤمنين بالاستهزاء والقهر ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾: أي: أنساكم ولوغُكم بذلك ذكرَ الله، وأضاف إليهم بطريق التسبيب، وهو كقوله في الأصنام: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾: مستخِفِّين بهم.

***

(١١١ ـ ١١٢) ـ ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية[1]: ﴿أنهم﴾ بالكسر على الاستئناف[2]، و﴿جَزَيۡتُهُمُ﴾ بالضم: ما جوزوا به الجنة والكرامة.

وقرأ الباقون ﴿إِنَّهُمۡ﴾ على وقوع الجزاء عليه؛ أي: جزيتُهم الفوز من العذاب والنَّيلَ للثواب.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾: إلى أن بُعثتم، يخاطبهم توبيخاً لهم على إنكار البعث واستبعاده.

= التسخير والاستعباد بالفعل. انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٣)، و«الكشاف» (٣/ ٢٠٥).

قلت: ووقع في «العين» للخليل (٤/ ١٩٦) تفريق بينهما أيضاً.

(١) قوله: «وعاصم في رواية» ليس في (أ)، ولم تذكر عنه في «السبعة» و«التيسير».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨ ـ ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠) عن حمزة والكسائي. وقرأ باقي السبعة بفتح الهمزة على ما يأتي.

(١١٣ ـ ١١٤) ـ ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: تقليلاً لمدة[1] الدنيا، كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

وقيل: نسياناً له لعِظَم ما هم فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: العارفين عددَ ذلك فإنَّا قد نسيناه، وعلى تأويل التقليل: لا نتيقَّن بمبلغ عدد السنين فاسأل مَن يعرف ذلك.

وقيل: المراد من العادِّين هم الملائكة؛ لأنهم كانوا يَعُدُّون الأنفاس والأوقات.

وقيل: المراد به المنجِّمون لأنهم كانوا يحفظون ذلك.

وقال مجاهد وعكرمة والسدي وغيرهم: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾؛ أي: الملائكة[2] الذين جعلهم الله حفظةً يكتبون أيام الدنيا ويُحصُونها.

* * *

(١١٥ ـ ١١٦) ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا﴾: أي: أفظننتُم في إنكاركم البعثَ أنا خلقناكم لعباً بغيرِ فائدة، ولا نكلِّفكم في الدنيا ولا نبعثكم للجزاء[3] في العقبى.

---

(١) في (أ): «لهذه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٣١) عن مجاهد، وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٩٢) عن السدي ومجاهد.

(٣) «للجزاء» من (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء، والباقون بضمها[1]، الأول لازم والثاني هو ما لم يسمَّ فاعله من المتعدي.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: أي: جلَّ عن الأولاد والشركاء والأنداد ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: الذي يحق له الملك دون غيره.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾: الجليلِ في نفسه الخطيرِ في ذاته بجَعل الله له ذلك الوصفَ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾: الشريف[2].

* * *

(١١٧) ـ ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾: أي: لا حجةَ له عليه؛ لأن البرهان عقليٌّ أو نقلي، وليس في واحد منهما ما يجوِّز أن يكون معه إلهٌ آخرُ، وهذا وإن كان مذكوراً في موضع الصفة فليس لتمييز مَن يدَّعي ذلك بلا برهانٍ ممن يدَّعي ذلك ببرهان، بل هو صفةُ تحقيق لا صفةُ تمييز؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾: وهو جزاء هذا الشرط؛ أي: قد علم الله ذلك منه وأعدَّ له جزاءه، ثم هو لا يفلح أبداً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) لم أقف عليه.

وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: هو الذي يحاسبه يوم القيامة ويجازيه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذكر عدم فلاح الكافرين في آخر السورة، ووعد الفلاح للمؤمنين المطيعين في أول السورة.

وقيل: هذا في حالةِ الإكراه، ﴿وَمَن يَدْعُ﴾؛ أي: يتكلَّم به ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾؛ أي: لا حجة له في هذا التكلُّم، وهو أن يكون مختاراً، فإذا كان مكرهاً فله حجة؛ لأن الله تعالى استثنى حالة الإكراه بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، والمذكور في الآية هو الدعوة، وذاك قول باللسان، وذاك مع الإكراه لا يكون كفراً، ولو كان مكان كلمة الدعوى ما يدل على الاعتقاد لم يمْكِنَّا الحمل على هذا التأويل.

***

(١١٨) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: نفى: الفلاح للكافر مطلقاً، ووعد الفلاح للمؤمن المطيع مطلقاً، ولما كان المؤمن العاصي على خوف التعذيب مدةً، أمر نبيَّه عليه الصلاة والسلام بهذا الدعاء تعليماً لأمته عليه السلام أن يقولوه ليغفر الله تعالى لهم ذنوبهم فيَصِلون إلى الفلاح، وهو أمرٌ له أن يقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾؛ أي: للمؤمنين والمؤمنات ﴿وَٱرْحَمْ﴾؛ أي: وارحمهم، فيكون الدعاء منه ولكن[1] لهم.

وروى ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ في بعض طرقات المدينة، إذا برجل قد صُرع، فدنوتُ فقرأتُ في أذنه فاستوى جالساً، فقال النبي ﷺ:

(١) «ولكن» ليست في (ف).

«ماذا[١] قرأتَ في أذنه يا ابنَ أم عبد؟» قلتُ: فداكَ أبي وأمي، قرأت: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، فقال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو قرأها موقنٌ على جبلٍ لذاب»[٢].

والحمد لله ربِّ العالمين، ربَّنا أدخِلْنا الجنة آمين[٣]

---

(١) في (ف): «ما».

(٢) رواه الإمام أحمد في «العلل» (٥٩٧٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٦٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٨٦)، من طريق سلام بن رزين عن الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود به.
قال الإمام أحمد: هذا حديث موضوع، هذا حديث الكذابين. وقال الذهبي في «الميزان» ترجمة سلام بن رزين: لا يعرف، وحديثه باطل.
قلت: لكن قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٩٤): تعقب بأن له طريقاً آخر أخرجه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح سوى ابن لهيعة وحنش الصنعاني وحديثهما حسن.

(٣) قلت: رواه بهذا السند أبو يعلى في «مسنده» (٥٠٤٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧)، من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن حنش الصنعاني، عن عبد الله. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٥): رواه أبو يعلى، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.
ولكن الشيخ الألباني نبه في «السلسلة الضعيفة» (٢١٨٩) على علة في هذا الحديث تجعله من باب المرسل، فقال: وقد فاتهم التنبيه على أن الوليد بن مسلم وإن كان من رجال الصحيح فإنه كان يدلِّس تدليس التسوية، لكنه قد توبع، فقال ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥١٣): حدثنا بحر بن نصر الخولاني: حدثنا ابن وهب: أخبرني ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش بن عبد الله: أن رجلاً مصاباً مُرَّ به على ابن مسعود، فقرأ في أذنه. الحديث. وهكذا عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم.
وكذا أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣١٢) من طريق أبي عمرو عفيف بن سالم، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٤٣٢) من طريق بشر بن عمر قالا: أخبرنا ابن لهيعة، به. =

= قلت (القائل الألباني): ويلاحظ أن هؤلاء الثلاثة: (ابن وهب) و(عفيف) و(بشر)، وثلاثتهم ثقات ـ بل والأول حديثه عن ابن لهيعة صحيح ـ قالوا: (عن حنش بن عبد الله أن رجلا..)، فأرسلوه، بخلاف الوليد بن مسلم، فإنه قال: (عن حنش عن عبد الله أنه...)، فجعله من مسند ابن مسعود، وإن مما لا شك فيه أن الإرسال هو الصواب... إلى آخر ما قال.

قلت: ويؤيد ما ذهب إليه الألباني أن أبا عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٧٨) رواه عن أبي الأسود عن ابن لهيعة، عن عبدِ الله بن هُبَيرةَ، عن حَنَشٍ الصَّنْعانيِّ: أنَّ رجلًا مصابًا...، فذكره مرسلاً أيضاً، وأبو الأسود هو النضر بن عبد الجبار المرادي، وهو أيضاً ثقة من رجال «التقريب».

في (أ): «رب نجنا من القوم الظالمين».

سُورَةُ النُّورِ

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي حرَّم السِّفَاح، الرحمنِ الذي شرَع[1] النِّكاح، الرحيمِ الذي وعد على السمع والطاعة الفلاح.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة النور كان له عشرُ حسنات بعددِ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي»[2].

وعن أبي عطيةَ قال: كَتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلَّموا سورةَ براءة وعلِّموا نساءكم سورة النور[3].

وهـذه السـورة مدنية، وهي اثنتان وستُّون آيـة، وقيل: أربـع، والاختلاف في اثنين: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

وكلماتها ألف وثلاثُ مئةٍ وستةَ عشر، وحروفُها خمسةُ آلافٍ وستُّ مئة وستةٌ وثلاثون.

---

(١) في (ر) و(ف): «أحل».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٦٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٧٩)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٠٤ ـ تفسير)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٣٧).

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه أُمر في آخر تلك السورة بسؤال الرحمة، ونيلُ الرحمة بأداء الطاعة دون فعل المعصية، فقد قال في أول هذه السورة في حقِّ مَن عصَى الله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾.

وانتظام السورتين: أنه بدأ تلك السورة بخلقِ الإنسان، ثم بما أنعم عليه، ثم بالأمر بالتوحيد وعاقبةِ أهله وذكرِ الشرك وعاقبةِ أهله، وختم بالأمر بالدعاء، وبيَّن في هذه السورة المعاملاتِ والجزاءَ على الموافقات والمخالفات، وهو ترتيبٌ معقول يشهد بحُسنه الأصول.

* * *

(١) ـ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ﴾: أي: هذه سورة؛ أي: قطعةٌ ودرجةٌ من الكتاب الذي وعدْتُ أن أُنزله عليك.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾: أي: أنزلناها إليك من السماء.

وقوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف[1]، ومعنى التخفيف: فرضُ العمل بها، فأضاف الفرض إليها اختصاراً لوضوح المراد.

قال الضحاك: أوجَبْناها[2].

ومعنى التشديد: أنزلنا فيها فرائض مختلفةً وفرضناها عليكم وعلى مَن بعدَكم إلى يوم القيامة، والتفعيلُ في الفعل الثلاثي المتعدِّي يكون للتكثير والتذكير.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) لم أجده عن الضحاك، وهو قول كثير من المفسرين. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٩٣)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٦٣)، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٦٤).

وحُكي عن أبي عمرو أنه قال: ليست بفريضةٍ واحدة، ولكنها فرائض[١].

وقال غير واحد من المفسرين: بيَّنَّاها[٢].

وقال مجاهد: بينَّا حلالها وحرامها[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: أي: واضحات ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لتتَّعظوا [٤] بها، وأكثرُ هذه السورة ترجع أحكامها إلى التستُّر والتعفُّف وما تَخلَّلها فهو من مقتضياتها.

ومن جلالةِ موقع[٥] أحكام هذه السورة من جملة أمور الدِّين ما ذُكر عن أبي وائل رضي الله عنه قال: خطبنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة النور وأخذ يفسرها، فقال رجل: ما رأيتُ كاليوم كلاماً خرج من رأس رجل، والله لو سمعتْ بهذا التُّركُ[٦] لأسلمت[٧]، وفي بعضها: لو سمعت بهذا الدَّيلمُ لأسلموا[٨].

* * *

---

(١) بعدها في (ف): «مختلفة وفرضناها عليكم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥١٦).

(٤) في (ف): «لتتيقظوا».

(٥) في (ر) (ف): «مواضع».

(٦) في (ف): «القول».

(٧) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٨٤٨)، والطبري في «تهذيب الآثار» مسند ابن عباس (٢٨٨).

(٨) رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٦٧)، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٠٠).

(٢) ـ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾: أي: المرأة التي مكَّنتْ من الزنا، وهو الوطءُ الحرام الخالي عن النكاح وشبهته، ومِلك اليمين وشبهته، ﴿وَٱلزَّانِي﴾؛ أي: الرجل الذي زنى.

قوله: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾: أي: اضربوا كلَّ واحد منهما مئة ضربةٍ بالسوط ونحوِه، مأخوذ من الجِلْد فإن الضرب يلاقيه.

وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ حتى يصل إلى اللحم بالجَرح، والخطابُ لجميع الأمة؛ لأن إقامة الحد من الدِّين وهو على الكلِّ، ثم يقيمون إماماً ينوب عنهم؛ لأنه لا يمكنهم الاجتماع عليه.

وعمومُ الآية يتناول المحصنَ وغيرَ المحصنِ، ثم خصَّ منه المحصن بحديث الرجم وهو رجم ماعز، ويتناول الأحرار والمماليك، ثم المملوك يحد خمسين جلدة بقوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]؛ أي: الحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ﴾: أي: رقَّةٌ تمنعكم عن إقامة الحد عليهما[١].

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: أي: طاعته.

وقيل: أي: في حكمه، وأما الرأفة الطبيعية الإسلامية التي لا تدعو إلى تعطيل الحد فلا إثم به.

---

(١) «عليهما» ليست في (أ) و(ف).

وقيل: هذا أمر بإيجاعهما، ولا يخفف رِقةً عليه[1] فلا يحصل المقصود.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: فإن الإيمان يوجب الائتمارَ بأمر الله.

وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾: أي: حدَّهما ﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقلُّه واحدٌ[2]. وقال مجاهد: اثنان[3]. وقيل: ثلاثة[4].

وقيل: أربعة، وهو عدد شهود الزنا، وقيل: عشرة.

وقال قتادة: أمر الله تعالى أن يشهد ﴿عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليكون ذلك عبرة وموعظةً ونكالاً[5].

وقال الحسن: أمر الله تعالى بذلك لتعظيم الحدود.

وقال نصر بن علقمة: أمَا إنَّ ربكم لم يُرِد الفضيحة، ولكن ليُدْعَى لهما بالتوبة والرحمة[6].

وقال الحسن رحمه الله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني به مجلسَ الحكم، فإنه لا يكون إلا وفيه طائفةٌ من المؤمنين، وهو إشارة إلى أن إقامته إلى الحكام.

---

(١) «عليه» ليس من (أ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) عن سعيد بن جبير، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧) عن عطاء وعكرمة. أما مجاهد فروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٥ ـ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) كقول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢١)، عن الزهري.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢١).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠).

وقال القشيري: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ليكون ذلك عليه أشدَّ، وليكون ذلك أشدَّ تخويفاً لمتعاطي ذلك الفعل، ثم من حقِّ الذين يشهدون ذلك الموضع أن يذكروا عظيم نعمة الله عليهم إذ لم يفعلوا مثلَ فعله كيف عصمهم الله تعالى من ذلك، وإن كان قد جرى عليهم شيء من ذلك ذكَروا نعمة الله عليهم إذ لم يَهتك سترَهم ولم يفضحهم ولم يُقمهم في الموضع الذي أقامه فيه، وسبيلُ مَن شهده أن لا يعيِّر صاحبه به، ولا ينسى حكمَ الله في إيذائه على جرمه(١).

وقال غيره: معنى جلدِ غيرِ المحصَن ورَجْمِ المحصَن: أن الخبث بحُرَم الناس عملُ الحمُر والكلاب ليس عملَ العقلاء المميِّزين، فيُضربُ بالخشب ضربَ الحُمر، ويُرمَى بالحجارة رمي الكلاب.

* * *

(٣) ـ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن المهاجرين أتوا المدينة فضاقت عليهم معيشتُهم في ذات أيديهم لغلاء الأسعار بها، وكان في المدينة نساءٌ فواجرُ زوانٍ غيرُ محصنات متَّسعاتٌ في ذات أيديهن، فقال المهاجرون: لو تزوَّجناهن فأحصناهنَّ، فإذا استغنينا عنهنَّ طلقناهنَّ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

وفي الآية أقاويلُ كثيرة، وللناس في العمل بها مذاهب مختلفة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٩٤). وفيه: (... في إقدامه على جرمه).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٢).

وعن سعيد بن المسيب: أن الآية كانت على ظاهرها في تحريم نكاح الزانية على الزاني وغيره، وأن الأمر كان على ذلك إلى أن نسخ ذلك وأبيح لها أن تنكح مَن شاءت من الزاني وغيره، والنسخُ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢][1].

وأصح الأقاويل فيها: أنها ترهيب في نكاح البغايا.

وتأويل ذلك: أن أهل الإسلام والإيمان سبيلُهم أن لا يرغبوا إلا في المسلمات العفائف، فالزاني إنما يميل إلى مَن هي على مذهبه في الزنا والتهتُّك، وإلى مَن لا يعتقد الإيمان، فهو لا يفكر في التعفُّف.

والزانية أيضاً إنما تميل إلى أحد رجلين: إما إلى زانٍ مثلِها، وإما إلى مشركٍ شرٍّ منها؛ أي: فالزنا عديلُ الشرك في أنه قبيح، وأهلُ الإيمان بمعزلٍ عنه، فإن الإيمان قَرينُ العفاف والتحصُّن، فأنتم معاشر الراغبين في البغايا إن كنتم مؤمنين حقيقُون بالزهد فيمَن مذهبُها بمعزلٍ عما يوجبه مذهبُكم في الإيمان، وهو نظير قوله في تأويل بعضهم: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية [النور: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: حرم الزنا، وقيل: الشركُ، وقيل: نكاحُ البغايا قصدَ التكسب بما يأخذون من الزنا.

* * *

(٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٢٧)، والشافعي في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٥١)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٧١)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: أي: يقذفون بالزنا العفائفَ ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زنا المقذوفة ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾: فأقيموا حد القذف عليهم بهذا، وهو خطاب للأمة، ويتولى الإمام عنهم كما قلنا في الزُّناة(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾: أي: لا تقبلوا شهادتهم أبداً، وهو الحكم في الحد أيضاً، وهو مشروعٌ على التأبيد عندنا لا يُقبل بحال وإن تاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الطاعة بقذف المحصَنة.

* * *

(٥) ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: أي: بعد الرمي وهو القذف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أي: أصلحوا أحوالهم بعد التوبة وأظهروا الأعمال الحسنة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ذنوبهم ويرحمهم فلا يعذبهم.

والاستثناء لزوال اسم الفاسقين عنهم، لا لبطلان حكم ردِّ الشهادة، فإنه مؤبَّد ومن جملة الحد، وذلك لا يَبطل بالتوبة، وأما الفسق فيزول بالتوبة، ثم النصُّ في قذف المحصَنة، وحكمُ قذف المحصَن كذلك.

والإحصان في المقذوف يَثبت بخمسة أشياء: العقل والبلوغ والإسلام والحرية والعفة، فإذا فات وصف منها لم يكن محصَناً ولا حدَّ على قاذفه.

وإحصان الزاني الذي يُرجم: بالعقل، والبلوغ، والإسلام، والحرية، والنكاح الصحيح، والدخول بالمنكوحة في النكاح الصحيح، ويعرف ذلك في الفقهيات.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «الزنا».

(٦) ـ ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾: أي: يقذفون زوجاتهم بالزنا، ذكر هذا بعد ذكر حكم قذف الأجنبيات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾: أي: لم يكن لهم شهود أربعة يقيمونهم على دعواهم، واستثنى ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ لأن عليهم اللعان، واللعان شهاداتٌ مؤكَّدة بالأيمان، فكانوا شهوداً باللعان.

وقوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرفع لأنه خبر المبتدأ، وقرأ الباقون بالنصب[1]؛ لوقوع فعل الشهادة عليه؛ أي: فيشهد أحدهم أربعَ شهادات بالله ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يحلف أربع مرات أنه صادق فيما رماها به من الزنا بعد التكلُّم بلفظة الشهادة: أشهد أني صادق فيما رميتها به من الزنا.

* * *

(٧) ـ ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: قرأ نافع: ﴿أنْ﴾ مخففةً ﴿لعنةُ الله﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بتشديد ﴿أَنَّ﴾ ونصب اللعنة[2].

وقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: يقول في المرة الخامسة: لعنة الله عليَّ إن كنت كاذباً فيما رميتُها به من الزنا.

* * *

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٨) ـ ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: أي: يدفع عن المرأة الحبسَ والجبرَ على اللعان، فإنها إذا امتنعت عن اللعان[1] حُبست وأجبرت عليه حقًّا للزوج ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾؛ أي: هذا يدفع عنها الحبس والجبر[2].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: تقول عند القاضي بعدما لاعن الزوج عند القاضي: أشهد بالله أن زوجي هذا كاذب فيما رماني به من الزنا.

* * *

(٩) ـ ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ بالنصب عطفاً على قوله: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾: وتشهدَ الخامسةَ، والباقون بالرفع[3]؛ أي: واللفظةُ الخامسة: أنَّ غضَب الله عليها.

﴿أَن﴾ بالتخفيف قراءة نافع وبالتشديد قراءة الباقين[4].

قوله: ﴿إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: أي: تقول في المرة الخامسة: غَضِبَ الله عليَّ إن كان هو صادقاً فيما رماني به من الزنا.

* * *

---

(١) «عن اللعان» من (أ).

(٢) في (ر): «والحد».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٤) وقراءة نافع: ﴿أَنْ غَضِبَ اللهُ﴾ بكسر الضَّاد في ﴿غَضِبَ﴾ ورفع ﴿اللهُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(١٠) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: حذف جواب (لولا) وهو أبلغ؛ لأن النفس تذهب في تقدير جوابه كلَّ مذهب.

وقال الكلبي: جوابه: لأظهر المذنب وفضحه.

وقال الحسن: جوابه(١): لعاجلكم بالعذاب فأهلككم.

وقال ابن عباس ومقاتلٌ: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ قرأها النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر، فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال: جعلني الله فداك، إن رأى رجلٌ منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جُلد ثمانين جلدةً وسمي فاسقاً ولا تقبل شهادته أبداً، فكيف لنا بالشهداء، ولو التَمسْنا الشهداء لكان الرجل فرغ من حاجته، وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له: عويمر، وله امرأة يقال لها: خولةُ بنت قيس بن مِحْصَنٍ، فأتى عويمرٌ عاصماً فقال: لقد رأيتُ شَريكَ بن السَّحْماء على بطن امرأتي خولةَ، فاسترجع عاصمٌ وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الأخرى فقال: يا رسول الله، ما أسرع ما ابتُليت بالسؤال الذي سألتُ في الجمعة الماضية في أهل بيتي، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك» فقصَّ عليه القصة، وكان عويمرٌ وخولةُ وشَريكٌ كلُّهم بني عمٍّ عاصم، فدعا رسولُ الله ﷺ بهم جميعاً فقال لعويمرٍ: «اتَّقِ الله في زوجتك وحليلتِك وابنةِ عمِّك فلا تقذِفْها» فقال: يا رسول الله، إني أقسم بالله أني رأيت شَريكاً على بطنها، وإني ما قربْتُها منذ أربعةِ أشهرٍ، وإنها حُبْلى من غيري، فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتَّقي الله ولا تخبري إلا بما صنَعْتِ» فقالت: يا رسول الله، إن عويمراً رجل غيور، وإنه رآني وشَرِيكاً نُطيل السهر ونتحدَّث فحملته الغيرةُ على ما قال يا رسول الله، فقال

---

(١) «جوابه» من (أ).

رسول الله ﷺ لشَريكٍ: «ما تقول؟» فقال: ليس إلا ما تقوله المرأة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ فأمر رسول الله ﷺ حتى نودي للصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر: «قم» فقام[١] فقال: أشهد بالله إن خولةَ لزانية[٢] وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثانية: أشهد بالله إني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثالثة: أشهد إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة: أشهد إني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: لعنة الله على عويمر ـ يعني: نفسه ـ إن كان من الكاذبين فيما قال، ثم أمره بالقعود ثم قال لخولة: «قومي» فقامت فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإنه ـ تعني: عويمراً ـ لمن الكاذبين، ثم قالت في الثانية: أشهد إنه ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الثالثة: أشهد إني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الرابعة: أشهد إنه ما رأى قط فاحشة علي وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الخامسة: غضب الله على خولة ـ تعني: نفسها ـ إن كان ـ تعني: عويمراً ـ من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال: «لولا الأيمان لكان لي في أمرهما رأي» ثم قال: «تحيَّنوا بها الولادة، فإن جاءت به أصيهِبَ[٣] أُثيبج[٤] يضرب إلى السواد فهو لشريك، وإن جاءت به أورق جعْداً جُماليًّا خدلَّج الساقين[٥] فهو لغير الذي رُميت به».

---

(١) «فقام» ليست في (أ).

(٢) بعدها في (ف): «زني بها».

(٣) تصغيرُ أَصْهَبَ، وهو الذي يَضْرِبُ شَعَرُه إلى الحُمْرةِ. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: ثبج).

(٤) تصغيرُ الأَثْبَجِ، وهو النَّاتِئُ الثَّبَجِ، وهو ما بَيْن الكاهِل ووسَطِ الظَّهر. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: ثبج).

(٥) الأورق: الأسمر، والوُرْقة: السمرة، والجُمالي: الضخم الأعضاء التام الأوصال، يقال: ناقةٌ جماليةٌ: مشبهةٌ بالجمل عظمًا وبدانةً. والجَعْدُ في صفات الرِّجال يكونُ مدحا وذمًّا: فالمدح مَعناه أنْ يكونَ =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فجاءت به أشبهَ خلقِ الله بشريكٍ[١].

ثم كلمات[٢] اللعانِ شهاداتٌ مؤكَّداتٌ بالأيمان، وإنما يجري بين الزوجين إذا كانا من أهل الشهادة مسلمَين حرَّين عاقلَين بالِغَين غيرَ محدودين في قذفٍ؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ استثنى ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ من جملة الشهداء فسمَّى ذلك شهادةً، ولأنه يشترط لفظة الشهادة ولفظة بالله، فدل على أن الشهادة[٣] مؤكَّدةٌ باليمين.

وقال النبي ﷺ: «لا لعانَ بين أهل الكفر وبين أهل الإسلام، ولا بين العبد وامرأته، ولا بين الحر وامرأته إذا كانت أمَةً»[٤].

= شديد الأَسْرِ والخَلْق، أو يكونَ جَعْدَ الشَّعَر، وأمَّا الذَّم فهو القصير المتردِّد الخَلْق، وخدلَّج الساقين: العظيم الممتلئ الساق. انظر: «النهاية» كل في بابه.

(١) ذكره عن ابن عباس ومقاتل الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٤ ـ ١٥)، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ١٨٤) دون قوله آخر الخبر: «ثم قال: تحيَّنوا بها الولادة...» إلى آخره، وهذه العبارة مخالفة للروايات الصحيحة، وفيها: أنها إن جاءت بِهِ أُصيْهِبَ أُثيبجَ فهو للزوج، وإن جاءت به أورَقَ جَعْداً جُماليًّا خدلَّج السَّاقيْنِ فهو للذي رُمِيَت به. وفي الخبر أعلاه زيادات أيضا على تلك الروايات. انظر حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داود (٢٢٥٦)، وحديثه أيضاً عند البخاري (٥٣١٠) وأطرافه، ومسلم (١٤٩٧)، وحديث سهل بن سعد عند البخاري (٤٧٤٥) و(٥٣٠٩)، ومسلم (١٤٩٢).

(٢) في (ر) و(ف): «ثم كان».

(٣) في (أ): «على أنها».

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه الدارقطني في «سننه» (٣٣٣٩)، والبيهقي في «سننه» (٧/ ٣٩٦)، من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «أَرْبَعٌ من النِّساءِ لا مُلاعَنَةَ بينهم: النَّصرانيَّةُ تحتَ المُسْلِمِ، واليهوديَّةُ تحتَ المُسْلِمِ، والمملوكةُ تحتَ الحُرِّ، والحُرَّةُ تحتَ المملوكِ». وضعفه الدارقطني وكذا البيهقي، ثم روياه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده موقوفاً، وضعف =

وقال الشافعي: هي أيمان، فتجري بينهما إذا كانا من أهل اليمين، لأن النبي ﷺ قال في هذا الخبر: «لولا الأيمانُ» ولأن الفاسق والأعمى من أهل اللعان بالإجماع، ولا شهادة لهما.

وقلنا: بل فيه معنى اليمين ومعنى الشهادة أيضاً، والفاسق والأعمى لهما شهادة، ولهذا ينعقد بهما النكاح عندنا، لكن في سائر المواضع لا يقبل للتهمة، والتهمة هاهنا غيرُ مانعة؛ لأن العدل يلاعن وهو متهم.

ثم أيُّهما نكَل حُبس وأُجبر عليه حتى يَلتعِن عندنا لأنه حق مقصود.

وعند الشافعي رحمه الله: أيهما نكَل حُدَّ؛ لأن قذف الرجل موجِبٌ للحد عليه، ويسقطه عنه اللعان، ولعان الزوج موجبٌ للحد عليها ولعانُها يسقطه عنها، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: الحدَّ، كما قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾.

وقلنا: لا معنى لإقامة الحد عليها بقول الزوج ولا بنكولها؛ لأن الحد لا يقام بالنكول، وأما العذابُ فيحتمِل الحبسَ والجبرَ.

ولا تقع الفُرقة عندنا من غيرِ تفريق القاضي، حتى لو مات أحدهما وَرِثه الآخر، ولو أكذب نفسَه فهي امرأته ولا يفرَّق بينهما.

وعن مالك وزُفَرَ رحمة الله عليهما: إذا فرغا وقعت الفُرقة.

وعند الشافعي رحمه الله: تقع الفُرقة بلعان الزوج، ثم لعانُ المرأة لدرءِ الحد عنها، ثم هما لا يجتمعان ما داما متلاعنين.

= البيهقي الموقوف أيضاً. وورد فيه رواية أخرى مرسلة عند عبد الرزاق في «المصنف» (١٢٤٩٨) عن ابن شهاب قال: من وصية النبي ﷺ عتاب بن أسيد: أن لا نكاح بين أربع...، فذكره بنحو الحديث السابق.

فإذا أكذَبَ الزوج نفسه أو بطَلت أهليةُ شهادة أحدهما جاز النكاح بينهما إلا عند أبي يوسف رحمه الله، والدلائل تعرف في الفقهيات.

* * *

(١١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيةَ: ويتصل بما تقدم من إيجاب حد القذف ونزولِ هذه الآيات في حقِّ عائشةَ الصدِّيقةِ زوجِ النبي ﷺ ورضي عنها.

وقصته ما روى الزهري قال: أخبرني عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله تعالى، وكلُّهم حدثني من حديثها طائفة، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، زعموا أن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى سفر[١] أَقْرَعَ بين نسائه أَيَّتُهنَّ خرج سهمها خرج بها[٢] معه، فأَقرع بيننا في غزوة بني الـمُصْطلِق فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزل الحجاب، قالت: فأُحمل في هودجي وأُنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته وقفَل ودنَوْنا من المدينة قافلين، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فسرت حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي فلمستُ صدري فإذا عِقدٌ لي من جَزْع ظَفَار قد انقطع، فرجعتُ فالتمستُ عِقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرَّهْط الذين كانوا يَرْحَلون لي[٣] فاحتملوا هودجي

(١) في (ف) و(أ): «إذا أراد سفراً».

(٢) في (ر) و(ف): «أخرجها».

(٣) في (ر) و(ف): «يرحلون بي»، وهي موافقة لرواية «مسند أحمد»، والمثبت موافق لرواية مسلم =

فرَحَلوه على بعيري الذي كنتُ أركب وهم يحسَبون أني فيه، وكان الناس إذ ذاك خَفافاً فلم يستنكِرِ القوم ثقلَ الهودج[1] حين رفعوه وكنت جاريةً حديثةَ [السنِّ] فبعثوا الجمل وساروا، ووجدتُ عِقدي بعدما استمرَّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيبٌ، فتيمَّمْتُ منزلي الذي كنتُ فيه وظننتُ أنهم سيفقدونني ويرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلبَتْني عيناي فنمتُ، وكان صفوان بن المعطَّلِ [السُّلَميُّ ثم] الذَّكْوانيُّ من وراء الجيش، فأَدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فعرَفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاسترجع فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرَفني، فخمَّرْتُ وجهي بجلبابي، وواللهِ ما تكلَّمنا بكلمةٍ ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه، حتى أناخ راحلتَه فركبتُها وانطلق يقودُ بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا في نحرِ الظهيرة، فهلَكَ مَن هلَك، وكان الذي تولَّى أمرَ الإفك عبدَ الله بن أبيٍّ ابنَ سَلُولَ لعنه الله.

فقدمنا المدينة فاشتكيتُ حين قدمتُ المدينة شهراً والناسُ يُفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يَرِيبُني في وجَعي غيرَ أني لا أعرف من رسول الله ﷺ التلطُّف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ ثم يقول: «كيف تِيْكم» ثم ينصرف، فذلك يَرِيبني ولا أشعرُ بالشر، حتى خرجتُ بعدما نَقَهْتُ، وخرجت مع أمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المناصع وهو متبرَّزنا، ولا نخرج إلا من

= وإحدى روايتي البخاري، وفي الرواية الثانية عند البخاري: (يُرحِّلوني).

(١) كذا في النسخ ورواية أحمد ومسلم: (ثقل الهودج)، وفي رواية البخاري: (خفة الهودج)، وهي أوضح، قال الحافظ: (لأن مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه، فكأنها تقول: كأنها لخفة جسمها بحيث إن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها...) وانظر توجيه الرواية الأولى في «الفتح» (٨/ ٤٦٠).

الليل إلى الليل، وذلك قبل أن نتَّخذ الكُنُف وهو قريب[١] من بيوتنا، وأَمْرُنا أمرُ العرب الأُوَل في البرية، وكنا نتأذَّى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأمُّ مسطحٍ ـ وهي بنت أبي رُهْمٍ[٢] بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر[٣] بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، خالةُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأم أبي بكر أمُّ الخير بنتُ صخر بن عامر بن عمرو، وابنُها مِسطح بن أُثاثةَ بنِ عَبَّاد بن المطلب[٤] ـ بن عبد منافٍ، فأقبلتُ أنا وأمُّ مسطحٍ قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثَرتْ أمُّ مسطح في مِرْطِها، فقالت: تَعِسَ مسطحٌ، فقلتُ لها: بئس ما قلت، أتسبِّين رجلاً شهد بدراً؟! فقالت: أيْ هَنْتاه! أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلتُ: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازدَدْتُ مرضاً على مرضي، فلما رجعتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ ثم قال: «كيف تيكُم» فقلت له: أتأذنُ لي أنْ آتيَ أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقِنَ الخبر من قبَلهما، فأذِنَ لي رسول الله ﷺ، فجئتُ أبويَّ فقلتُ لأمي: أي أمَّاه! ماذا يتحدَّث الناس؟ فقالت: أي بنيَّةُ هوِّني عليك، فوالله ما كانت امرأةٌ قط وضيئةٌ عند رجل يحبُّها لها ضرائرُ إلا أكثرنَ عليها، قلتُ: فقلتُ: سبحان الله! ولقد تحدَّث الناس بهذا؟! قالت: فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، قالت: ثم أصبحت أبكي.

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استَلْبَثَ الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: أمَّا أسامة فأشار على رسول الله ﷺ

---

(١) «وهو قريب» كذا في النسخ، وفي الصحيحين و«المسند» بدلًا منها: (قريباً).

(٢) في (ر): «زينب ابنة رهم».

(٣) في جميع النسخ: «وأمها أم صخر بنت عامر» والمثبت من الصحيحين و«المسند».

(٤) في (أ): «بن عبد المطلب» في (ف): «بن عباد بن عبد المطلب» بدل: «بن عباد بن المطلب».

بالذي يَعلم من براءة[1] أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودِّ، فقال: يا رسول الله، أهلُك ولا نعلم إلا خيراً، قالت: وأما عليٌّ فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساءُ سواها كثير، وأرسل إلى الجارية تَصْدَقْكَ، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرةَ فقال لها: «أي بريرةُ، هل رأيتِ من عائشةَ شيئاً يَرِيبك؟» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إنْ رأيتُ عليها أمراً قط أَغمِصُه عليها، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينِ أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلول، قالت: قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشرَ المسلمين، مَن يَعذِرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» قالت: فقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله، أنا أَعذِرك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أَمَرْتَنا ففعلنا أمرَك، قالت: وقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتمَلَتْه[2] الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبتَ، لعمرُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أُسَيد بن حُضَير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنَّه، فإنك رجل منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيتُ يومي ذلك كلَّه لا يَرقأ لي دمع ولا أكتحِل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيتُ يومين وليلتين لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، يظنان

---

(١) في (ف): «منزلة».

(٢) في (أ): «أجهلته».

أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما عندي وأنا أبكي استأذنتْ عليَّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ، ثم جلس في البيت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث لا يوحى إليه في شأني شيءٌ، فتشهَّد حين جلس ثم قال: «أمَّا بعدُ، يا عائشة، فإنه قد بلَغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً فسيبرِّئك الله، وإن كنتِ ألمَمْتِ بذنبٍ فاستغفري اللهَ وتوبي إليه».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته غاض دمعي حتى ما أُحسُّ منه قطرةً، فقلت لأبي: أجِبْ رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، فقالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جاريةٌ حديثة السن لا أقرأ[1] كثيراً من القرآن: وقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدَّقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة ـ والله يعلم أني منه[2] بريئة ـ لا تصدِّقونني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمر ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدِّقُنِّي، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: ثم تحوَّلْتُ فاضطجَعْتُ على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله سيبرِّئني ببراءتي، ولكن ما كنتُ أظن أن الله يُنزل شيئاً في شأني من الوحي يُتلى، ولَشَأني كان في نفسي أحقرَ من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يُتلى، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرِّئني الله[3] بها.

---

(١) من هنا بداية سقط من النسخة (ر) وسنبين آخره في مكانه.

(٢) «منه» من (ف).

(٣) في (ف): «رؤيا أبرأ بها».

قالت: والله ما قام رسول الله ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء حتى أنه ليتحدَّرُ منه مثلُ الجُمَانِ من العرق في اليوم الشاتي من ثقلِ القول الذي أنزل عليه، قالت: فسرِّي عن رسول الله وهو يضحك، فكانت أول كلمةٍ تكلَّم بها أن قال: «يا عائشة، أما والله لقد برَّأك الله»، قالت أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، قالت: قلت: لا والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله، وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ الآياتِ كلَّها.

فلما أنزل الله الآيات في براءتي، وكان أبو بكر الصدِّيق ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره، فقال: والله لا أنفق على مسطحٍ شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ الآية، فلما أنزلت الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطحٍ بالنفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعُها عنه أبداً[1].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أخبر بما كان غيباً عنهم؛ لأنهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفار دون مَن كان من المؤمنين، فقال: إن الذين أتوا بالكذب[2] في أمر عائشة ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: طائفة منكم معشرَ المسلمين، وهذا تعجيبٌ من استزلال الشيطان أهلَ الإيمان بمثل هذا من العصيان.

قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾: أي: لا تظنُّوه شرًّا أصابكم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: بل هو لكم خيرٌ ولهم شرٌّ، لأن في ذلك أجراً لكم وتكفيراً لخطاياكم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾: أي: على كلِّ واحد منهم عقوبةُ ما اكتسب من الوِزر على قَدْر سعيه في إشاعةِ ذلك والقولِ به.

---

(١) رواه البخاري (٤١٤١) و(٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٥٦٢٣).

(٢) في (ف): «بالإفك».

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾: أي: والذي فعل بنفسه معظَم ذلك ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من العصبة ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أعظم من عذابِ مَن هو دونه.

قيل: هو الذي بدأ به.

وقيل: هو الذي كانوا يجتمعون عنده ويتكلَّمون به ويؤذون(١) إلى عائشة بذلك، وهو عبد الله بن أُبيٍّ ابنُ سَلُولَ لعنه الله، وكان رأسَ المنافقين، ودخل في قوله تعالى: ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ ـ وهم المؤمنون ـ لإظهاره الإيمان.

وقيل: والذي تولَّى كبرَه حسان بن ثابت، وابن أبيٍّ، وأَروى، ومسطح بن أثاثة(٢).

وروي أن النبي عليه السلام جلد في هذا رجلين وامرأةً(٣)، ودخلت في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم﴾ لأنه كلمةُ جمع، والأنثى تدخل في جمع الذكور باسمهم.

* * *

(١٢) ـ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾: أي: هلَّا إذ سمعتُموه ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: بأمثالهم كما قال: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: كذب ظاهرٌ ولا يليق بهما، وعائشةُ هي زوجة رسول الله وأحبُّ الناس(٤) إليه.

---

(١) في (ف): «ويودون».

(٢) ذكره البخاري (٤٧٥٧) معلقاً، ومسلم (٢٧٧٠/ ٥٨) متصلًا، من حديث عائشة رضي الله عنها، لكن فيه: (حمنة)، مكان كلمة: «أروى».

(٣) رواه أبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في (ف): «نسائه».

وقال القشيري رحمه الله: بيَّن الله تعالى بهذه القصة أنه لا يُخْلي أحداً من المحنة والبلاء في المحبة والولاء، والمحنة من أقوى[١] أركان المحبة، قال رسول الله ﷺ: «يُمتحَنُ الرجل على قَدْر دينه»[٢] وإن الله ليغار على قلوب خواصِّ عباده، فإذا حصلت مساكنةٌ لبعضٍ إلى بعضٍ أجرى الله ما يردُّ كلًّا عن صاحبه، فيردُّه إلى نفسه، وفي ذلك قالوا:

إذا عَلِقَتْ رُوحي حَبيباً تعلَّقتْ ... به غِيَرُ الأيام كي تسلُبَنِّيا[٣]

وإن النبي عليه السلام لمَّا قيل له: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة»[٤].

وقالت عائشة: يا رسول الله، إني لأحبُّك وأحبُّ قربك[٥].

فأجرى الله حديثَ الإفك حتى انصرف قلبُ رسول الله، فكان لا يزيد على قوله: «كيف تيكم» وانصرف قلبها حتى قالت عند ظهور البراءة: نحمد الله لا نحمدك[٦].

* * *

(١٣) ـ ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «أقوى من»، والمثبت من «اللطائف».

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) في (أ): «غير الأيام تسلبنه»، وسقط البيت من (ف)، والمثبت من «اللطائف».

(٤) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: والله إنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ، وأُحبُّ ما سَرَّكَ.

(٦) في (ف): «بحمد الله لا بحمدك»، ومثله في مطبوع اللطائف. انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧).

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾: أي: العُصْبة ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾: إن كانوا صادقين فهلا أقاموا أربعة شهود[١].

قوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله؛ كما يقال: جوابه عند أبي حنيفة رحمه الله كذا وعند الشافعي كذا، وهذا في كلِّ الناس: مَن قذف ولم يُقم عليه بينة فهو كاذبٌ في حكم الشرع، به يسمى وإليه ينسب وإن كان صادقاً في الباطن، ولو أقام بينةً عُدَّ صادقاً وإن كان كاذباً في الباطن.

وقيل: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في علم الله، وهذا يكون في حديث عائشة رضي الله عنها على الخصوص؛ لأن الله تعالى علِم كذبَ قذفِها[٢].

وتأويل الآية على هذا القول: لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فيكونَ لهم حجةٌ في الظاهر على صدقهم، فإذ[٣] لم يأتوا بالشهداء فاعلموا أنهم عنده[٤] كاذبون في الباطن كما هم كاذبون عندكم في الظاهر.

وفائدة هذا الكلام: أنهم لو أتوا بأربعة شهداء لكانوا غيرَ كاذبين في الظاهر، وكاذبين في الباطن.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) «فهلا أقاموا أربعة شهود» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «لأن الله تعالى كذَّب قذَفَتَها».

(٣) في (ف): «وإن».

(٤) في (ف): «عندي».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أي: ولولا فضله عليكم ورحمته بأنْ لا يعاجلَكم بالعقوبة وبسَطَ لكم مدةَ التوبة ويقبلُ توبتكم، وهو فضلُه ورحمته في الدنيا، ثم يغفر لكم ويرحمكم يوم القيامة إذا أتيتم تائبين، ولا يعذبُكم ويتفضَّل عليكم فيدخلكم الجنة، وهو فضل ورحمة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي: لنالكم فيما خُضتم فيه من الإفك عذابٌ عظيم تعاجَلون به.

وقيل: معناه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسَّكم فيما أفضتُم فيه عذابٌ عظيم في الدنيا والآخرة جميعاً، ولكنه تفضَّل عليكم ورحمَكم بأن يسترَ[1] عليكم في الدنيا وقَبِل توبتكم وأزال عنكم العذاب في الدارين بالتوبة.

* * *

(١٥) - ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: يرويه بعضُكم عن بعض.

وقيل: أي: تأخذونه؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وأصله: (تتلقَّونه)، وهي قراءة أبيِّ بن كعبٍ، وقراءة عائشة: (تَلِقُونه) بكسر اللام وتخفيف القاف[2] من الوَلَق وهو الكذب.

وقيل: السرعة في الكذب.

---

(١) في (ف): «تفضل عليكم بأن ستر».

(٢) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢).

ومعنى التلقي بالألسنة: أن التلقِّيَ قد يكون بغيرِ الكلام، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]، وذلك أخذٌ وكتابة من غير اختصاصٍ بالقول.

وكان تلقيهم بالألسنة: أن بعضهم كان يقول لبعض: هل بلغك حديث عائشة؟ حتى فاض ذلك فيما بينهم.

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: والتقييد بالأفواه أيضاً: أنه لا حقيقة له فهو مقتصِر على وجودها بالأفواه لا غير، وهو كقوله تعالى في الظهار: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤].

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾: يسيراً لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ تستحقُّون به العقوبة لإيذائكم رسول الله ﷺ وزوجةَ رسوله، وإشاعةِ الفاحشة في المنزَّهة عنها.

ومعنى ﴿عَظِيمٌ﴾: منكرٌ شنيع، وإطلاقه في ذلك متعارفٌ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾: أي: هلا إذ سمعتُم هذا الأفك قلتُم: ما يحلُّ لنا في دين الله أن نتكلَّم بهذا الإفك.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ كلمة تعجُّبٍ؛ أي: العجب ممن يتكلم بهذا قال الأعشى:

أقـولُ لـمَّـا جـاءني فـخـرُه ... سبحان مـن علقمـةَ الفاخـرِ[1]

وقيل: أي: ننزِّهك عن أن نعصيَك نحن بالقذف.

---

(١) انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٣٢٤)، وعلقمة هو ابن علاثة، والبيت في هجائه.

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾: كذبٌ شنيع، وذكر في الآية المتقدمة: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ فيجوز أن يكونوا أُمروا بأن يتكلَّموا بالكلامين جميعاً مبالغةً في التبرُّؤ عن قبوله واعتقاده.

ويجوز أن يكون الثاني تكلُّماً باللسان، فقد ذكره بعد التصريح بالكلام: ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ والأول في القول في النفس، فقد ذكره في الظن[1]: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ فلا يكون تكراراً، ويكون مجموعهما: يقولون في أنفسهم: لا نعتقد هذا، ويقولون بألسنتهم: نتبرأ[2] من تجويز هذا.

* * *

(١٧) ـ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾: أي: يحذركم الله أن تعودوا إلى مثل ما فعلتُم من القول به وسماعه وتلقِّيه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يوجب الاتِّعاظ بوعظِ الله تعالى.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: أي: علاماتِ الدِّين التي يجب أن يُتديَّنَ بها.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكم وبأعمالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ يجزي على وَفْق العمل[3].

* * *

---

(١) في (ف): «بعد» بدل: «في الظن».

(٢) في (ف): «نبرأ».

(٣) في (ف): «﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قلتم ﴿حَكِيمٌ﴾ بالمجازاة».

(١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: تُنشَر المقالة السيئة الشنيعة القبيحة في المؤمنين كهذا الإفكِ من غيرِ صحةٍ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ و(في المؤمنين) على هذا له وجهان:

أحدهما: أنهم هم المقذوفون؛ أي: يسيئون القول فيهم.

والثاني: ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: بين[١] الذين آمنوا وهم السامعون؛ أي: يقذفون إنساناً ويظهرونه فيما بين المؤمنين.

والعذاب في الدنيا: حدُّ القذف، وذاك بالقذف.

وفي الآية ذكر ﴿يُحِبُّونَ﴾ لكنْ لمَّا قال: ﴿أَن تَشِيعَ﴾ عُلم أنهم[٢] هم الذين أظهروا ما أَحَبُّوا بلسانهم بالتكلُّم بكلمة القذف.

وعذاب الآخرة: النار وسائرُ العقوبات إن لم يتوبوا.

وقال قتادة: ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾؛ أي: يظهر الزنا[٣].

ومعناه: أنهم إذا أشاعوا عن عائشة رضي الله عنها أنها فعلت كذا قالت النساء: إذا ارتكبت عائشة ـ وهي زوجةُ النبي عليه السلام ـ هذا فكيف بنا؟ فيقعن في الزنا ويظهرُ ذلك منهن، فيكون المتكلِّم بهذا على الإفك مسبِّباً ظهور الزنى في النساء، وله عذاب الدنيا والآخرة.

---

(١) في (أ): «من».

(٢) في (ف): «أي قلوبهم لأنهم» بدل: «علم أنهم».

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٦١).

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: أي: مقاديرَ الجنايات والعقوبات.

وقيل: والله يعلم مَن الذي يحب أن تشيع الفاحشة، قالوا: وكان ذلك عبدَ الله بن أبيٍّ ابنَ سلولَ لعنه الله، وهو كقوله تعالى: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠١].

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾: أي: لعاجلكم بالعقوبة على ما فعلتُم.

وقيل: معناه: ولولا فضل الله عليكم ورحمتُه بإنزال الوعيد(١) على إشاعةِ الفاحشة لشاعت.

* * *

(٢١) ـ ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: أي: لا تسلكوا مسالكه، ولا تتَّبعوا أثاره ـ وهي وساوسُه ـ بالإصغاء إلى الإفك والقولِ به.

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾: أي: مَن اتَّبع ذلك ارتكب الفحشاء والمنكر، فإن الشيطان لا يأمر إلا بهما، وهذا بيانٌ أنه إذا كان كذلك لم يجز طاعتُه ولم يَصلح اتِّباعه.

---

(١) في (ف): «العذاب».

والفحشاء: ما فيه حدٌّ، والمنكر: ما لا حدَّ فيه[1].

وقيل: الفحشاء: القبيح، والمنكر: ما هو في نهاية القبح.

ومعنى الفحشاء لغةً: الفعلة المفرِطةُ القبحِ، ومعنى المنكر: ما لا يعرفه العقل والشرع.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: أي: ولولا توفيقُ الله وعصمتُه ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾؛ أي: ما طهُر أحد منكم من دنَس الذنوب أبداً، بل وقعتم فيها لأهواء النفوس وإغواء الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾: أي: يطهِّر، ودلَّ هذا على أن الله خالقُ الأفعال، وهو حجَّتُنا على أهل الضلال.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: أي: للأصوات ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: بالأسرار، لا يَخْفَى عليه متَّبعُ الشيطان من غيره، والزكيُّ مِن غيره، وهو ترغيبٌ وترهيب.

***

(٢٢) ـ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾: قيل: أي: لا يحلفْ، وفيه لغتان: آلى يؤلي إيلاء، قال: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وائتلى يأتلِي ائتلاءً، قال زهير:

إنْ تَصْرِميني فإني مُؤْتَلٍ قَسَماً ... بالله ليس على مَن قالها زورُ[2]

---

(١) في (ف): «له».

(٢) لم أقف عليه.

وقال أبو عبيدةَ وقطربٌ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾؛ أي: لا يقصِّر، وقد أَلَى يألُو أَلْواً[١]؛ أي: قصَّر، قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]؛ أي: لا يقصِّرون في إفساد أمركم، وائتلَى كذلك؛ قال امرؤ القيس:

أَلَا رُبَّ خصمٍ فيكِ أَلْوَى ردَدْتُه نصيحٍ على تَعْذالِهِ غيرِ مؤتَلِ[٢]

﴿أُوْلُواْ الْفَضْلِ﴾؛ أي: أولو الفضيلة في الدين والسَّعة؛ أي: الغنى في المال، والواسع: الغني.

وقيل: ﴿أُوْلُواْ الْفَضْلِ﴾؛ أي: أولو الإفضال؛ أي: المشهورون بذلك.

ثم المنكرون فضلَ أبي بكر يحملون هذا الفضلَ على فضل المال، لكن لا معنى له لأنه مستفاد من قوله: ﴿وَالسَّعَةِ﴾، فعُرف أن الفضل ليس بذلك لأنه مُعادٌ محضٌ، بل هو الفضل في الدين.

قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يعطوا أقرباءهم المساكين المهاجرين، وإدخالُ الواو لاختلاف الصفات، والموصوفون طائفةٌ واحدة.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٦٥)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠٢)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣١٠)، و«الغريبين» للهروي (مادة: ألو)، وقد غلَّط ابن عرفة هذا القول كما ذكر الهروي، قال: لأن الآية نزلت في حَلف أبي بكر ألا ينفق على مسطح، فالمعنى: لا تحلفوا.

ولفظ «مجاز القرآن»: (مجازه: ولا يفتعل، من «آليت»: أقسمت، وله موضع آخر من ألوت بالواو).

(٢) انظر: «الديوان» (ص: ٤٧)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٥٨)، وفيه: يقول: ألا ربّ خصمٍ شديد الخصومة كان ينصحني على فرطِ لومه إياي على هواكِ غيرَ مقصِّر في النصيحة واللوم، ردَدْته ولم أنزجر عن هواك بعذله ونصحه. وتحرير المعنى: أنه يخبرها ببلوغ حبه إياها الغاية القصوى، حتى إنه لا يرتدع عنه بردع ناصح ولا ينجع فيه لوم لائم.

وقيل: هم جمعٌ أريد بهم الواحد، وهو مسطحُ بن أُثَاثَةَ الذي ذكرناه في القصة، وقع في الإفك بشؤم صحبةِ ابن أُبيٍّ، وكان جلس تلك الساعة عنده، وحلف أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه أن لا ينفق عليه بعد هذا، وكان في نفقته، فنزلت فيهما هذه الآية.

وفيه بيانُ فضل الصدِّيق من وجوه:

أحدها: أنه نهاه مغايبةً وهو تشريفٌ.

وسماه (أولي الفضل) فدل على فضله من وجهين: من جهة الجمع، ومن جهة التنصيص على الفضل.

وحثَّه على إيتاء أولي القُربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وكان مسطحٌ قريبَه ابنَ بنت خالته، وكان مسكيناً، وكان مهاجراً، وفيه بيان فضل مسطحٍ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا﴾: أي: وليتجاوزوا عن الجفاء ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾؛ أي: وليُعْرِضوا عن العقوبة، وهما أمران مغايبة أيضاً[1].

قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: وهذا غايةُ تلطُّفٍ في الخطاب؛ أي: فإذ أحببتُم مغفرة الله لكم فاغفروا لغيركم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: فتأدَّبوا بإذن الله واغفروا وارحموا.

ولما نزل: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو بكر: بلى رب، ثم عاد لمسطح إلى ما كان وكفَّر يمينه[2].

---

(١) «مغايبة أيضاً» ليس في (ف).

(٢) قطعة من حديث الإفك الطويل عن عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم تخريجه قريباً.

ثم السبب وإن كان خاصًّا فاللفظ عامٌّ، وهو جمعٌ، فكان خطاباً لكلِّ مَن كان ذا فضل وسعة في حق كلِّ ذي قربى ومسكينٍ ومهاجر.

وقال الضحاك: ولما نزل عذرها من السماء قال أبو بكر رضي الله عنه وآخرون من المسلمين: والله لا نَصِلُ رجلاً تكلَّم بشيء من أمر عائشة، ولا نتصدَّق عليه، ولا يكون بيننا وبينه خيرٌ أبداً، فنزلت الآية(١).

وقال القشيري: تحرَّك في الصدِّيق رضي الله عنه عرقٌ من البشرية حتى همَّ بقطع الرِّفق من مسطحٍ، فأبى الله تعالى له ذلك وأنزل هذه الآية، فلم يرض من الصدِّيق أن يتحرك فيه عرقٌ من الأحكام النفسية والمطالبات البشرية، فعاد لِمَا كان يفعله من الإحسان إليه، والإحسانُ إلى المحسن مكافأةٌ، وإلى مَن لا يسيء ولا يحسِنُ فضل، وإلى الجاني(٢) فتوةٌ وكرم.

وقال في قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾: العفو: أن يتجاوز عن الجاني، والصفح: أن يتناسى جُرمه.

وقيل: العفو بالفعل، والصفح بالقلب فلا يبقى فيه كراهة، وأنشدوا:

رُبَّ رامٍ لـي بأحـجـارِ الأذى ... لـم أجـد بـدًّا مـن العطف عليه

فـعـسـى يـطَّـلـعُ الله عـلـى ... فرح(٣) القـوم فيدنيـني إليـه(٤)

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٥).

(٢) في (ف): «الخاطئ».

(٣) في (ف): «فرج»، وفي مطبوع «اللطائف»: (قدح).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢). والبيت الأول نسب مع بيتين آخرين للبهلول بن عمرو المجنون كما رواه البيهقي في «الشعب» (٨٠٩٥).

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: أي: يقذفون العفائف ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾؛ أي: عن الفواحش؛ أي: لا يفكِّرن فيها ولا يتعرَّضن(١) لها ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ بكلِّ ما يجب الإيمان به، وفيه إثبات هذه الصفات لعائشة رضي الله عنها.

قوله: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: أي هؤلاء القذَفةُ أُبعدوا في الدنيا عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي: وفي الآخرة عن رحمة الله، ويتكلَّم المؤمنون في الدنيا بلعنهم، والملائكةُ في الآخرة، وكذلك أهل الموقف، وكذلك أهل النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال: ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

والآية في عبد الله بن أبيٍّ المنافقِ وأصحابه، وكان الله تعالى علِم منهم الموتَ على النفاق فألزمهم اللعنة(٢) في الدارين.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في حقِّهم أيضاً.

وبهذا التأويل ينقضي سؤال مَن قال: ذكر في أول هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور: ٥] فجعل لهم توبةً والتائبُ لا يكون له لعنةُ الآخرة، لكن نقول: هذه الآية الثانية في حق المنافقين، ولا توبةَ لهؤلاء المنافقين المخصوصين.

وقيل: إن الله ينتقم لأوليائه بأبلغَ مما ينتقم في حقِّ نفسه، قال في حق اليهود

---

(١) في (أ): «يعترضن».

(٢) في (أ): «النقمة».

الذين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ولا كلامَ أشنعُ منه: ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: ٦٤] فأطلق ولم يقل: في الدنيا والآخرة.

وقال في حقِّ قذَفةِ المحصَنات خصوصاً زوجةَ رسوله عائشة رضي الله عنها: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

***

(٢٤) ـ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَشْهَد﴾ بياء التذكير لتقدُّم الفعل الحائل، والباقون بالتاء لأنها فعلُ الألسنة وهي جمعٌ[1]؛ أي: ولهم عذابٌ عظيم يومَ تشهد عليهم ألسنتهم بالإفك الذي جاؤوا به، فتعترِف، فيُقذفون بذلك في النار.

﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أي: ثم تشهد الأيدي والأرجلُ بسائر المعاصي التي عملوا بها، ولا يعارض هذا قولَه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] وشهادةُ الألسنة مع الختم على الأفواه لا تتحقق= لأن ذلك يكون في حالٍ وهذا في حالٍ، ولأن هذا في حق القَذَفة وذاك في حق[2] الكفار الذين يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيُختم على أفواه أولئك.

وقال النبي عليه السلام: «إذا كان يومُ القيامة يقول الكافر: إنك وعَدْتني أنْ لا تَظْلِمني، وإني لا أقبل اليومَ عليَّ إلا شاهداً من نفسي، فيَختم الله على لسانه ويُشهِد

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) «حق» ليس من (ف).

عليه جوارحَه بما عمل بها من المعاصي، ثم يُنطق الله لسانه فيقول لجوارحه: أفٍّ لكنَّ فعنكنَّ كنتُ[١] أناضل»[٢].

وقال القشيري: كما يشهد على قومٍ يشهد لقومٍ: العينُ بالبكاء، واليد بالعطاء، وكذا سائر الأعضاء، وتشهد في الدنيا أيضاً على المحبة بآثارها: من صُفرة الوجوه، وشُحوب اللون، ونحافة الجسم، وجَرْي الدمع[٣].

* * *

(٢٥) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾: أي: حسابَهم؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]؛ أي: الحساب المستقيم، وإيفاء الحساب إيفاءُ الجزاء؛ قال تعالى: ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: ٣٩].

وقيل: الدِّين هو الجزاء؛ يقال: كما تَدِين تُدَان[٤]؛ أي: كما تفعل تجازَى به.

و﴿ٱلْحَقَّ﴾ صفة له؛ أي: هو حقٌّ مستحَقٌّ ولا جورَ فيه بزيادةِ عذاب على غيرِ ذنب ونقصانِ ثوابٍ على طاعةٍ.

---

(١) في (ف): «ففيكن» بدل: «فعنكن كنت».

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٦٢) من طريق أبي قلابة عن النبي ﷺ مرسلًا. ومن طريق عبد الرزاق رواه أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٢) لكن عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قوله. وله شاهد موصول من حديث ابن عمر رضي الله عنه رواه ابن عدي في ترجمة محمد بن عبد الملك وضعفه. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» لابن حجر (ص: ٣).

وقال أبو عبيد[1]: هو كقوله: دينَهم حقاً؛ أي: صدقاً، ثم عرَّفه باللام.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: على الحقيقة ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ ذلك بالبراهين.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾: أي: الكلمات الخبيثات للرجال الخبيثين؛ أي: كلمات القذف إنما تليق بالفسَّاق.

قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾: أي: الفساق هم الذين يليق بهم الكلام الخبيث.

وقيل: الخبيثات من الكلام إنما تُلصق بالخبيثين لا بالطيبين، وعائشة طيبةٌ اختارها الله لصحبة نبيِّه فلا يُلصق بها هذا.

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾: أي: الكلمات الطيِّبة للرجال الطيبين ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ كذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وقال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]، فدلَّ أن الكلمة توصف بالخبيث والطيب، والخبيثون والطيبون يتناول الذكورَ والإناث جميعاً.

وقيل: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ ﴾ من القول والعمل ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال، وعلى هذا بقيَّتُه.

وقيل: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ ﴾ من النساء ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال، وكذا بقيَّتُه، وفيه

---

(١) في (ف): «عبيدة». ولم أقف عليه عن أي منهما.

تبرئةُ[١] عائشةَ رضي الله عنها لِمَا أنها زوجةُ رسول الله ﷺ، فهي طيبةٌ لزوجٍ طيبٍ، وامرأةُ المنافق القاذف[٢] خبيثةٌ لزوجٍ خبيث.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: قال بعض المفسرين: هي عائشة.

وقيل: عائشةُ وصفوانُ. وهو جمعٌ أريد به الواحد أو الاثنان.

وقيل: أي: الطيباتُ والطيبون مبرَّؤون مما يقول الخبيثاتُ والخبيثون، واندرج في ذلك عائشة وصفوان رضي الله عنهما.

وقيل: هذا يعم الصِّنفين؛ أي: الطيبات والطيبون مبرَّؤون عن كلام خبيثٍ[٣] يقال فيهم، والخبيثات والخبيثون مبرَّؤون عن كلامٍ طيب يقال فيهم.

قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أي: في الجنة، وهذا لعائشةَ رضي الله عنها وصفوانَ، أو لكلِّ الطيبين والطيبات.

والقشيريُّ رحمه الله أجرى الخبيثات والطيبات في الأقوال والأفعال والأحوال والأموال، والطيبين والخبيثين على الرجال والنساء، فأطال وأطاب[٤]، وحمل الكلَّ أيضاً على الأشخاص.

وقرَّر من وجهٍ آخر فقال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ من الأشخاص وهنَّ المبرَّآت من وهج الخطر، المتنقِّيات عن سَفْساف أخلاق البشرية، [و]من التعريج في أوطان الشهوات ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال الذين هم قائمون بحقِّ الحقِّ لا يصحبون الخلق

---

(١) في (ف): «تنزيه».

(٢) «القاذف» ليست في (ف).

(٣) في (أ): «عن خبث».

(٤) «فأطال وأطاب» ليست في (ف).

إلا للتعفُّف دون استجلابِ الشهوات ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ في المآل ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الحال، وهو ما ينالون من غيرِ استشرافٍ وطمعٍ وتعب[١].

* * *

(٢٧) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾: وهو تأديبٌ بما يرجع إلى السَّتر والتحرُّز عن الاطِّلاع على عورة.

يقول: لا يدخلنَّ أحدُكم بيتَ غيره[٢] مغافصةً[٣] حتى يستأنس؛ أي: يبصرَ هل في البيت إنسان؟ فإن كان، قال: السلام عليكم أدخل؟ فإنْ أُذن فليدخل، وأضمر في آخره: وتسلموا على أهلها مستأذِنين فيؤذن لكم، وصحَّ هذا الإضمار لأن الكلام سيق له فعرف[٤] ذلك فيه، وبما بعده أيضاً وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية.

قال الفرَّاء: الاستئناس: النظر، يقال: اذهب فاستأنِسْ: هل ترى أحداً[٥]؟ وقال تعالى: ﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠٤).

(٢) في (ف): «بيتاً غير بيته» بدل: «بيت غيره».

(٣) من غافصه: فاجأه، وأخذه على حين غرة. انظر: «القاموس» (مادة: غفص).

(٤) في (ف): «يعرف».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٩).

وقال القتيبي: الاستئناس: الاستئذان والاستعلام، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]؛ أي: عَلمتُم[١].

وقيل: هو طلب الأُنس وسؤالُه، ومَن استأذَن فأُذن له وقع له به الأُنس.

وروي أنهم كانوا لا يستأذن الواحد منهم قبل الدخول، لكن يفتح ويدخل ويقول: قد دخلت، فربما شقَّ ذلك على الرجل، فنزلت الآية[٢].

وقال السُّدِّي: الاستئناس: التنَحْنُح والتنخُّع[٣].

وقال عكرمة: التسبيح والتكبير[٤].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: أنفعُ لكم في دينكم ودنياكم، أما في الدِّين فإحرازُ الثواب بالائتمار[٥]، وأما في الدنيا فلأن مَن دخل بغيرِ إذنٍ فلعله يهجم على ما يسوءه أو يسوء المدخولَ عليه.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعظون بمواعظ الله فتؤْجَرون به، فذلك هو الخير.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٥) عن مقاتل بن حيان.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٨٤) وتنخع: رمى نُخامته، والنُّخامة: النُّخاعة. وفي الثعلبي: (والتنخم)، ومعنى تنخم: ألقى بشيء من صدره أو أنفه. انظر: «القاموس» (مادة: نخع ونخم).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٨٤).

(٥) في (ف): «فبإحراز أبواب الائتمار».

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ وقال المبرد: أي: فإن لم تعلموا، يقال: وجدت زيداً كريماً؛ أي: علمتُه كذلك، ولو حُمل على حقيقة الوجود فذاك يكون بعد الدخول وهو غير مطلَق قبل الإذن.

قوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾: أي: إن قيل لكم بعد الاستئذان: ﴿ارْجِعُوا﴾ فلا تدخلوا بغير إذن، ولا تقعدوا على الباب أيضاً، بل ارجعوا ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: أطهر لكم وأبعدُ عن التدنُّس بالإثم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: من طاعة ومعصية في هذا الأمر وغيره، لا يخفى عليه ذلك ولا يعجز عن جزائه، وهو ترغيب وترهيب.

* * *

(٢٩) ـ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

وقال مقاتل: ولما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، أرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[(١)]: وهي الخانات الموقوفة والرِّباطات، والخَرِبات التي يدخلها الإنسان لقضاء الحاجة، وهي كالأسواق[(٢)] وُضعت لمنافع العامة، والحاجةُ إلى الأذن كانت لحقِّ المالك أو الساكن فيه بحقِّ مِلكٍ أو إجارةٍ، فإذا انعدم ذلك سقط الاستئذان.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٠) عن مقاتل بن حيان، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٥).

(٢) في (أ): «وهي من الأسواق».

وقوله: ﴿أَن تَدْخُلُوا۟﴾؛ أي: في أن تدخلوا.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾: أي: منفعةٌ وتمتُّع، وقيل: أي: ثوبٌ ونحوُه.

قال مجاهد: وكانت الطرق والمساكن إذ ذاك آمنةً، فكان الرجل يضع حرَّ متاعه في رباطٍ أو بيتٍ ويغلق بابه ويمرُّ، فإذا جاء وجد متاعه بعينه، فذلك قوله: ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من قولٍ وعملٍ، وهو عامٌّ.

وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ في الاستئذان: هل تقصدون به الطاعة أو غيرَ ذلك؟ وفيه تنبيهٌ على إصلاح النية في كلِّ شيء.

***

(٣٠) ـ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾: وهذا يتَّصل بالستر أيضاً كالذي سبق؛ أي: قل يا محمد للرجال المؤمنين يغضُّوا[2] أبصارهم عما لا يحلُّ النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾؛ أي: يستروها عن أن يراها[3] مَن لا يحلُّ له رؤيتُها.

وقيل: أي: يحفظوها عن أن يواقعوا بها محرَّماً.

والأول أشبه؛ لأن الآية فيما يحلُّ النظر إليه وما لا يحل.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٩).

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) «أن يراها» ليس في (ف).

ثم زاد كلمةَ ﴿مِنْ﴾ في الأبصار دون الفروج، ولذلك وجهان:

أحدهما: أن ﴿مِنْ﴾ صلة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الحاقة: ٤٧]؛ أي: أحدٌ، وكان يجوز حذفها منهما وإدخالها فيهما، فجاز حذفها من أحدهما والإدخال في الآخر.

وقيل ـ وهو الوجه الثاني ـ: أن ﴿مِنْ﴾ للتبعيض، وليس كلُّ نظرٍ محرَّماً، فأَمر بالغضِّ من الأبصار ليكون مقصوراً على ما حرِّم منه دون ما حلَّ، ووجوه الحلِّ فيه أكثر فذكر حرف التبعيض، والفروج كذلك لكن[1] وجوه الحرمة فيها أكثر فأطلق الأمر لحفظها دلالةً على الشمول.

وقيل: ﴿مِنْ﴾ ليس للتبعيض، بل فعلُ الغضِّ يستعمل مع هذه الصلة؛ يقال: فلان يغض من بصره؛ أي: ينقص من بصره[2].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾: أي: أطهرُ وأبعدُ عن دَنَس الإثم و﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ترغيبٌ وترهيب كما قلنا.

❊ ❊ ❊

(٣١) ـ ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «لأن».

(٢) في (ف): «نظره».

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: ولعِظَم هذا الأمر خصَّ النساء وأفردَهن بهذين الأمرين[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: أي: ولا يُظهِرْن مواضعَ الزينة، فهذا مضمر، وهذا لأن إظهار عينِ الزينة ـ وهي الحليُّ وغيرُها ـ غيرُ منهيٍّ عنه، بل أريد بها مواضعُها، أو إظهارُها وهي في مواضعها؛ لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها.

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: وشَقَّ سَترُه، واختُلف في تفسير هذا المستثنى الذي لا يَحرُم كشفُه على المحارم والأجانب جميعاً:

قيل: الزينة: الثياب؛ كما في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ أي: لباسكم، فقد كانوا يتعرَّون، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هو الملاءة والبُرقع والخفاف، فعلى قول القائلين بهذا: لا يحل النظر إلى شيء منها ومن ثيابها إلا إلى ملاءتها وبرقعها وخُفِّها الظاهرةِ عليها، ولا يحل لها إظهارُ شيء منها إلا هذا، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.

وقيل: الزينة: الحليُّ، ومواضعها: الأعضاء المخصوصة بها، ومواضع الزينة المطلقة منها هذه الأشياء:

الرأس: لأنه موضع الإكليل.

والشعر: لأنه موضع العِقاص والدُّرَيهمات.

والأذن: لأنها موضع القُرط.

والعنق: لأنه موضع القِلَادة.

---

(١) في (ف): «الذكرين». وهنا نهاية السقط من النسخة (أ).

والصدر: لأنه موضع الوشاح.

والعضدين: لأنهما موضعا الدُّمْلوجين.

والذراعين: لأنهما موضعا السوار.

والساقين: لأنهما موضعا الخلخال.

ويحلُّ النظر إليها للمحارم؛ لِمَا ذكر في هذه الآية بعد هذا القسم.

وأما مواضع الزينة الظاهرة التي يحلُّ النظر إليها للأجانب إذا لم يكن شهوةٌ بهذا الاستثناء ـ وهو قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ـ فالوجه والكفان عند عامة العلماء.

وقال جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الكحل والخاتم والخِضَاب، فالكحل زينة الوجه، والخاتم زينة الإصبع، والخضاب زينة الكفين[1].

وقال بعض الناس: الكحل للعين خاصةً، والخاتم للإصبع خاصةً، ولا يباح غيرهما.

وقالت عائشة رضي الله عنها: هي مضطرةٌ إلى كشف عينٍ واحدة للمشي، ولا ضرورة في غير ذلك، ولا يباح لها الإبداء ولا لغيرها النظر إلا في عين واحدة.

وقلنا: إنها قد تضطرُّ إلى الخروج للبيع والشراء، وتحتاج إلى الأخذ والعطاء، وتحتاج إلى كشف العينين للمشي، وفي كشفهما كشفُ بعض الوجه، وفي المناولات كشفُ الكفين.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: أي: ولْيُلْقِينَ أغطية رؤوسهن على مواضع جيوب دُروعهن؛ أي: قُمُصِهن.

---

(١) انظر ما روي فيه في «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٥٨ ـ ٢٦١) عن ابن عباس والمسور وبعض التابعين.

وكنَّ في الجاهلية يَسْدُلنَ خُمرهنَّ من خلفهنَّ، فكانت تنكشف صدورهنَّ وآذانُهنَّ، فأمرن أن يُلقين أطراف خمرهنَّ على جيوبهنَّ، وهي في مواضع صدورهنَّ؛ لتغطي بذلك أعناقَهنَّ وشعورهنَّ وآذانهنَّ وصدورهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي: مواضعَ الزينة الباطنة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾؛ أي: أزواجهن ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم الأجداد ﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارمَ أيضاً[1] ﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾: فقد صاروا محارم أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: ويدخل فيهم[2] نوافل الإخوة والأخوات أيضاً، وإذا ثبت في هؤلاء المحارمِ ثبت في سائر المحارم من الأعمام والأخوال، وفي المحارم بالرضاع؛ لأن ذكر بعضهم تنبيهٌ على سائرهم.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: أي: الحرائرِ المسلمات.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: أي: إماؤهن، ولا يحلُّ لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع، ومِن الناس مَن أحلَّ ذلك بهذه الآية، وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يتناول الغلامَ والجارية جميعاً.

وقلنا: قال سَمُرةُ بن جُندبٍ: لا يغرَّنكم هذه الآية، فإنها نزلت في الإماء[3].

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: قرأ ابن عامر وعاصم

---

(١) «أيضاً» من (أ).

(٢) في (أ): «فيه».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٩١٠) و(١٧٢٧٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢٣٥)، كلاهما عن سعيد بن المسيب، ولم أجده عن سمرة. قال الزمخشري: وهذا هو الصحيح، لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصيًّا كان أو فحلاً. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٣٢).

في رواية أبي بكر ﴿غيرَ﴾ بالنصب على الاستثناء، والباقون بالخفض على النعت[١].

والإربةُ: الحاجة، ومعناه: الرجال الذين هم أتباعُ هذا البيت ممن لا يشتهي النساء ولا يَحتاج إليهن، وليس هذا بواقعٍ على الخصيِّ والمجبوبِ والمخنَّث لأنهم يَشْتَهُون ويُشْتَهَون.

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾: أي: الأطفال؛ لأنه جنسٌ فصلح[٢] للجمع.

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾: قال القُتَبيُّ: أي: لم يَفهموا ذلك ولم يقفوا عليه[٣]، من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠].

وقال الفرَّاء: أي: لم يَبلغوا أن يُطيقوا النساء، يقال: صارع فلانٌ [فلاناً] وظهَر عليه[٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: على الأرض بشدة.

وقوله تعالى: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: وهي الخلاخيل، وقال جابر بن زيد: هو الحَلَقُ الصغار[٥]؛ لأن في ذلك فتنة.

وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: التزموا هذه الأوامر والنواهيَ، ثم توبوا إلى الله؛ لأنكم لا تخلُون من سهوٍ وإغفال[٦] وتقصير فيها فلا تتركوا التوبة في كل حال.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) في (ر) و(ف): «يصلح».

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠٤)

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٠) وما بين معكوفتين منه.

(٥) في (أ): «الخف الصرار» بدل: «الحلق الصغار».

(٦) في (ر) و(ف): «واعتقاد».

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتُفلحوا.

وقال محمد بن جرير: أي: ارجعوا إلى[١] طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه؛ من غضِّ البصر، وحفظِ الفرج، وترك دخول بيوت غيركم إلا بإذنه، وغير ذلك[٢].

وقال القشيري رحمه الله: التوبة: الرجوع عن المذمومات من الأفعال إلى أضدادها، وجميع المؤمنين مأمورون بالتوبة، فتوبة عن الزلة وهي توبة العوام، وتوبة عن الغفلة وهي توبة الخواص، وتوبة على محاذرة العقوبة، وتوبة على ملاحظة الأمر.

وقيل: أمر الكافة بالتوبة: العاصينَ بالرجوع إلى الطاعة عن المعصية، والمطيعين من رؤية الطاعة إلى رؤية التوفيق، وخاصَّ الخاصِّ من رؤية التوفيق إلى مشاهدة[٣] الموفِّق.

وقيل: أمر الكافة بالتوبة كيلا يخجل العاصي من الرجوع على الانفراد.

وقيل: مساعدة الأقوياء مع الضعفاء رفقاً بهم من أمارات الكرم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بيانٌ أنه أمرهم بالتوبة لينتفِعوا هم بذلك، لا أن يكون للحق سبحانه وتعالى بها تجمُّل[٤].

وقيل: أحوج الناس إلى التوبة مَن توهَّم أنه ليس له حاجةٌ إلى التوبة[٥].

***

---

(١) في النسخ: «راجعوا» بدل: «ارجعوا إلى»، والمثبت من «تفسير الطبري».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٧٣).

(٣) في (ر): «رؤية».

(٤) في (ر) «حاجة بذلك» بدل «بها تجمل». وفي «اللطائف»: (بتوبتهم وطاعتهم تجمل).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠٨).

(٣٢) - ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾: وهو تحصيلُ التَّسترُّ[1] والعفَّة أيضاً.

والأَيِّم: كلُّ ذكر لا أنثى معه، وكلُّ أنثى لا ذكر معها، ولهذا سُميت الحية أَيِّما بالتشديد والتخفيف كالميِّت والميْت؛ لأنها لا تكاد تكون في جُحرها إلا وحدها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾؛ أي: زوِّجوا مَن لا زوج له منكم، ويدخل فيه الرجال والنساء، فيزوِّج الرجل وليَّته بالولاية، ويزوِّج مَن خطبها إليه من الرجال، كما روي: «أَنْكِحوا أبا هند وانكِحوا إليه»[2]؛ أي: زوِّجوه واخطِبوا إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾: بولاية المِلك، وهو أمرٌ بتحصين المماليك، وذكرُ الصلاح للترغيب في تحصين مَن همتُه التحصُّن[3]، وليس بشرط لصحة العقد، وذلك كما ذكر بعده: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، وهذا للترغيب في تحصين[4] أهل الخير عن مشقَّة الرق، وليس بشرطٍ في[5] صحة الكتابة.

---

(١) في (ر): «للستر»، وفي (ف): «الستر».

(٢) رواه أبو داود (٢١٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٦٧) و(٦٠٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٣) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأبو هند كان حجاماً، كما جاء في الحديث نفسه. وللحديث شاهد من حديث عائشة عند الطبراني في «الأوسط» (٦٥٤٤)، والدارقطني في «سننه» (٣٧٩٣) و(٣٧٩٥). وإسناده حسن.

(٣) في (ر) و(ف): «التحصين».

(٤) في (أ): «تخليص».

(٥) «في» ليست في (أ) و(ف).

وقولـه تعالـى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: أي: لا تنظـروا إلـى فقـر الخاطـب أو فقـرِ المخطوبـة، ففي فضل الله ما يغنيهـم، والمال غادٍ ورائـحٌ، وقد يقع الغنـى، فليـس الفقـرُ بمانع من الرغبـة في الإنـكاح، وليس المـراد به الوعـدَ والغنى على وجـهٍ يكـون[1] لا محالة.

ومنهم مَن قال: هو وعدٌ به؛ قال عمر رضي الله عنه: ابتَغوا الغنى في النكاح[2]، ما رأيتُ مثل مَن قعد أيماً بعد هذه الآية[3].

وقد تكون المرأة فقيرة فتستغني بالنكاح بالمهر والنفقة.

وقد يتناكحان ويتعاونان على المعاش فيستغنيان.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: أي: غنيٌّ قادر على إغنائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده فيُغني إذا رأى الصلاح في الغنى.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتكم في إنكاح[4] عبيدكم وإمائكم، أنه للإعفاف أو غيرِ ذلك، فيجزيكم على نياتكم.

ويروَى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم: أنه كان منكاحاً مطلاقاً، فقيل له في ذلك، فقال: إن الله تعالى وعد الغنى فيهما[5]، فقال: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن

---

(١) «يكون» ليست في (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٨٥) و(١٠٣٩٣).

(٣) ذكر هذه القطعة عن عمرَ رضي الله عنه أبو أحمد القصاب في «النكت الدالة على البيان» (٢/ ٤٧٥). وفي «الوسيط» للواحدي (٣/ ٣١٨) نحوه، ولفظه: وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة، والله يقول: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾.

(٤) في (ف): «نكاح».

(٥) في (ر) و(ف): «في ذلك».

﴿فَضْلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠][١].

* * *

(٣٣) - ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي: لا يقدرون عليه؛ كقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، يقول: ومَن لم يجد سعةً للنكاح فلْيَصبر وليَصُن فرجَه عن الحرام، فإن نيَّته إذا حسُنت[٢] في الكف عن الحرام أغناه الله تعالى من فضله بأنْ يرزقه الله مالاً يتزوَّج به، أو يقيضَ له امرأة ترغب فيه مع فقره باليسير من الصَّداق، أو بأن يعصمه ويزيل عنه شدة الشهوة، وما عند الله خيرٌ[٣]، ومَن ترَك شيئاً لله عوَّضه الله ما هو خير منه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: أي: والمماليكُ الذين يطلبون الكتابَة، وهي العَقد للعِتق على مالٍ منجَّم على العبد يؤدِّيه على النجوم فيَعْتِقُ إذا أدَّى الجميع.

وقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾: أي: أجيبوهم إلى ذلك ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ وقد بينَّا معنى كلمة الشرط في أول هذه الآية.

---

(١) لم أقف عليه، وفي استنباط معنى الغنى بالطلاق من الآية دون ضرورة تدعو إليه نظر، والله أعلم.

(٢) في (ر): «احتسبت».

(٣) في (أ): «واسع».

وقيل: معناه[(١)]: إن علمتُم فيهم قوةً على اكتسابٍ وأمانةٍ بحفظِ ما يكتسبون فيؤدُّونه فيَعْتِقون، وسمي هذا العقدُ كتابةً لأن بدلها[(٢)] منجَّم، والمالُ المنجَّم[(٣)] يُكتب فيه كتابٌ على مَن عليه المال غالباً، فاختُصَّ هذا العقد بهذا الاسم لاختصاصه بهذا الوصف، وهذا أمرُ ندبٍ لا حتمٍ.

واتِّصال هذا بالأول: أنه إذا كان فيه خيرٌ فإنما يَطلب الكتابةَ ليجتهد فيكتسبَ فيؤديَ فيَعْتِقَ فيصيرَ أقدرَ على تحصيل ما يتزوَّج به فيصلَ إلى التعفُّف له[(٤)] إن لم يزوِّجه المولى.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أي: أعطوهم، قال الشافعي: أي: حُطُّوا من بدل الكتابة شيئاً قلَّ أو كثُر، وهو واجبٌ، ويُحطُّ ذلك من آخر نجومه.

وعن بعض السلف: حُطُّوا[(٥)] ثلثاً أو ربعاً[(٦)].

وقال سفيان: يَحُطُّ ربعاً أو أقلَّ منه[(٧)]، وهو ندبٌ لا حَتْمٌ.

---

(١) «معناه» من (أ).

(٢) في (ف): «كتاباً لأن بدلها»، وفي (ر): «كتاباً لأن بدل الكتابة».

(٣) في (أ): «المؤجل».

(٤) «له» من (أ).

(٥) في (ر): «يحط عنه».

(٦) استحسن علي رضي الله عنه الربع، كما رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٩). ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٨٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٧)، عن علي مرفوعاً، ورفعه منكر كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية، قال: (والأشبه أنه موقوف على علي). واستحسن ابن مسعود والحسن الثلث. انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٩).

(٧) «أو أقل منه» ليس من (أ).

وعندنا هو[1] أمر لسائر الناس أن يعطوهم من الزكاة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ وهم المكاتبون، وهو الصحيح؛ لأن الإيتاء هو التمليك فلا يقع على الحط.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: وإذا كنا مأمورين بكلِّ هذا الرفق حتى يصل المملوك المسكين إلى العتق، فبالحريِّ[2] أن يقوى الرجاءُ للعبد بالعتق من النار من فضل الله[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: أي: لا تُجبروا إماءكم على الزنا بالأجرة إن أردن تعفُّفاً[4].

وقوله تعالى: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يعني: أجرهن وأولادهن.

وقيل: إن الزاني كان يفدي ولده من المزنيِّ بها بمئةٍ من الإبل يدفعُها إلى سيدها.

وقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ليس على أن ذلك مباحٌ إذا طاوَعْن؛ لكنْ على معنى: أن الإماء إذا رغبن في التحصُّن فأنتم أحق بذلك.

وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إنْ أردن تحصُّناً، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا عرض الحياة الدنيا.

---

(١) في (ر): «هذا»، وفي (أ): «هو هذا».

(٢) في (ر) و(ف): «فبالأحرى».

(٣) في (أ): «من فضل الحق»، وفي (ف): «فضل من الحق»، وفي (ر): «فضل من الله». وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦١٠)، والعبارة فيه: (... فبالحريّ أن يسمو الرجاء إلى الله بجميل الظنّ أن يعتق العبد من النار...).

(٤) في (ر) و(ف): «تحصناً».

وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في مُعاذةَ ومُسيكةَ وأُميمةَ وعَمْرةَ وقُتَيلةَ وأروى؛ كنَّ إماءَ عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سَلُولَ المنافقِ لعنه الله، لمَّا نزل تحريم الزنا أتينَ النبيَّ ﷺ فشكَينَ إليه فنزلت(١).

وفي رواية: قالت معاذة لمسيكة: إن كان هذا الأمر منا خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن نتوب، فنزلت(٢).

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: قال الحسن: لهنَّ والله، لهنَّ والله(٣).

وقال عكرمة وغيره: كان هذا الإكراهُ بالضرب والتعذيب(٤)، ودلَّ أن الإكراه يتحقَّق في الزنا، والانتشار لا يدلُّ على الطواعية.

***

(٣٤) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيَّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وابن عامر وعاصم في رواية حفصٍ بالكسر؛ أي: مرشداتٍ هاديات، وقرأ الباقون: بالفتح(٥)؛ أي: قد بينَّاها.

يقول: قد أوحينا إليكم في هذه السورة وغيرها قرآنا في إعلام شرائعنا، فقد قال في أول السورة: ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٩٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٤٢) عن عكرمة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٩٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾: أي: ما أحلَلْنا بالماضين فجعلناه مثلاً لمن بعدَهم يعلمون أنهم إذا فعلوا فعلَهم عُوقبوا عقوبتَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي: هم المنتفِعون بها وإن كانت الموعظةُ للكل.

* * *

(٣٥) - ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الله ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ذكر إنزالَ الآيات البينات، وإقامةَ الدلالات الواضحات، وضربَ الأمثال بالذين خلَوا من قبلنا، ثم بيَّن وضوح الدلالات وجلاءَ البينات وأنَّ مَن ضلَّ عن الحق فليس لخفاءِ الدليل واشتباهِ السبيل، فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال الكلبي: الله هادي أهلِ السماوات وأهلِ الأرض إلى ما بهم الحاجةُ إليه في مصالح دينهم ودنياهم، وهي كلمةٌ مطلقة في هذا المعنى، يقال: فلانٌ نورُ بلده؛ أي: به يهتدون إلى أمورهم، وعن رأيه يصدرون إلى مصالحهم.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾: أي: صفةُ دلائله التي يَهدي بها عباده، فسمَّى دلائله نوراً؛ لأن الناس يسلكون بها طريق النجاة.

وقد سمَّى الله تعالى كتابه نوراً بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]؛ لأنه يهدي إلى الحق.

وسمى نبيه عليه الصلاة والسلام نوراً بقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]؛ لأنه يهدي إلى الحق.

فاللهُ هادٍ، وكتابُه هادٍ، ونبيُّه هادٍ، وما ركَّب في العباد من العقول حتى ميَّزوا ما[1] بين الأشياء هاد، وكلُّ ذلك نورٌ، وإضافتُه إلى الله على معنى أنه هو الواضعُ له والهادي به، ولأن الأمور[2] كلَّها لله، فأضاف أشرفَها إلى نفسه كما أضاف بعضَ الشهور وبعضَ الأيام وبعضَ البيوت وبعضَ الأموال إلى نفسه تشريفاً لها.

وقوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾: أي: صفةُ نوره ككوَّةٍ غيرِ نافذة وُضع فيها مصباحٌ في قنديلٍ مِن أصفَى زجاجٍ يكون، قد أُوقد بأصفَى زيتٍ يكون، فاجتمع في المشكاة ضوءُ المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت، فصار ذلك نوراً على نور، فاجتمعت في المشكاة هذه الأنوارُ فصارت كأنوَرِ ما يكون، وكذلك براهينُ الله تعالى في وضوحها ومنافعها[3] هي على غاية ما يكون عليه مثلُها، فليس ظلام الضلالِ من جهةِ قصور البيان وضعفِ البرهان، بل بتعاميهم وتماديهم في معاصيهم.

وقال الهيثم بن عدي: المشكاة حبشيةٌ[4].

---

(١) «ما» ليست من (ف).

(٢) في (أ): «الأنوار».

(٣) في (أ): «وتتابعها»، وفي (ف): «وينائعها».

(٤) رواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩٥) عن مجاهد، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩٦٧) عن سعيد بن عياض، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٣) عن الكلبي. وزاد الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٢٦١) السدي وعكرمة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص بضم الدال وتشديد الياء، وهو منسوب إلى الدر، شبَّه به في صفائه وبياضه.

وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال والمدِّ والهمز، وهو فِعِّيلٌ من الدَّرء؛ أي: يُدفع به الشيطان، والنجومُ التي يُرجم بها الشياطين هي دراريُّ.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بضم الدال والمد والهمز[1].

وقيل: لا وجه لذلك، فليس في اللغة فُعِّيلٌ بضم الفاء وتشديد العين[2].

وقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والدال على أنه فعلٌ ماضٍ من التوقُّد وهو التلهُّب، والفعل للمصباح.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بضم التاء والدال[3]، وهو فعلٌ مستقبَل لم يسمَّ فاعله من الاتقاد، وتاء التأنيث راجعة إلى الزجاجة.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٢) وقد أثبته بعض العلماء على قلة فيه، ولخص الآلوسي ما قيل فيه فقال: (ولا يخفى على المتتبِّع أن فُعِّيلاً قليل في كلامهم، ففي «اللباب»: فُعِّيلٌ غريب لا نظيرَ له إلا مُرِّيق ـ لحب العصفُر أو ما سمن من الخيل ـ وعُلِّيَّة وسُرِّيَّة وذُرِّيَّة، قاله أبو عليٍّ.
وفي «البحر»: سمع أيضاً «مُرِّيخ» للذي في داخل القرن اليابس، وفيه لغتان: ضم الميم وكسرها.
وقال الفراء: لم يسمع إلا مُرِّيق وهو أعجمي.
وسيبويه عد ذلك من أبنية العرب، ولم يثبت بعضهم هذا الوزن أصلاً، وقال أبو عبيد: أصل «دُرِّيء» دُرُّوء كسبوح، فجعلت الضمةُ كسرةً للاستثقال، والواوُ ياءً لانكسار ما قبلها، كما قالوا في عتوٍّ: عُتِيٌّ، فوزنه: فعُّول). انظر: «روح المعاني» (١٨/ ٣٦٦)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ٣٢٣)، و«الكتاب» (٤/ ٢٦٨).

(٣) وهي قراءة الكسائي أيضاً.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿يُوقَدُ﴾ بياء التذكير مضمومةَ الياء والدالُ، مخففةً من الإيقاد فعلاً للمصباح على ما لم يسمَّ فاعله مستقبلاً[١].

وقرأ الباقون بتاء التأنيث مفتوحةً وتشديدِ القاف وضمةِ الدال[٢]، وأصله: تتوقَّدُ فعلاً للزجاجة، وحذفت إحدى التاءين تخفيفاً كما في قوله تعالى: ﴿تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].

وقوله: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدلٌ من ﴿شَجَرَةٍ﴾ وترجمةٌ لها، هي مباركةٌ لكثرتها وكثرةِ انتفاعِ أهل الشام بها، ولكونها في أرض الأنبياء والأولياء.

وقوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: قال الكسائي: أي: ليست شرقيةً وحدها ولا غربيةً وحدها، بل هي شرقيةٌ غربيةٌ، وهو كقولك: مررتُ برجل لا ظالمٍ ولا مظلومٍ، على هذا المعنى.

وكذلك قال الفراء، قال: وهو كقولك: فلان لا مسافرٌ ولا مقيمٌ، على هذا المعنى.

قال: وهي تنبت على تلعةٍ[٣] من الأرض لا يسترها من الشمس شيء وهو أجودُ لزيتها[٤].

قال أبو عبيدة: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ تَضْحى للشمس ولا تصيب ظلاً ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تكون في الظل ولا تصيبها الشمس، بل هي شرقيةٌ غربية، تكون في الشمس وتكون في الظل، وهو أحسن الشجر[٥].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٢) هي رواية عن عاصم كما في «السبعة» (ص: ٤٥٦).

(٣) هي ما ارتفع من الأرض.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٣).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٦).

وصار حاصل جواب أهل اللغة والتفسير فيها على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها بين الشجر بحيث لا تُصيبها الشمس بالغداة والعشيِّ؛ لالتفافِ الشجر حولها، وتغطيته إياها.

والثاني: أنها بارزة للشمس في وقتٍ خافيةٌ عنها في وقت، فقد أخذت من الشمس والظل حظًّا كاملاً[1].

والثالث: أنها بارزة للشمس كلَّ النهار، فتزكو ويَكثر زيتونها، ويصفو زيتُها حتى يكادُ لضيائه يضيء عن النار، وهو قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

وقال الحسن: هذه ليست من شجر الدنيا بل هي من شجر الجنة، فلا تكون شرقية ولا غربية[2].

وجملتُه: أن ذكر هذه الأشياء جميعاً بيانُ قوةِ حُجج الله تعالى، واكتنافِ النور لها من جوانبها، وتتابُعِها من جهات العقل والتوفيق[3]، والوعدِ والوعيد، وتكرارِ المواعظ، وضرب الأمثال، وذكرُ المشكاة ـ وهي الكوةُ التي لا منفذَ لها كما فسَّره ابن عباس رضي الله عنه وابن جريجٍ وأهلُ اللغة[4] ـ على معاني استجماع النور؛ لأن المصباح إذا كان في موضعٍ نافذ انتشر ضياؤه.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾؛ أي: أن حُجج الله في

---

(١) «كاملًا» ليست في (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣١٢).

(٣) في (ر) و(ف): «من جهة العقل فيه التوفيق».

(٤) رواه عن ابن جريج الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٥). وذكره عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٢٦٠).

وضوحها بحيث تتجلَّى لمن أعرض عنها وإن لم ينبِّهْ عليها منبِّهٌ ولم ينزل بها كتاب.

وقوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: أي: برهانٌ بعد برهانٍ، ودلالةٌ على أثر دلالةٍ، يريد به تضاعُفَ الأنوار وكثرتَها لا الاقتصارَ على نورين، كما يقال: فلان يضعُ درهماً على درهم، لا يراد به درهمان، وكما يقال: فعلتُ هذا مرةً بعد مرةٍ، لا يراد به مرتين.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾: أي: يوفِّق الله عز وجل لاتِّباع دلائله وإصابةِ الحق بالتدبُّر لها ﴿مَن يَشَآءُ﴾: مَن عَلِم منه اختيارَ ذلك.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾: كما ضربها لكم في هذه الآية، يعرِّف بذلك[1] مواقع حججه، ويحركهم على تأمُّلها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: بما به يهتدي الخلق إلى مراشدهم، وبكل شيء.

* * *

(٣٦) - ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: فهذا المصباح في مساجدَ عظَّمها الله وأمر بتعظيمها فائتمَرَ بذلك، ثم ذكر صفتَها وصفةَ أهلها، والمهتدين بالدلائل والضالِّين عنها في آيات.

قال أبيُّ بن كعب والضحاك: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾؛ أي: مَثَلُ النور الذي في قلب المؤمن بهدايةِ الله تعالى[2]، فعلى هذا الهاءُ كنايةٌ عن المؤمن، ولم يسبق ذكره لكنْ

---

(١) في (ر) و(ف): «يعرفكم بها».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٨).

عُرف بمعناه، فهو كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر: ١] وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [النحل: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾؛ أي: نورِ الله الذي هدَى به المؤمنَ[1].

وقال الحسن: الله هادي أهل السماوات والأرض بنوره الذي هو القرآن ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: مثلُ هذا القرآن في القلب، ومثل هذا القلب ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ إلى آخره[2].

وقيل: هو مثَلُ قلب المؤمن، والمشكاةُ صدره، والمصباح القرآن، والزجاجة قلبه، قاله أبي بن كعب[3].

وقيل: ﴿المشكاة﴾ نفس المؤمن، و﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ قلبه، و﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ﴾ المعرفة في القلب، فكما أن المشكاة نور والزجاجةَ أنورُ منها، والزجاجةَ نورٌ والمصباحَ أنورُ منها، فكذلك نَفْس المؤمن نور وقلبه أنورُ منها، وقلبُه نورُ والمعرفةُ أنورُ منه، قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، قال: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقيل: هذا مَثَلُ النبيِّ ﷺ، يعني: كما أُخذ دهنُ هذا المصباحِ من شجرة مباركةٍ وهي الزيتون، فكذلك حصل لهذا المؤمن هذا الاهتداءُ ببركة دعوة النبيِّ ﷺ المباركةِ التي هي كشجرةِ الزيتونة لا دخانَ لزيتها بخلافِ سائر الأدهان، فكذا النبيُّ ﷺ لا شبهةَ في صدقه ولا ريبةَ في دِينه.

وقيل: المشكاة مَثَلٌ لفمه، والمصباح مثَلٌ للسانه، والزجاجة مثلٌ لصدره،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٢).

والكوكبُ الدرِّي مثلٌ لقلبه، والشجرةُ المباركةُ هي إبراهيم عليه السلام ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾؛ أي: لم يكن إبراهيم مصلِّياً إلى المشرق كالنصارى لقوله تعالى: ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم: ١٦]، ولا إلى المغرب كاليهود لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤]، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقيل: ﴿المشكاة﴾ مَثَلُ جوف محمد ﷺ، و﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ مثلٌ لقلبه، و﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ﴾ مثلٌ للنور الذي فيه.

وقيل: الشجرة هي النبيُّ ﷺ ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾؛ أي: ليست بشجرةٍ نابتةٍ على الأرض لتكون شرقيةً أو غربيةً.

وقيل: معناه: ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ﴾ وحدها ﴿وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ وحدها، بل هي شرقيةٌ غربية، يَظهرُ دينُه في الدنيا كلِّها، وينتشر نورُ دعوته في الآفاق كلها.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾؛ أي: يكاد منظره ﷺ يدلُّ على نبوته وإن لم يَتْلُ قرآنا ولم يُقِمْ برهاناً، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيِّنةٌ ... كانت بديهتُه تُنْبِيكَ بالخبرِ[1]

* * *

(٣٦) - ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ الآية: وهذا في صفة الصحابة رضوان الله عليهم وعبادتِهم وتلاوتِهم في المساجد، وكذا مَن بعدهم من العلماء وأهل القرآن في كل عصر.

---

(١) انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٨٥)، و«الفاضل» للمبرد (ص: ١٠) وعزاه لحسان.

وإن حُملت[١] الآية الأولى على مَثَل القرآن فذكرُ المساجد أيضاً لذكر أهل القرآن القائمين به في المساجد، وإن حُملت على نور المعرفة فهي عَلَمُ أهل[٢] الإيمان القائمين بالشرائع في بيوت الله عز وجل وغير ذلك.

وإن حمل قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على معنى أنه مزيِّن السماوات والأرض، فزينة السماوات بالملائكة وزينةُ الأرض بأهل المساجد.

وأما ألفاظ المفسرين في هذه الآية:

فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: الله هادي أهلِ السماوات وأهلِ الأرض[٣].

وقال الضحاك: الله منوِّر السماوات والأرض[٤].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: مرسِلُ رسلِ أهل السماوات والأرض[٥].

وقال مجاهد وعبد العزيز بن يحيى: ﴿اللَّهُ﴾ مزيِّنُ السماوات بثلاثٍ: بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بثلاثة أشياء: بالأنبياء والعلماء والمؤمنين[٦]، فأنوار السماء متفاوتةٌ وكذلك أنوار الأرض، وأنوار السماء نافعةٌ وبعضُها أنفع من بعضٍ، وكذلك أنوار الأرض، وأنوار السماء بعضُها للنفع وبعضها[٧] للدفع وهي رجوم الشياطين، وكذلك أنوار الأرض قال النبي ﷺ: «إن المؤمنَ ليُنْضي شيطانَه

---

(١) في (ر) و(ف): «دلت».

(٢) في (أ): «على أهل» وفي (ر): «علم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٠٠).

(٥) لم أجده، وانظر التعليق الآتي.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٠٠) عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن.

(٧) «للنفع وبعضها» ليس في (أ).

كما يُنْضي أحدُكم بعيرَه في السفر»[١]، والكواكب تضيء لأهل الأرض، وقلوبُ المؤمنين تضيء لأهل السماوات.

وقيل: نوَّر السماوات بالعرش والكرسي واللوح والقلم وسدرةِ المنتهى وجنةِ المأوى والبيت المعمور والمقامات[٢]، ونوَّر الأرضَ بالكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد الكوفة وطُور سيناء والمساجد والمتعبَّدات.

وقيل: زيَّن السماء بالبروج الاثني عشر، والأرضَ بالشهور الاثني عشر.

وقيل: زيَّن السماء بالكَرُوبيين وبالروحانيين والصافِّين والحافِّين، وزيَّن الأرض بالأنبياء والمرسلين والعلماء والمتعلمين.

وقيل: زيَّن السماوات بالملائكة وعبادتهم، وزيَّن الأرض بالمؤمنين وطاعتهم.

وقيل: زيَّن السماوات بجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل صلوات الله عليهم، وزيَّن الأرض بأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضوان الله عليهم.

وقيل: زيَّن السماوات بتسبيح المسبِّحين وتقديس المقدِّسين وركوعِ الراكعين وسجود الساجدين وتلاوة التالِين، وزيَّن الأرض بتلبية الحجاج والمعتمِرين، وتكبيرِ الغزاة والمرابطين، وضجيجِ القانتين والمستغفرين، وحنين العارفين المشتاقين[٣]، وبكاء العاصين النادمين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٩٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قوله: «إن المؤمن لينضي»، قال السندي كما في حواشي «المسند»: من: أنضاه؛ أي: أهزله، والنضوُ: دابة أهزلتَها، وأذهبتَ لحمها، والمراد: أن من شأن المؤمن مخالفة الشياطين وتصغيرهم، وفي التشبيه تنبيهٌ على أن حق المؤمن أن يغلب على الشيطان حتى يكون الشيطان تحته مطيعاً له كالدابة، والله تعالى أعلم.

(٢) «والمقامات» ليس في (ف).

(٣) في (أ): «السابقين».

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال السدِّي: هو أحد الكواكب الخمسة: زُحَلُ والمشتري والمريخُ والزُّهَرة وعُطارِدٌ[١].

وقال محمد بن كعب: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ يعني: محمداً ﷺ في صُلب آبائه ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ وهي إبراهيم، ﴿فِى زُجَاجَةٍ﴾ يعني: إسماعيل، فيها مصباح وهو النبيُّ ﷺ، سماه مصباحاً كما سماه سراجاً في قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: نور إبراهيم ونور إسماعيل ونور[٢] محمد ﷺ[٣].

وقال الضحاك: شبَّه عبد المطلب بالكوَّة، وشبَّه عبدَ الله بالزجاجة، وشبَّه النبيَّ ﷺ بالمصباح.

وقال القشيري رحمه الله: زيَّن السماءَ بنور الشمس ونور القمر، وزيَّن القلوب بنور العقل ونور الفهم ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفة ونور التوحيد، ولكلِّ شيء من هذه الأنوار مطرحُ شعاعٍ بقَدْره في الزيادة والنقصان.

وقوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [نورٌ] اكتسبوه بجهدهم بنظرهم واستدلالهم، ونورٌ وجدوه بفضل الله لا بأفعالهم وأقوالهم، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال: نور المطالبة يحصل في القلب ابتداءً فيَحمل صاحبه على المحاسبة، فإذا نظر في ديوانه وما أسلف من عصيانه حصل له نور المعاتبة[٤]، فيعود على نفسه

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٥٦٩) عن ابن عباس.

(٢) «ونور إسماعيل ونور» من (أ).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٠٥) بنحوه.

(٤) في مطبوع «اللطائف»: (المعاينة).

بالملامة، ويتجرَّع كاسات الندامة، فيرتقي عن هذا باستدامة قصده، والتنقِّي[(١)] عما كان عليه في أوقات جهله، فإذا استقام فيه كوشف بنور المراقبة، فيعلم دائماً أنه سبحانه مطَّلع عليه، ثم بعد هذا نورُ المحاضرة، وهي لوائح تبدو في السرائر، ثم بعد ذلك نورُ المكاشفة، وذلك بتجلِّي الصفات، ثم بعده أنوار المشاهدة، فيصير ليله نهاراً ونجومُه أقماراً وأقماره بدوراً وبدوره شموساً، ثم بعد هذا نور التوحيد، وعند ذلك تحقيق التجريد بخصائص التفريد، ثم[(٢)] [ما] لا تتناوله عبارة ولا تدركه إشارة، فالألسنة عند ذلك خُرْس، والشواهد طُمْس، وشهودُ الغير عند ذلك مُحال، فعند ذلك: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ وما ظهر لهم من القِدَم صار إلى العدم، جلَّت الأَحديَّة، وعزَّتِ الصَّمَديَّة، وتقدَّستِ الرُّبوبيَّة، وتنزَّهتِ الأُلوهية[(٣)].

ثم إنما شبَّه المعرفة بالمصباح وهو سريعُ الانطفاء، وقلبَ المؤمن بالزُّجاج وهو سريع الانكسار، ولم يشبِّهْها بالشمس التي لا تُطفأ، ولا قلبَ المؤمن بالأشياء الصُّلبة التي لا تُكسر؛ تنبيهاً أنه على خطر وجديرٌ بحذر[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: ذكرنا لها وجوهاً في النَّظم، ووجهٌ آخر: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ إلى آخره، وهو[(٥)] ﴿فِي

---

(١) في (ف): «والتبقي».

(٢) في (ر): «مما»، وفي (ف): «لمن».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦١١ ـ ٦١٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) في (ر) و(ف): «وجدير أن يحذر».

(٥) في (أ): «وهم».

﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾؛ أي: أمَر الله أن تعظَّم، وهو كقولك: أرفعك[١] إن أنبسط إليك؛ أي: أجلُّك وأعظِّمك.

ويجوز أن يراد به رفعُ البناء وإعلاؤه تعظيماً له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾: قيل: هو التوحيد، وقيل: هو الثناء والدعاء.

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾: قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء على ما لم يسمَّ فاعله، وقرأ الباقون بكسرها على الفعل الظاهر[٢]، وفاعله قوله: ﴿رِجَالٌ﴾، وعلى الأول ﴿رِجَالٌ﴾ خبر قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾[٣]؛ أي: في المساجد رجالٌ صفاتهم كذا، والتسبيح هو الصلاة.

وقيل: هو تنزيهُ الله تعالى عن كلِّ سوء بذكر كلمات التسبيح.

وقوله تعالى: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: قيل: هو الذكر بعد الفجر وبعد العصر؛ كما قال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقيل: هي الصلوات الخمس بالنهار والليل، والغدوُّ عبارةٌ عن كلِّ النهار، والآصال عبارة عن كلِّ الليل.

وقيل: هو الذكرُ على الدوام، يقال: مَبارٌّ فلان متصلةٌ لنا بالغدو والآصال؛ أي: على الدوام.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «إن أرفعك».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٣) كذا قال، والمعروف في مثله العكس، أي: الجار والمجرور هو الخبر، والاسم الظاهر المتأخر مبتدأ.

(٣٧) ـ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَـٰرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾: وصَف بالرجولية ثلاثَ فرق: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] و: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] و: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾؛ أي: لا تَشغلُهم تجارة؛ أي: بالأسفار في الأمصار(١) ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾؛ أي: في الأسواق في الحوانيت، وحملناهما على هذين لتكون لزيادة إفادةٍ لا لمجرَّد إعادة.

﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: خارج الصلاة ﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: وعن إقامة الصلاة في وقت الصلاة، حذف الهاء للإضافة، إذا كانت الهاء عوضاً عن الواو إذ كان أصله: (إقوام) صارت الهاء عوضاً عن الواو، قال الشاعر:

إنَّ الخليط أَجَدُّوا البَينَ فانجردوا وأخلَفوكَ عِدَ الأمرِ الذي وَعَدوا(٢)

أي: عِدَةَ الأمر، وكانت الهاء عوضاً عن الواو في أوله: وَعَد، فصارت الإضافة عوضاً عن الهاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾: أي: وعن إيتاء الزكاة، بيَّن أنهم ليسوا بزَمْنَى لا أبدانَ لهم، ولا فقراءَ لا أموالَ لهم؛ ليكون لهجُهم بالذكر لعجزهم وفقرهم، بل قال: لهم أبدان يقيمون الصلاة بها، وأموال يؤدون الزكاة عنها، ثم لا يشغلُهم ذلك عن خدمة الله تعالى وذكره.

وقيل: معناه: لا يشتغلون بتجارةٍ وبيعٍ فيَشغلُهم ذلك عن إقام الصلاة وإيتاء

---

(١) في (ر) و(ف): «في الأمصار بالأسفار».

(٢) البيت في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٤).

الزكاة، وأكثرهم على أنهم يتَّجرون ويبيعون ولا يشغلهم ذلك عن خدمة الله تعالى.

قال الحسن: يبيعون، ولكن إذا حضر حق الله تعالى بدؤوا بحق[1] الله تعالى[2].

وقال سعيد بن [أبي] الحسن: هم قومٌ في بياعاتهم وتجاراتهم يقومون للصلاة في أوقاتها[3].

وقال الكلبيُّ وعطاء بن أبي رباحٍ: يبيعون ويشترون، ولا يلهيهم ذلك[4] عن الصلاة في أوقاتها[5]، وعن مواضع حقوق الله أن يؤدُّوها في أوقاتها[6].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه رأى قوماً من أهل السوق سمعوا الأذان فتركوا بياعاتهم وقاموا إلى الصلاة، قال: هؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم[7]: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[8].

وقيل: أراد به كلَّ الشرائع، وخَصَّ الصلاة والزكاة بالذكر لأنهما من أعظم الشرائع.

---

(١) في (ف): «انتدبوا لحق».

(٢) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥١٥). وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٨) عن مطر الوراق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٨)، وما بين معكوفتين منهما.

(٤) في (أ): «ولا تلهيهم تجارة».

(٥) «في أوقاتها» ليس في (أ).

(٦) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٨) عن مطر الوراق.

(٧) في (ف): «في حقهم».

(٨) رواه الطبراني في «الكبير» (٩٠٧٩).

وقيل: لأن في الصلاة حقَّ الله تعالى، وفي الزكاة حقَّ العباد، فنبَّه على أنهم يكونون مؤدين حقوقَ الله تعالى وحقوقَ عباده.

وقال بعض أهل المعرفة: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وهذا إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [التوبة: ١١١] يقول: لا يركَنون إلى هذا البيع ووجودِ الجنة بهذا العقد، بل يخافون العاقبة، ولا يمنعهم سبق هذا البيع عن المجاهدة في الأعمال الصالحة.

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: أي: الحاملُ لهم على إقامة هذه الأشياء وإدامتِها خوفُ القيامة.

وقوله تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: أي: لهيبة ذلك اليوم كما قال: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] وقال: ﴿شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقال محمد بن جرير: تتقلَّب يمنةً ويسرةً: من أين يُؤتى كتابَه، وأين يُذهب به[1].

وقيل: إلى الكتب والموازين والخصماء.

وقيل: من الخوف إلى الرجاء، ومن الرجاء إلى الخوف.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٢٥) عن مطر الوراق.

(٣٨) ـ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: وهاهنا مضمرٌ: يقيم ذلك اليومَ ليجزيهم أحسنَ ما عملوا.

قيل: معناه: أي: يجزيهم بكلِّ عملٍ من أعمالهم جزاءَ أحسن أعمالهم[1]؛ أي: يجزي على الأدنى جزاء الأعلى.

قوله تعالى ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: على الجزاء الموعود على العمل.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: يُثيب مَن يشاء ثواباً لا يدخل في حساب الخلق.

هذه صفات المهتدين بنور الله تعالى، وأما الذين ضلوا عنه فالمذكورون بعده، وهو قوله:

(٣٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾: السراب: شعاعٌ يُتخيَّل ماءً يجري على الأرض في المفازة نصفَ النهار عند شدة الحر. وأما الآلُ: فهو شعاع يرتفع بين السماء والأرض كالماء[2] ضحوةَ النهار.

وسمي سراباً لأنه ينسرب؛ أي: يجري جريان الماء.

والقِيعة: جمع قاع، وهو المنبسط الواسع من الأرض، والقيعان جمعه أيضاً، يقال: قاع، وجمعه قيعة وقيعان؛ كما يقال: جار وجِيرةٌ وجيران.

---

(١) في (ف): «جزاء الحسن».

(٢) في (أ): «كالملاء».

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾: أي: يظنُّه العطشان ماء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾؛ أي: إذا تكلَّف المسير إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: شيئاً نافعاً؛ كما يقال: ما علمتُ شيئاً، و: هذا ليس بشيء، يراد به نفيُ نَفْعِه، وهذا إذا حُمل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾[1] على أنه جاء السراب، وقولُه: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم يجد السراب شيئاً؛ أي: شيئاً[2] نافعاً.

وإنْ حُمل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾؛ أي: جاء الموضع الذي تراءى له فيه السراب، فمعنى: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم يجد في ذلك الموضع شيئاً كان يتراءى له، لأنه لا يرى ذلك إذا حضَره.

كذلك الكافرُ إذا قدِم على أعماله التي هي خيراتٌ عنده يومَ القيامة لم يجد لها نفعاً ولا يراها فقد صارت هباءً منثوراً ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾: وهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وتقديره: ووجد عقابَ الله لكفره وسيئاته عنده؛ أي: يُبطل حسناته ويُبقي عقابَ سيئاته معدًّا له عند قدومه.

وقوله تعالى: ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾: أي: أتمَّ حسابه على ما عمله، وأعطاه جزاءه على وَفق ما فعله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: أي: لا يَطول الزمانُ في حسابه؛ إذ هي كلُّها محصَّلة مجموعةٌ لا حاجة إلى جمع تفاريقها، ولا إلى إقامة الحجة عليها[3]، ولا يتهيأ للعبد جحدُه[4]، ولا يشغله حسابٌ عن حساب.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «أي: جاء الموضع»، ولعله سهو من الناسخ أو سبق قلم.

(٢) «أي شيئاً» من (أ).

(٣) «عليها» ليست في (أ).

(٤) في (أ): «جحوده».

وقيل: هو وعيدٌ بقرب وقته؛ كما قال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

***

(٤٠) ـ ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾: وهو مَثَلٌ آخر لأعمال الكفار، وللتخيير في ضرب المثَل بأيِّهما شئتَ؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾: أي: عميق واسعِ اللجَّة، وهو معظمُ الماء ووسطُه وموضع العمق منه، وتكون الظلمة فيه أكثر.

وقوله تعالى: ﴿يَغْشَاهُ﴾: أي: يغطِّي هذا البحرَ ﴿مَوْجٌ﴾ وهو ماءٌ يضطرب من معظم الماء.

﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾: أي: موجٌ آخرُ أعلى منه وأهولُ.

﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾: أي: من فوق الموج غمامٌ.

وقوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: أي: هذه الظلمات.

وفي التفسير: أن قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾؛ أي: ظلمةِ الليل، وظلمةِ عمقِ البحر، وظلمةِ الموجين، وظلمةِ السحاب، فلا يُرى فيها شيء، فكذا الكافر في تحيُّره وخَبْطه في كفره كالخابط[1] في هذه الظلمات، وهو مَثَل الكافر في الدنيا في عمَهه[2] في طغيانه، وكذلك في الآخرة في حيرته وخسرانه.

---

(١) في (ر): «وخبطه وكفره كالخائض».

(٢) في (ر) و(ف): «غمه».

وقوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾: أي: لا يكاد يرى يدَه إذا أخرجها من شدة هذه الظلمات، فيضيق صدره وتشتدُّ حيرته(١).

وقيل: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾؛ أي: لم يطمع في أنْ يراها.

وقيل: كاد يفعلُ كذا؛ أي: قارَبَ أن يفعل كذا، فقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾؛ أي: لم يقارِبْ ذلك، وهو أبلغ من النفي أصلاً؛ أي: لم يرها ولم يقارِبْ رؤيتها.

وقيل: تقديره التقديم والتأخير: إذا أخرج يده يراها لم يكَدْ؛ أي: إذا أخرج يده ليراها لم يقارِب ذلك.

وقال الفرَّاء: قيل: هو مثَلٌ، ومعناه: يراها ولكن لا يراها إلا بطيئاً؛ كما يقال: ما كدْتُ أبلغ إليك، وأنت قد بلغتَه مجهوداً(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾: أي: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فمَن لم يجعل له نوراً يهتدي به إلى الإيمان لم يهتدِ إليه، ومَن لم يجعل الله له يومَ القيامة نوراً يمشي به إلى الجنة لم يَصل إليها.

وقال مقاتل: نزلت الآية في عُتبة بن ربيعة بن أميةَ بن عبد شمسٍ بن عبدِ مَناف، كان يلتمس الدِّين في الجاهلية، ولبس المِدرعةَ والمُسوح، ثم كفر بعد مجيء الدعوة إلى الإسلام(٣).

وقال القشيري رحمه الله: ظلماتُ الحسبان، وغيوم التفرقة، وليالي الجحدِ، وحنادسُ الشك، إذا اجتمعت فلا سراج لصاحبها، ولا نجوم ولا أقمار ولا شموس

---

(١) في (ف): «حسرته».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١١).

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ إذا لم يسبق لعبدٍ نورُ القسمة، ولم يساعده روحُ الرحمة[١]، فجهدُه وكدُّه وسعيُه وجدُّه عقيم من ثمراته مُؤْيس من نيل بركاته، والبدايات غالبة للنهايات، فالقبولُ لأهله غيرُ مجتلَب، والردُّ لأهله غير مكتسَب[٢].

* * *

(٤١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ألم تعلم يا محمد العلمَ الذي يقوم مقامَ العِيَان في الإيقان أنه يسبح مَن في السموات والأرض لمَن هو هادي أهلِ السماوات والأرض، و﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ هم الملائكة والجنُّ[٣]، وتسبيحهم: تنزيه الله جلَّ جلاله عما لا يليق به نطقاً.

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾: هي عطفٌ على الأول، و﴿صَافَّاتٍ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: في حال بسطِها أجنحتَها؛ أي: وهي تسبح الله؛ أي: تنزِّهه بأصواتها.

وقيل: بما فيها من أمارات الحدوث[٤] الشاهدةِ على حاجتها إلى مُحْدِث أحدَثها وخلقها على ما هي عليه.

ويجوز أن يضاف التسبيح إلى الكلِّ وتختلفُ معانيها في التفصيل؛ كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

---

(١) في (أ): «روح الروحة»، وفي (ر): «نور الرحمة». وعبارة «اللطائف»: (ولم يساعده تعلق).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦١٦).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «والآدميين».

(٤) في (ف) و(أ): «الحدث»، وفي (ر): «الحديث». والصواب المثبت.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: أي: كلُّ واحدٍ من هؤلاء ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾؛ أي: عبادته فعلاً وتنزيهه قولاً، والهاءُ على هذا القول[1] راجعةٌ إلى ﴿كُلٌّ﴾.

وقيل: أي: كلُّ جنسٍ قد علم عبادةَ الله وتنزيهَه.

وقيل: أي: كلُّ جنس علِم عبادةَ نفسه وتنزيهَ نفسه لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: أي: لا يَعْزُب عنه شيءٌ منهم، وجُمع بالواو والنون وإن كان فيهم الطيور وهي لا تعقل؛ لأنه جمَع بينها وبين ما يَعقل، ولأنه وصفَها بوصف العقلاء: وهو التسبيح والصلاة.

وفي حديثٍ مسندٍ عن أبي ذرٍّ الغِفَاريِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ[2]: أنه لمَّا حضر آدمَ الوفاة دعا بابنه شيث فعَهِدَ إليه عَهْدَه، وعلَّمه ساعاتِ الليل والنهار، وعبادةَ الخلق في كلِّ ساعة منهن، وأن لكلِّ ساعة صنفاً من الخلق:

فالساعة الأولى من النهار: حين يسجد بنو آدم من الضحى.

والثانية: صلاة الملائكة.

والثالثة: صلاة الطير.

والرابعة: صلاة الهوامِّ.

والخامسة: صلاة الحيوان.

والسادسة: صلاة الملائكة المقرَّبين حين يستغفرون لبني آدم.

---

(١) «القول» ليست في (ف).

(٢) لم أجده عن أبي ذر مرفوعاً، لكن رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٩٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧١٦)، عن محمد بن إسحاق، ورواية الطبري مقتصرة على أوله دون تعداد الساعات.

والسابعة: صلاة الملائكة حين يلجئون العباد إلى الصلوات كلها[١].

والثامنة: صلاة السماوات والأرضين.

والتاسعة: صلاة الذين حول العرش.

والعاشرة: حين ينزل الريح على الماء، وتفرُّ الجن من حول الماء، ولولا ذلك لأفسدت الشياطين على بني آدم الماء.

والحادية عشر: حين تعرج أرواح النبيين والصدِّيقين إلى الله تعالى.

والثانية عشر: عند غروب الشمس التي يصلُّون[٢].

والساعة الأولى من الليل: صلاة الجن.

والثانية: صلاة كلِّ دابة في البحر.

والثالثة: صلاة مَن تحت الأرض من الخلق.

والرابعة: صلاة الصابرين.

والخامسة: صلاة الذين فوق السماء من الخلق.

والسادسة: صلاة الغمام.

والسابعة: حين تثقل العين ويهدأ[٣] الخلق.

والثامنة: صلاة الشجر.

والتاسعة: صلاة الملائكة الذين هم في السماء.

---

(١) في «العظمة»: (والساعة السابعة حين تلج الملائكة ويلجون في الصلاة كلها بأسمائه).

(٢) «التي يصلون» ليست في «العظمة». وجاء بعدها: (فتلك ساعات النهار وهي اثنتا عشرة ساعة).

(٣) في (ر): «بهذا».

والعاشرة: حين تفتح أبواب السماء، وتنفض الملائكة أجنحتها، ويصيح الدجاج في الأرض، وحينئذ مَن سأل الله تعالى شيئاً آتاه إياه.

والحادية عشر: حين يخرج ما في الأرض من أهلها.

والثانية عشر: عند صلاة الصبح(١).

وقال آدم صلوات الله عليه لشيث: كذلك كنتُ أسمع وأبصر وأنا في الجنة، وذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ وقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الآية.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: هذا ظاهر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾: وهذه دلالةٌ أخرى يهدي الله بها مَن في السماوات والأرض، وهو وجهُ انتظام هذه الآية بالأولى.

وقوله: ﴿يُزْجِى سَحَابًا﴾؛ أي: يسوقه إلى حيث يريده ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾؛ أي: بين بعضه ببعضٍ، ويجمَع متفرِّقه.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾: أي: متراكماً بعضُه على بعضٍ، وقد ركمَه، وهو سحابٌ مركوم.

---

(١) هنا نهاية الخبر في «العظمة».

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: أي: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: جمع خَلَل، وقرأ أبو عمرو في رواية: (مِن خَلَله) على الواحد[1]؛ أي: من بينه، والأول: من أثنائه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾: ذكَر (مِن) ثلاثَ مرات، والأول ابتداء الغاية، والثاني للتبعيض، والثالث للجنس.

قال بعضهم: خلق الله جبالاً في السماء من بردٍ فيُنزل منها برداً، فذلك قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: بَرَداً[2] ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾؛ أي: في السماء[3] ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾؛ أي: الجبال مجموعةٌ من برد.

وقيل: ذكرُ الجبال للتشبيه، وتقديره: من السماء بَرَداً كثيراً مجتمعاً أمثالَ جبال من هذا الجنس[4].

قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾: فيعذِّب بالبرَد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من الناس في نفسه أو زرعه فيُهلك ذلك.

وقوله: ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾: أي: يدفع ضررَه عمَّن يشاء فلا يصيبُه.

وقيل: فيصيب بالوَدْقِ مَن يشاء فينفعُه، ويَصرفُه عمَّن يشاء فلا ينفعُه.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾: أي: ضوءُ برق السحاب ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ عدِّي الفعلُ بالباء؛ أي: يقارِبُ البرق أن يزيلَ أبصار العيون.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ١١٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٩٠). وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

(٢) «أي برداً» من (ف).

(٣) «أي في السماء» من (ف).

(٤) في (ف): «من للجنس» بدل: «من هذا الجنس».

(٤٤) ـ ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: قيل[1]: يذهب بهذا ويجيء بهذا.

وقيل: يقلب أحوال الناس بالظُّلمة والضياء فيهما، فجعل ذلك تقليباً لهما توسُّعاً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: أي: إن في إزجاء السحاب وإنزالِ الودْق والبرَد وتقليب الليل والنهار ﴿لَعِبْرَةً﴾؛ أي: دليلاً يُستدلُّ بها على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته وعلمه[2].

وقوله تعالى: ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: أي: لذوي البصائر والعقول.

***

(٤٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم بيَّن دلالةً أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾: أي: كلَّ حيوانٍ يَدِبُّ على وجه الأرض، قال الحسن: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾[3]؛ أي: من ماء الذكر والأنثى[4].

وقيل: أي: من الطين، والطينُ من الماء؛ لأن أصلَ الأرض ماءٌ.

وقيل: كلُّ حيوان لا يخلو عن رطوبةٍ فيه، ولأن حياة الحيوانات بالماء.

وقيل: أي: خلق أكثر الدوابِّ من ماء، واسم الكلِّ قد يطلق على الأكثر، قال

---

(١) في (ر) و(ف): «أي».

(٢) «وعظمته وعلمه» ليس في (أ).

(٣) «من ماء» زيادة من (ف).

(٤) في (ف): «وهو المني» بدل: «والأنثى».

تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾: قال: ﴿فَمِنْهُم﴾ ولم يقل: منها، وقال: ﴿مَّن﴾ ولم يقل: ما؛ لأن قوله: ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ يتناول مَن يَعقِلُ ومَن لا يَعقل فغلَّب مَن يَعقل في الكناية.

قوله: ﴿يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيات والحيتان والديدان.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾: كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾: كالبهائم والأنعام والسباع، ولم يذكر مَن يمشي على أكثرَ من أربعٍ في الحيوانات، ذلك لأن الأكثر ما ذكر، ولأنه ليس فيه نفيُ الزيادة، ولأن ما يمشي على أكثرَ من أربعٍ إذا مشى اعتمد على أربع جهاتٍ لا أكثر(١)، فكأنه يمشي على أربع.

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: وهو قادرٌ على ما يشاء، وعالمٌ بما يشاء، لا يتعذَّر(٢) عليه شيء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: من هذا وغيره، ذكر أنه خلَق كلَّ هذا من ماء ثم هو مختلفٌ هذا الاختلافَ، فدل أن للجميع خالقاً مدبِّراً أنشأها على الاختلاف كما شاء، وإلا لم يختلف بل كان يتَّفق لاتِّفاق(٣) الأصل، وهو كقوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ [الرعد: ٤].

***

---

(١) في (أ): «اعتمد في أربع جهات لا في أكثر».

(٢) في (ر) و(ف): «لا يبعد»، وقوله: «وعالم بما يشاء» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «بل كان متفق».

(٤٦) ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾: أي: نوراً للناس وبياناً ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فهو هادي أهلِ السماوات والأرض، وهو إعادةُ ما قدَّمه مرة: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا﴾ الآية [النور: ٣٤] لينتظِم هذا بذاك.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: ذكرَ إنزال الآيات، وبعد نزولها صار الناس ثلاثَ فرقٍ:

فرقةً صدَّقتْ ظاهراً وكذبت باطناً وهم المنافقون.

وفرقة صدَّقت ظاهراً وباطناً وهم المخلصون.

وفرقة كذَّبت ظاهراً وباطناً وهم الكافرون.

فذكرهم جميعاً هاهنا على الترتيب، وبدأ بالمنافقين فقال: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: بألسنتهم ﴿وَأَطَعْنَا﴾ كذلك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: أي: يُعرض عن الانقياد لحكم الله وحكمِ رسوله ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ كان الإعراض من بعضهم والرضا بإعراضه من كلِّهم، فصاروا جميعاً مذمومين.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: وما المعرِضون بالمؤمنين.

وقيل: وما كلُّهم بمؤمنين؛ لاعتقادهم جميعاً ما يعتقد هؤلاء.

والآية نزلت في المنافق واليهودي اللَّذين اختصما إلى كعب بن الأشرف[١]، وقد ذكرنا القصة عند قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: الرسول، وذكر الدعاءَ إلى الله ورسوله لأن الدعاء إلى الرسول دعاءٌ إلى الله؛ لأنه يحكم بينهم بأمره.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾: أي: ممتنِعون من المحاكمة إلى رسوله[٢].

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: أي: إنْ علموا أن الحق يكون لهم دائماً[٣] إذا تحاكموا ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى الرسول ﴿مُذۡعِنِينَ﴾؛ أي: مسرعين منقادِين طلباً منهم لحقِّهم، لا رضاً بحكم رسول الله ﷺ.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٢٧)، و«الكشاف» (٣/ ٢٤٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤) عن مجاهد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ٦٠]، وكذا رواه الواحديُّ في أسباب النزول (ص: ١٦١)، عن قتادة والشعبي، وعن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٢) في (ف): «ممتنعون عن المحاكمة إلى ربه وله».

(٣) «دائما» ليست في (أ).

(٥٠) ـ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أي: نفاقٌ ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾؛ أي: شكُّوا، وهو استفهام بمعنى التقرير ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾؛ أي: يَجورَ، وهاهنا مضمر: أفي قلوبهم مرض أو ريبة أو[1] ليسوا كذلك بل هم مخلصون غير أنهم يخافون أن يجور عليهم رسول الله ﷺ، وهذا لا يكون لأنه معصوم بعصمة الله.

قوله ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: أولئك المتولُّون[2] هم الكافرون.

وقيل: هو محاجَّةٌ لهم، وكأنه أُمر أن يقول لهم: أفي قلوبكم نفاقٌ فلا ترضون بحكمي، أم تشكُّون في صحة حكمي فلا تقبلونه، أم تخافون جَوري فتَحْذَروني؟ فإذا قالوا: لا شيء من ذلك، قيل لهم: فأنتم الظالمون خصومَكم بترك التحاكُم إليَّ من غير مانعٍ.

* * *

(٥١) ـ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: كلمة (كان) زائدة.

وقيل: معناه: إن هؤلاء لو كانوا مؤمنين كما يزعمون لكان قولَهم ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي: سمعنا قولك وأطَعْنا أمرك[3] ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) في (ر): «أم ريبة أم».

(٢) في (ف): «أولئك المرتابون»، وليست في (ر).

(٣) قوله: «أي: سمعنا قولك وأطعنا أمرك» ليس في (أ) و(ف).

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾: أي: يخاف أن يخالفه حذراً من عقابه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾؛ أي: يتحرَّز عن معصيته ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾؛ أي: الناجون.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾: أي: هؤلاء المنافقون ﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾؛ أي: مبالِغينَ في تأكيد حَلِفهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾؛ أي: تخلَّفوا عنك في غزوة تبوك ويحلفون: لو كنتَ أمرتَهم بالخروج لخرجوا معك، وبعد هذا[1] إذا أمرتهم خرجوا.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾: أي: لا تحلفوا كاذبين منافقين ففي قلوبكم غيرُ ما على ألسنتكم.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: قيل: هو ردٌّ عليهم دعواهم الطاعةَ؛ كقولك ـ لمن قال لك: أنا منقادٌ لك مطيعٌ لأمرك ـ: أنا عارف بطاعتك وانقيادك، وتقديره هاهنا: ما هو طاعة عندكم لنا في دعواكم معروفةٌ عندنا أنه خلافٌ ونفاق.

وقيل: معناه: وليكن منكم طاعة معروفة؛ أي: عرَفها الشرع والعقل طاعةً.

أو: طاعة معروفة منكم خيرٌ من يمينكم الباطل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: عالمٌ بأعمالكم.

* * *

(٥٤) ـ ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

---

(١) قوله: «تخلفوا عنك في غزوة تبوك ويحلفون لو كنت أمرتهم بالخروج لخرجوا معك وبعد هذا» من (أ).

قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾: أي: أخلِصوا طاعة الله ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: واتركوا هذا النفاق ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾؛ أي: فإن تتولَّوا، حُذفت إحدى التاءين تخفيفاً؛ أي: فإن تُعْرِضوا عن طاعة الرسول فيما أمركم به ونهاكم عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: أي: على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾؛ أي: ما أُلزم ـ أي: الرسول[1] ـ من تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾؛ أي: أُلزمتم من طاعته؛ أي: لا ضرر عليه في خلافكم فإنه لا يُؤخذ بذنوبكم.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: ترشُدوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي: التبليغ الظاهر، ليس إليه الهداية والإضلال.

***

(٥٥) ـ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ثم ذكر المخلصين فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ليجعلنهم خلفاءَ الأرض؛ أي: سكانَها والمسلَّطين[2] عليها.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿كما استُخلِف﴾ على ما لم يسمَّ فاعله، والباقون على الفعل الظاهر[3]؛ أي: بني إسرائيل، قال لهم: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]؛ أي: أرضِ الشام، وفعَل كذلك.

---

(١) «أي الرسول» من (أ).

(٢) في (أ): «والمتسلطين».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: أي: وليُعِزَّنَّهم وليُعْلِيَنَّهم[١] على أعدائهم فيُظهروا دينَهم الإسلام الذي ارتضاه لهم؛ أي: متمكِّنين في الأرض مستولينَ عليها.

قوله: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: أي: وليجعلنَّ لهم بدلَ خوفهم أمناً، وهو الخوف من الأعداء، والأمنُ منهم بغلبتهم عليهم.

وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وليُبْدِلنَّهم﴾ مخفَّفاً، والباقون مشدَّداً[٢]، والإبدال والتبديل لغتان.

وقوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾: أي: بعد أمنهم يُظهِرون دينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: أي: بعد تحقيق هذا الوعد ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن الطاعة، وعن هذه الأسماء الصالحة.

وقيل: أي: الخارجون إلى أفحش[٣] الكفر.

وقيل: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ هو من كفران النعمة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون[٤] بسبب الكفران.

ودلت الآية على صحةِ دعوى النبوَّة من النبي ﷺ، فإنه أخبر عما هو كائنٌ فكان كما قال، وعلى خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، فإن الله تعالى وعد أن يستخلفهم في الأرض، ولم يُستخلف فيها بعدَ رسول الله ﷺ من الذين كانوا مؤمنين في وقت نزول هذه الآية إلا هؤلاء الأربعةُ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) في (ف): «وليقربنهم وليغلبنهم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٣) في (ر) و(ف): «محشر».

(٤) في (ف): «خارجون»، وليست في (أ).

وقال مقاتل: إن النبيَّ ﷺ لمَّا رجع من الحديبيَة حزن أصحاب رسول الله ﷺ؛ إذ كانوا موقِنين بدخولهم مكة لرؤيا رسول الله ﷺ، فلما رجعوا محزونين أَطعَمَهم الله تعالى نخيل خيبر[1]، ووعدهم أن يدخلوا مكة في العام القابل، وأنزل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية[2].

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: لتُرحموا.

ثم ذكر الكافرين وذلك قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: فائتين حتى يعجزونني عن أخذهم، وهاهنا مضمر تقديره[3]: بل هم مقدورٌ عليهم ومحاسبون ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: ولبئس المرجعُ النار.

* * *

(٥٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) في (ر): «أطعمهم الله بكل خير».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠٦).

(٣) «تقديره» ليست في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: عاد الكلام إلى ذكر أسباب التستُّر والتعفُّف، وتخلَّلها شرح الآيات، يقول: الْزَموا ومُرُوا عبيدكم وإماءكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ﴾: أي: والصبيان الذين لم يحتلِموا ولم يُنزلوا ﴿مِنكُمْ﴾؛ أي: من الأحرار.

أي: ليستأذنوكم للدخول عليكم فلا يدخلوا عليكم من غير إذنٍ منكم ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾؛ أي: في ثلاثة أوقات من الليل والنهار ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ هذا واحد ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾؛ أي: حين تتجرَّدون فتنزعون ثيابكم في وقت شدة الحر وهو وقت القيلولة، وهذا ثان ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾؛ أي: العتمة، وهذا ثالث.

ثم نبَّه على المعنى فقال تعالى: ﴿ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ثلاثَ عورات﴾ بالنصب ردًّا على ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾، وقرأ الباقون بالرفع على إضمار: هذه[1]، يقول: هذه أوقاتُ التجرُّد وظهور العورة؛ لأن ما قبل صلاة الفجر وقتُ انتهاء النوم في الأغلب والأكثر، ووقتُ الخروج من ثياب النوم ولبسِ ثياب النهار، ووقتَ الظهيرة وقتُ التجرد للقائلة، وبعد صلاة العشاء وقتَ ابتداء النوم والتجرُّد من ثياب النهار والتغشِّي بثياب النوم، ولأن الله تعالى جعل الليل سكناً ولباساً.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾: أي: لا إثم عليكم ولا عليهم بعد هذه الأوقات الثلاثة في الدخول عليكم بغير إذنٍ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٢) في (ف): «بعد الإذن» بدل: «بغير إذن».

وقوله تعالى: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾: أي: هم خدمُكم؛ أي: المماليك والصبيان ومَن يَشُقُّ الاحتراز عن التبذُّل عندهم[١]؛ فالحرج مدفوع عنكم وعنهم في دخولهم بغير إذن في غير هذه الأوقات الثلاثة؛ لارتفاع الحشمة، ولأن الغالب في ذلك التغطِّي، وإنما نفَى الحرج عن الطرفين لأن الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين.

وقوله تعالى: ﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: أي: يطوف بعضكم على بعضٍ للخدمة، والخادمُ قد يحتاج [٢] إلى الطواف في الجهات.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أي: كالذي يبيِّن الله لكم من حُكم الاستئذان يبيِّن لكم غيره من الآيات التي بكم إلى بيانها حاجةٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٞ﴾ يضع الأمور مواضعها.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ﴾: أي: من الأحرار ﴿ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ في كل الأوقات للدخول ﴿كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: الكبار الأحرار.

وقيل: هم الداخلون في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾.

وقيل: يرجع هذا إلى أول هذه الآية؛ أي: ليستأذنكم الأطفال إذا بلغوا في كلِّ الأوقات كما استأذن المماليك والأطفال في الأوقات الثلاثة.

---

(١) في (ف): «عندكم».

(٢) في (ر) و(ف): «محتاج» بدل: «قد يحتاج».

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: قد فسرناه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وجَّه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتَ الظهيرة[1] ليدعوَه، فدخل فرأى عمرَ بحال كره عمرُ رؤيتَه ذلك، فقال: يا رسول الله، ودِدْتُ لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حالة الاستئذان، فنزلت[2].

وعن عمر أنه قال: وافقني ربي في ثلاث: في الاستئذان، وفي الحجاب ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وفي الاتِّخاذ من مقام إبراهيم مصلًّى[3].

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في أسماءَ بنتِ مرشدةَ، كان لها غلامٌ كبير، فدخل عليها في وقتٍ كرهَتْه، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إنَّ خدَمَنا وغلمانَنا يدخلون علينا في حالٍ نكرهها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

---

(١) «وقت الظهيرة» من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون سند، ورواه ابن منده كما في «الإصابة» لابن حجر (٦/ ٥٠) من طريق السديّ الصغير، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس. والسدي الصغير هو محمد بن مروان: كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٥٨٨) بلفظ: (وافقت ربي...) ولم أجده مسنداً هكذا، لكن رواه البخاري (٤٠٢) من طريق أنس عن عمر فذكر بدل الاستئذان قوله: (واجْتَمَع نساءُ النبي ﷺ في الغَيرةِ عليه، فقُلتُ لهنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، فنزلت هذه الآيةُ). ورواه مسلم (٢٣٩٩) من طريق ابن عمر عن عمر فذكر بدل الاستئذان أسارى بدر.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٥٣)، والرازي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٦)، والبيضاوي في «تفسيره» (٤/ ١١٣).
ورواه عن مقاتل بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الإماء[1].

وقال مجاهد: العبيد والإماء[2].

وقال زيد بن أسلم: ولمَّا نزلت آية الاستئذان قال فتًى: يا رسول الله، إن أمي عجوزٌ كبيرة أفأستأذِنُ عليها؟ قال: «نعم»، قال: فقال: إنه ليس لها أحدٌ غيري، قال: «استأذِنْ عليها»، فقال: إنه ليس لها زوجٌ ولا خادم، قال: «أتحبُّ أن تراها عريانة؟»، قال: لا، قال: «فاستأذن عليها»[3].

= ووقع في اسم صاحبة القصة اختلاف في المصادر، فما ذكره المؤلف موافق لما رواه ابن أبي حاتم، وكذا ذكر ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣٣٥) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ١٩) أسماء بنت مرشدة في الصحابيات، لكن لم يوردا لها هذا الحديث.

وجاء الاسم عند الثعلبي والواحدي والبغوي: (أسماء بنت مرثد). ومثله في «الإصابة» (٨/ ١٨) لكن لم يذكر لها هذا الحديث.

وفي «الكشاف»: (أسماء بنت أبي مرشد)، وعند الرازي والبيضاوي: (أسماء بن أبي مرثد). قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على «تفسير البيضاوي» المسماة: «عناية القاضي وكفاية القاضي» (٦/ ٣٩٨): بنت أبي مرشد بالشين المعجمة أو الثاء المثلثة، قيل: وهو بفتح الميم فيهما.

(١) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٠٢) عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال: (هي خاصة للنساء لا للرجال، يستأذنون على كل حال بالليل والنهار). قال أبو عبيد: (يعني أن الإماء ينبغي لهن أن يستأذن على مواليهن في هذه الحالات الثلاث المسماة هاهنا... فأما ذكور المماليك فإن عليهم الاستئذان في الأحوال كلها).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٥٢) عنه قوله: عبيدكم المملوكون.

(٣) رواه عن زيد بن أسلم ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٦٠٠) مختصراً. ورواه بتمامه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٣)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٤)، عن عطاء بن يسار مرسلاً. قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢٢٩): هذا الحديث لا أعلم يستند من وجه صحيح بهذا اللفظ، وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه.

وقال سعيد بن المسيب: ثلاث آيات ترك الناس العمل بها وهو واجب: آيةُ الاستئذان، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية [الحجرات: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ الآية [النساء: ٨][(١)].

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: أي: العجائزُ اللاتي قعدْنَ عن الْتِماس النكاح لكِبَرهن، جمع قاعِدٍ لأنها من صفات النساء على الخصوص كطالقٍ وحائض.

وقيل: قعَدن عن الحيض والولد.

وقوله تعالى: ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: أي: لا مَطمع لهن في الأزواج.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: أي: جلابيبَهن وأَرْدِيَتَهن ومَقانِعَهن التي فوق رؤوسهنَّ وفوق[(٢)] الدروع والخُمُر عند الأجانب؛ كما يحل ذلك للشوابِّ[(٣)] عند المحارم.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: أي: من غيرِ أن يُرِدْنَ بوضع ذلك عنهنَّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٧١٣)، كلاهما من طريق قتادة عن يحيى بن يعمر. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٥٤) من طريق قتادة عن ابن عباس ولم يذكر آية النساء، وكذا رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٠٣) من طريق عطاء عن ابن عباس، وفيه التصريح بنسيان الثالثة، ولفظه: قال: حفظت آيتين ونسيت واحدة، ورواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٤) وفيه بيان أن القائل: (حفظت...) هو عطاء.

(٢) «رؤوسهن وفوق» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «للنسوان».

أن يُبْدِينَ ما عليهن من الزينة للرجال ويتكشَّفْنَ لهم، وإنما يفعَلْنَ ذلك للتخفيف عن أنفسهنَّ.

والمتبرِّجات: المتكشِّفات.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾: أي: يستتِرْن فلا يَضعْنَ جلابيبَهن وأردِيَتَهن ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ وأفضلُ لهن، وأَدْفعُ للرِّيبة عنهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: لا يخفَى عليه ما يَقُلْن بألسنتهنَّ ويفعلن بأنفسهنَّ، وهو أبلغُ تحذير.

* * *

(٦١) - ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ الآية: قال سعيد بن المسيب: كان المسلمون يخرجون مع رسول الله ﷺ فيعطون مفاتحهم الأعمى والأعرجَ والأقارب، ويقولون لهم: أحلَلْنا لكم ما تأكلون مما في بيوتنا، فيقولون: والله لا يحلُّ لنا مما في بيوتهم شيءٌ وإنْ أحلُّوه لنا حتى يرجعوا إلينا، وإنها لأمانةٌ اؤتُمِنَّا عليها، فلم يزالوا على ذلك حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، فطابت أنفسهم لِمَا أحل الله لهم(١).

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٠)، =

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كانوا يؤون المريض والأعرج والأعمى في بيوتهم(١)، فنزلت هذه الآية(٢).

يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في أكلهم من بيوت الذين أَذنوا لهم بذلك بالمعروف من غير إسرافٍ.

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾: قيل: هو على ظاهره، ومعناه: أنه لا بأس بأكله من بيوت أقربائه هؤلاء كما لو أكل من بيتِ نفسه من مالِ نفسه.

وقيل: معناه: أن تأكلوا من بيوت أزواجكم؛ لأن الزوجين صارا كنفسٍ واحدة، والإذن ثابتٌ دلالةً.

وقيل: معناه: أن تأكلوا من بيوت أولادكم؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالُك لأبيك»(٣).

= وروى نحوه البزار (٢٢٤١ ـ كشف) من حديث عائشة رضي الله عنها، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٤).

(١) بعدها في (ر) و(ف): «فلما نزل ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم أخرجوهم من بيوتهم» وليست هذه العبارة في مصادر التخريج.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٦٤)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٨)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٣١)، جميعهم عن معمر قال: قلت للزهري: ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هاهنا؟ قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلَّفوا زمناهم في بيوتهم ودفعوا إليهم المفاتيح، وقالوا: قد أحللنا لكم أن تأكلوا منها، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وهم غيَّب، فنزلت هذه الآية رخصة لهم.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٩١) من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده صحيح على شرط البخاري كما قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٧). وصححه البزار فيما نقله عنه ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٧/ ٤٨١)، وصححه أيضًا ابن التركماني، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ١٠٢ ـ ١٠٣). =

وقال ﷺ: «إنَّ أطيبَ ما يأكل الرجل من كَسْبه، وإن ولده من كسبه»[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾: والإذن ثابتٌ من هؤلاء دلالةً.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الوكيل[٢] يدفع الرجل إليه ضيعتَه، فله أن يأكل من طعامها ويشربَ من ألبانها[٣].

وقيل: بيوت العبيد والإماء، والعبد وما في يده لمولاه.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: هو الغازي يدفع بيته إلى غيره ويسلِّطه عليه ويأذنُ له في الأكل من بيته[٤].

وقيل: هي بيوت الإجارة والعاريَّة.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: أي: أصدقائكم، قال الشاعر:

إذا قلَّ مالُ المرءِ قلَّ صديقُه   وضاق به عمَّا يريد طريقُه[٥]

قال قتادة: هو الرجل يأتي منزلَ الرجل فيقول: أهاهنا فلان؟ فيقول أهله: لا،

= ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح كذلك.
ورواه أبو داود (٣٥٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وإسناده حسن.

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي (٤٤٥١)، وابن ماجه (٢٢٩١)، من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي: حديث حسن.

(٢) في (أ): «الرجل».

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ١٢٤). ورواه بنحوه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨).

(٤) تقدم قريباً.

(٥) ذكره دون نسبة مع بيت آخر ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٤٥٩).

فيقول: غدُّونا، عشُّونا، أسرِجوا لي دابته، أعطُوني ثوبه، فيفعلون ذلك، فيجيءُ الرجل فيقول له أهله: جاء أخوك فلان فغدَّيناه وعشَّيناه، وأسرَجْنا له دابَّتك، وأعطيناه ثوبك، فلا يقع في قلبه إلا كما لو قيل له: جاء أبوك أو أخوك أو عمك ففعلنا به ذلك، فذلكم الصديق(١).

وجاء فتحٌ الموصليُّ إلى صديقٍ له فوجده غائباً من منزله، فقال لجاريته: هل(٢) كيسه في البيت؟ فقالت: نعم، فاستدعى بكيسه فأخذ منه درهمين وردَّ الباقي عليها، فلما جاء سيدها أخبرته بذلك، فقال لها: إن كنت صادقةً فأنت حرةٌ لوجه الله.

كذا كان الصالحون فيما سلف، وأما الآن فقد غلَب الشحُّ على القلوب فلا يأكل إلا بإذن.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾: قال قتادة: كان بنو كنانة بنِ خُزيمةَ يرى أحدهم عاراً في الجاهلية أن يأكل وحده، حتى كان أحدهم يمتنعُ وهو جائعٌ حتى يجدَ مَن يؤاكلُه ويشاربه(٣).

وعن أبي صالح وعكرمة قالا: كانت الأنصار يشدِّدون في هذا، فكان إذا أضاف أحدهم ضيفاً لم يأكل إلا وضيفُه معه، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾(٤).

وقال سعيد بن جبير: كان العُرجان والعُميان والمرضَى يتنزَّهون عن مؤاكلةِ

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٤/ ٣٩).

(٢) في (ف): «هذا»، وفي (ر): «ها».

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٩). وبنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٦).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٧).

غيرهم خوفاً من الاستيثان وتضييقِ[(١)] المكان على الناس، فنزلت الآية[(٢)].

وعن مجاهد قال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ إذا دعي إلى وليمةٍ أن يستتبعَ قائده معه[(٣)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في الحارث بن عمرو، خرج مع رسول الله ﷺ غازياً فخلَّف مالكَ بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فسأله عن حاله، فقال: تحرَّجت أن آكل من طعامك إلا بإذن منك، فنزلت هذه الآية[(٤)].

وقيل: لمَّا نزل قوله ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] توقَّوا الأكل من بيت هؤلاء، وتوقَّوا الاجتماع على الطعام؛ لاختلاف أحوال الآكلين في القلة والكثرة، وتفاوتِ أخلاق أهل البيوت[(٥)]، فنزلت الآية[(٦)].

ودل قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ على جواز التناهد[(٧)] في الأسفار.

---

(١) في (ر) و(ف): «وضيق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٠)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٣).

(٣) لم أقف عليه عن مجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٤) عن عبد الكريم الجزري، وكذا ذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٥٥٠)، وذكره دون عزو ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٢١).

(٤) ذكره عن ابن عباس دون سند الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٥). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٨) عن مقاتل بن حيان قال: (بلغنا والله أعلم...) وذكره.

(٥) في (ر) و(ف): «وتفاوت اختلاف أهل البيت».

(٦) رواه بنحوه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٤٣)، وأبو داود (٣٧٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٧٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في هامش (أ): «التناهد: إخراج كل واحد من الرفقة في السفر نفقة على قدر نفقة صاحبه».

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾: قيل: بيوت هؤلاء للأكل. وقيل: كلّ بيت. وقيل: هي المساجد.

وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: على جنسكم ممن كان فيها، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فإن لم يكن في البيت أحد ولا في المسجد فليقل: السلام علينا من ربنا، أو ليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أو ليقل: السلام على مَن اتَّبع الهدى.

وقوله: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾: قيل: يتكلَّم بهذا متصلاً بالسلام(١).

وعن بعض السلف: أنه كان إذا دخل المسجد ولا إنسانَ فيه يقول: السلام علينا من ربِّنا تحيةً من عند الله مباركة طيبة.

وقيل: هي بيانُ صفة السلام ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً﴾ فهو مصدرٌ للأول من غير لفظه؛ كقول الراجز:

يعجبُه السَّحورُ والثَّريدُ ... والتمرُ حبًّا ما له مزيدُ(٢)

وقوله تعالى: ﴿مُبَٰرَكَةً﴾: أي: كثيرةَ الخيرِ طيبةً، أي: يستطيبه المحيَّى.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «علينا من ربنا».

(٢) الرجز ذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٨)، وابن الأنباري في «شرح القصائد السبع الجاهليات» (ص: ٣١)، و«الصحاح» (مادة: سخن)، والأول عندهم:

(يعجبه السَّخُونُ والعصيدُ)

وذكره ابن جني في «اللمع» (ص: ٥٠)، وابن الشجري في «الأمالي» (٢/ ٣٩٦)، برواية:

(يُعجبهُ السَّخون والبَرود)

السخون: ما يسخن من الطعام، والبرود منه: البارد. انظر: «توجيه اللمع» لابن الخباز (ص: ١٧٢)

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾: أي: كما بيَّن هاتين يبين سائر الآيات.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: لتعقلوا أمره ونهيَه فتعملوا بذلك فتؤجَروا عليه.

* * *

(٦٢) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: وينتظِم هذا بما قبله من الاستئذان ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾؛ أي: مع الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾؛ أي: على شأنٍ جمَعهم كالغزو والجمعة والعيد ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ من عنده ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ فيأذنَ لهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾: رجع من المغايَبة إلى المخاطبة، وهو من وجوه الكلام ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فيأتمِرون بأمر الشرع.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أي: لبعض أمورهم التي وراءهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾.

قيل: جعل المشيئةَ إليه في ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ الآيةَ [الأحزاب: ٥١]، وفيه(١) رفعُ شأنه.

وقيل: أي: فأذن لمن رأيتَ المصلحةَ في ذلك فلا يكون في رجوعه ضررٌ على

---

(١) في (أ): «وقيل»، وفي (ف): «وقيل فيه».

الناس، دون مَن كان في رجوعه خطرُ ضررٍ؛ لأنَّا نعلم أنه لا يأذن إلا لمن هذا وصفُه فحملناه على هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾: أي: وادْعُ لهم بالمغفرة لسالفِ ذنوبهم وتقصيرهم جزاءً لهم على إجابتهم لك، كما قال: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾ ثم قال ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: يغفر لمن استغفرتَ له ويرحمُه.

نزلت الآية يوم الخندق، وكان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غيرِ استئذان، فنزلت الآية[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ استأذن النبيَّ ﷺ في الرجوع إلى أهله في غزوةٍ، فأَذِن[2] له وقال: «ارجع فلستَ بمنافقٍ» فعيَّره المنافقون، فنزلت الآية[3].

وهذا خلافُ قوله في سورة براءة: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٤٥]، ذاك في حقِّ المنافقين، وكان استئذانهم نفاقاً من غيرِ عذرٍ.

* * *

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان، وعن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٦).

(٢) في (ر) و(ف): «فما أذن»، وهو خطأ مخالف للخبر.

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٨٦). وقوله: «فعيره المنافقون» الضمير للنبي ﷺ، وفي المصادر بدلاً منه: (وكان المنافقون إذا استأذنوا نظر إليهم ولم يأذن لهم، فكان بعضهم يقول لبعض: محمدٌ يزعم أنه بُعِث بالعدل وهكذا يصنع بنا).

(٦٣) ـ ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾: أي: لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء واحدٍ منكم غيرَه إلى أمرٍ، فتستجيزوا التخلُّفَ عنه أو الانصرافَ بعد المجيء بغيرِ إذن، فإنه أمرٌ حَتْمٌ ولا يجوز خلافُه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تجعلوا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتُموه[١] كدعاء غيره؛ لأن دعاءه مستجابٌ لا محالة[٢].

وقال جماعة من المفسرين: لا تجعلوا دعاءكم الرسولَ كدعاء بعضِكم بعضاً، فتدعوه باسمه: يا محمد، أو ترفعوا عليه الصوت، بل ادْعُوه بتعظيمٍ وخفضِ صوتٍ ولِينٍ، قال الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ [الحجرات: ٤]، والقصة تذكرُ في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ ﴾: أي: ينتزِعون[٣] ويُخرجون أنفسهم ﴿مِنكُمْ﴾؛ أي: من بينكم أيها المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿لِوَاذًا﴾: أي: مُلاوَذةً، وهي التستُّر بشيءٍ مخافة أن يراه أحد، وقيل: نفاراً[٤]، وقيل: تباعُداً، وقيل: رَوَغانا.

---

(١) في (ر): «استخصمتموه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٨).

(٣) في (ر) و(ف): «يسرعون».

(٤) في (ر) و(ف): «ويقال نفاذاً».

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: قيل: ﴿عَنْ﴾ زائدة[١].

وقيل: معناه: يُعْرِضون عن أمره.

وقيل: أي: يخالفونه بعد أمره، و﴿عَنْ﴾ بمعنى: بعد، وقال الشاعر:

ما زلتُ أرحَلُ مَنْهَلاً عن مَنْهَلٍ حتى أَنَخْتُ ببابِ عبدِ الواحدِ[٢]

أي: بعدَ منهلٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: قيل عقوبةٌ في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في العقبى.

وقيل: ﴿فِتْنَةٌ﴾؛ أي: كفر؛ كما قال ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ودلَّ على أن أمرَ النبي ﷺ للفَرْض حتى كان خلافُه كفراً.

* * *

(٦٤) ـ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ملكاً وخَلْقاً وتصرُّفاً، لا يَمتنِعُ أحد عن عقابه.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من المعصية والطاعة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: قرأ أبو عمرو في روايةٍ بفتح الياء وكسر

---

(١) في (ر): «قيل عن رأيه».

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ١٠٣).

(٣) «والطاعة» من (أ).

الجيم على الفاعل الظاهر[١]، والباقون بضم الياء وفتح الجيم على ما لم يسمَّ فاعله؛ أي: ويعلمُ يوم تردُّون إلى جزائه وثوابه[٢] وهو يومُ القيامة؛ كما قال تعالى[٣]:

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾: يعدِّدُ عليهم ذنوبهم تقريعاً، ويعذِّبهم عليها عذاباً وجيعاً.

قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: من أعمالهم وأعمالِ غيرهم جميعاً.

تمت والحمدُ لله رب العالمين

* * *

---

(١) ذكر هذه الرواية عن أبي عمرو ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤٥٩)، وهي خلاف المشهور عنه، ولم يذكرها الداني في «التيسير» ولا صاحب «النشر»، لكن قرأ بها من العشرة يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٠٨).

(٢) قوله: «وثوابه» ليس في (أ).

(٣) قوله: «كما قال تعالى» ليس في (أ).

سُورَةُ الفُرقَانِ

1-Part..Tafseer..Nosafi... A.Soboh.. 17x24..2019.job6B......07/17/2019...13:11:34..

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الرحمنِ الذي له الملكُ الحقُّ يوم القيامة وكان يوماً على الكافرين عسيراً، الرحيمِ الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الفرقان بعثه الله يوم القيامة وهو موقنٌ أن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأُدخل الجنةَ بغير نَصَب»[1]، يعني: الإعياء[2].

وسورة الفرقان مكية، وهي سبعٌ وسبعون آية[3]، وثماني مئة وثلاثٌ وتسعون[4] كلمة، وثلاثة آلاف وسبع مئة وستة[5] وسبعون حرفاً.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٢٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٨٥)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) «يعني الإعياء» ليس في (ف).

(٣) وقد نقل أبو عمرو الداني الإجماع عليه. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٤).

(٤) في (ر) و(ف): «وسبعون». وفي «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٤)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٢٢): (واثنتان وتسعون).

(٥) «وستة» ليست في (أ). وفي المصدرين السابقين: (ثلاثة آلاف وسبع مئة وثلاثة وثمانون حرفاً).

وانتظامُ أولِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال في ختم تلك السورة: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقال في افتتاح هذه السورة: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وانتظام السورتين: أن تلك السورةَ في معرفة الله وصفاته، وذكرِ الكفر وبطلانه، وبيان العبادة والمعاملة والوعدِ والوعيد، وهذه السورة كذلك، إلا أن تلك ذكرُ المعاملة فيها[1] أكثرُ لأنها مدنية، وبيان التوحيد في هذه السورة أكثر لأنها مكية.

* * *

(١) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: قيل: عَظُم، وقيل: تعالى، وقيل: كَثُر خيرُه، وقيل: دام بِرُّه، وقيل: تبارك اسمُه.

الذي أوحَى القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: أي[2]: إلى عبده المصطفى محمدٍ.

﴿لِيَكُونَ﴾ الله، وقيل: ليكون عبده، وقيل: ليكون الفرقان.

﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: لأهل الدنيا كلها، وقيل: للقرون كلها إلى يوم القيامة ﴿نَذِيرًا﴾ مخوِّفاً بالقيامة وما فيها لمن خالفه.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: على الخُلوص، هو الذي خلقهما فلا شريكَ له فيهما.

---

(١) في (ف): «في تلك السورة».

(٢) «على عبده أي» من (ف).

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: كما تقول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والنصارى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومشركو العرب: الملائكة بنات الله.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: كما يقوله المشركون: إن الأصنام آلهة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: وحده، لا كما تقوله المجوس والثَّنويةُ: من النور والظلمة، ويَزْدانَ وأَهرَمَن[1]، والمعتزلةُ: أن الأفعال مخلوقة العباد.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾: أي: هيَّأه على ما أراد، لم يمتنع عليه شيءٌ، ولم يتغير إلى زيادة ونقصان.

أي: فوحِّدوه وأطيعوه، فهو المنفرد بالألوهية والربوبية، والملك والخلق، والتقدير والتدبير، ولا تكونوا كالمشركين، وهم الذين ذكرهم من بعدُ، وهو قوله:

* * *

(٣) ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾: أي: وجعل المشركون لأنفسهم سوى اللهِ آلهةً من الأصنام يعظِّمونها ويحبونها وهي جمادٌ لا قدرة لها، فجُمع ﴿يَخْلُقُونَ﴾ و﴿يُخْلَقُونَ﴾ و﴿يَمْلِكُونَ﴾[2]...

---

(١) قالوا: إن الله ـ تعالى ـ وإبليس أخوان، فالله ـ تعالى ـ خلق الناس والدواب والأنعام وكل خير، ويعبرون عن الله بيزدان، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب وكل شر، ويعبرون عن إبليس بأهرمن. انظر: «جامع البيان» للإيجي (١/ ٥٦٣).

(٢) «ويملكون» من (أ)، وفي (ف): «ولا يملكون».

بالواو والنون وهو فعلُ الجماد؛ لأنهم اعتقدوها آلهةً[1] عالمةً قادرة.

وقوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أنْ[2] يدفعوه عن أنفسهم ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ يجرُّونه إليها ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ إماتة أحدٍ، ولا إبقاءَه حيًّا، ولا إنشاءه بعد موته، والله تعالى يقدر على ذلك كلِّه.

وقيل ـ وهو الصحيح ـ: دخل في ذلك الملائكةُ والأنبياء، ولذلك جمَع أفعالَهم بالواو والنون، ويدل عليه ما ذكر بعده: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾ [الفرقان: ١٧]، وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ أي: لا يملكون ذلك بأنفسهم بل بتمليك الله جلَّ جلاله.

* * *

(٤) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾: أي: ما هذا الذي جاء به محمد الذي يزعُم أنه من عند الله إلا كذبٌ اختلَقه واخترعه من عند نفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: قال مجاهد: أي: اليهود.

وقال الحسن: أي: عبدٌ حبشيٌّ كان لابن الحضرمي[3]، وكان كاهناً في الجاهلية.

وقيل: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على اختلاقه ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ قرؤوا الكتب المتقدِّمة وأقاصيصَ الأولين. وقال الله تعالى في ردِّهم:

---

(١) «آلهة» ليست في (أ).

(٢) في (ر): «أي»، وفي (ف): «أي لن».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٦٦)

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾: أي: أتَوا جَوراً[١] وكذباً، ووضعوا التكذيب غيرَ موضعه.

وقيل: هو من كلام المشركين في صفة النبيِّ ﷺ والقومِ الآخرين[٢]؛ أي: جاؤوا بكلامٍ هو ظلمٌ وزورٌ، والزُّور: القول المائل عن القصد.

* * *

(٥) ـ ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: هو أقاصيصُ المتقدِّمين وما سطَروه؛ قاله النضر بن الحارث، وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ﴾: أي: كتبها محمد عن اليهود وغيرهم.

ويقال: ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾؛ أي: كتبها من ذاته.

وقيل: معناه: طلب كتابتها من غيره.

﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي: طرفي النهار، فيحفظ ما يُملى عليه ثم يَتلُوه علينا.

* * *

(٦) ـ ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يعني: أن القرآن لمَّا كان مشتمِلاً على علمِ كثيرٍ من الغيوب التي يستحيل في مجرى العادات أن يعلَمها محمد من غيرِ تعليم، دلَّ ذلك على أنه مِن عندِ مَن يَعلم الغيوب وهو الله تعالى، ولو كان

---

(١) في (أ): «زوراً».

(٢) في (أ): «الآخرون».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٠).

مأخوذاً من اليهود لم يزد على ما في كتبهم، ولو اختلقه من عند نفسه لأَمْكَنهم مثلُه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: يستر على عباده ذنوبَهم، ويرحمُهم فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويُعْذِر إليهم بإقامة البراهين ومواتَرة المرسَلين[١].

وقيل: عنوا بقولهم: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: عداساً مولى حُويطبِ بن عبد العُزَّى، ويساراً مولى عامر بن الحضرمي، وجبراً مولى عبد الله بن الحضرمي، وأبا فكيهة[٢].

وقيل في قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: أحاديث رستم وأسفنديار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في النضر بن الحارث ثماني آيات فيها ذكر أساطير الأولين، قام يوماً وقصَّ قِصصَ رستمَ وأسفنديار وملوكَ فارس، وقال: ما محمدٌ بأحسنَ حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين[٣].

* * *

(٧) - ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾: أي: وقال هؤلاء المشركون: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول، أطلقوا له الاسم إما استهزاء أو بناءً على زعمه ﴿يَأْكُلُ

---

(١) في (أ) و(ف): «ومؤاثرة المسلمين»، وفي (ر): «ومؤاثرا المسلمين».

(٢) قوله: «وأبا فكيهة» فيه نظر، فإن أبا فكيهة هو يسار نفسه، كما ذكر الذين أوردوا هذا الخبر، وهو مذكور أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٧)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٤٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٨٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٠).

﴿ٱلطَّعَامَ﴾ كما تأكل البشر، ويخرج منه كما يخرج من البشر، أنكروا أن يكون البشر رسولاً؛ كما قالوا: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ كما يمشي الناس، فأي فضل له علينا؟!

وقيل: عنَوا به طلبَ المعاش لفقره.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾: أي: هلَّا أنزل على محمد ملكٌ ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾؛ أي: نبيا معه ينذر كما ينذر هو، فيكونَ إنذار الملك معه تصديقاً له وشهادةً على نبوته.

* * *

(٨) ـ ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾: أي: ينزل عليه من السماء كنزٌ فيقسمه بيننا.

وقيل[١]: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ من الأرض فيستغنيَ به، فإنه إنما يَفعل ما يفعل طلباً للدنيا والرياسة.

قوله: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: أي: بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ويَتمتَّع[٢] بنعيمها؛ أي[٣]: لا ينبغي أن يكون الفقير نبيًّا.

---

(١) «وقيل» من (أ).

(٢) في (أ): «ويتسع»، وفي (ر): «ويشبع».

(٣) في (أ): «يعنون».

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿نأكل﴾ بالنون[١]؛ أي: نشبع نحن في نعمته[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: هؤلاء المشركون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾؛ أي ما تتَّبعون أيها المؤمنون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سحرته الشياطين فهو لا يعقل ما يقول، ولو كان عاقلاً لم يَدَّعِ أنه رسول وهو ممن يأكل ويتحدَّث ويتردَّد في الطرق، لا ملَكَ يصدِّقه ولا دنيا يَتَّسع فيها.

وقيل في قوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾: أي: يخيَّل إليه الشيطانُ ملكاً، وكلامُ الشيطان وحياً.

* * *

(٩) - ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾؛ أي: وصفوا لك الأشباه من المفترِي والمملَى عليه والمسحورِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾؛ أي: تحيَّروا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾؛ أي: فلا يجدون لقولهم نفاذاً إلى شيء يَستقرُّ عليه.

وقيل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾؛ أي: إلى إبانة ما يكون قدحاً فيك.

* * *

(١٠) - ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾: أي: تعالى وتقدَّس الله الذي إن شاء جعلَ لك خيراً من الجنة الواحدة التي قالوها، والكنزِ الذي ذكروه:

---

(١) انظر «السبعة» (ص: ٤٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٢) في (أ): «أي نحن نتوسع في نعيمه».

﴿جَنَّٰتٍ﴾: أي بساتين في الدنيا كثيرةً ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: تمر في أصول أشجارها المياه في أنهارها.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾: تسكنها، وهي المساكن الكبار العالية كما قد آتى سليمانَ وغيرَه، وهو قادر على ذلك لكنْ لا موضعَ للتعظيم بالدنيا والتكثيرِ[1] بزهرتها، والتقلُّلُ منها أَلْيَقُ برتبة النبوة[2].

وقيل: يجعل لك جناتٍ وقصوراً في الجنة، وتعليق ذلك بالمشيئة لبيانِ أنه تفضُّل[3] من الله تعالى لا واجب عليه.

وقيل: معناه: إذ شاء، كما قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: إذ كُنتم.

* * *

(١١) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾: في أوله إضمار؛ أي: ما كذَّبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وليس لك كنز ولا جنةٌ ولم ينزل معك ملكٌ، لكنهم يكذِّبون بالقيامة وما فيها من الجزاء، فركَنوا إلى الدنيا واستثقلوا ما جئتَهم به من الشرائع لتكذيبهم بالثواب والعقاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: أي: وقد أعدَدْنا لمن جحد بها ناراً تستعِر فيهم[4].

---

(١) في (ر): «والتكثر بها».

(٢) في (ف): «بزينة النبوة» وفي (ر): «بزينة النبوية».

(٣) في (ر): «بفضل».

(٤) في (ر) و(ف): «تسعرهم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أبا جهل لعنه الله جمع الملأ من قريش في الحِجْر ثم أرسل إلى[1] رسول الله ﷺ فقال: أنت ابنُ أخينا وابنُ عمنا ومن أشرافنا، ولكنك فقير عائل، وقد علمنا أن الله ـ تعالى ـ غني[2] جليل، وكان حقَّك أن تغيِّر من حالك، ثم مع ذلك إنك تمرضُ كما نمرض، ويصيبك البلاء[3] والمصائب كما تُصيبنا، وتأكل الطعام وتمشي في الأسواق كما نأكل ونمشي، فنزلت الآية[4].

وقيل: الذي قال: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ عبد الله بن أبي أمية المخزومي.

* * *

(١٢) ـ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: قيل: من مسيرةِ مئة سنة، وقيل: خمسِ مئة سنة.

قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾: قيل: أي: إذا ظهرت لهم.

وقيل: أي: حاذَتْهم وقابلتْهم، والعرب تقول: إذا رآك الجبل فخذ عن يمينك؛ أي: إذا حاذاك، ويقال: دور بني فلان تتناظر، ويقال أيضاً: تتراءى؛ أي: تتحاذى.

وقيل: هي مبالغةٌ في بيان هيبة تلك؛ أي: كأنهم إذا دنوا منها هي تراهم رؤيةَ الغضبَى التي تزفر غيظاً عليهم ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾؛ أي: للنار ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[5] عليهم؛

(١) في (ف): «ثم أتى».

(٢) «غني» ليست (أ).

(٣) في (أ): «اللأواء».

(٤) لم أجده.

(٥) من قوله: «قيل: أي: إذا ظهرت لهم... » إلى هنا من (أ).

أي: صوتَ غليانٍ وفورانٍ والتهابٍ كالتهاب الرجل المغتاظ، وهي كما قال: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]؛ أي: تتقطَّعُ غيظاً عليهم.

وقيل: معناه: سمعوا فيها تغيظاً وزفيراً للمعذَّبين، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]، واللام و(في) يتقاربان: افعل هذا في الله ولله، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ أي: في يوم القيامة، وعاد في كذا ولكذا.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾: قُرِنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: أي: قُرِن كلُّ رجلٍ بشيطانه.

وقوله تعالى: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: أي: نادوا: واويلاه واثُبوراه واهلاكاه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الثبور: الويل. وقال الضحاك: الهلاك[1].

وقال المبرِّد: الثبور: هلاك على هلاك، من قولك: ثابر فلان على كذا؛ أي: داوَمَ عليه.

* * *

(١٤) ـ ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾: والثبور المصدر، وهو جنسٌ فصلح للواحد والجمع؛ أي: يقول لهم الملائكة ذلك، وليس هذا أمراً لهم به لكنْ بيانٌ أنهم وإن أكثَروا من ذلك لم يتخلصوا.

---

(١) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٩).

وقال ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص: إن جهنم تضيق على الكافر كضيق الزُّجِّ على الرمح[١].

* * *

(١٥) ـ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: أي: قل يا محمد: أمَا[٢] سلف من ذكر النار خيرٌ ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: وعَدها الله الذين يتقون الشرك والمعاصي.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾: على أعمالهم بوعد الله ﴿وَمَصِيرًا﴾؛ أي: مرجِعاً يرجعون إليه.

* * *

(١٦) ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: أي: ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ به الأعين ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا﴾: أي: كان خلودهم فيها ومصيرُهم إليها وعداً على ربك؛ أي: وعداً حقًّا، كما قال: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [التوبة: ١١١].

﴿مَسْئُولًا﴾: أي: كانوا يَسألونه في الدنيا بقولهم: ﴿وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقيل: هو سؤال الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨].

وقيل: هو أمر بالسؤال؛ أي: وعدتكم ذلك وأنا منجزُه لا محالة، فسلوني ذلك.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٩ ـ زوائد نعيم)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٨) عن عبد الله بن عمرو، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٢٦) عن ابن عباس.

(٢) في (ر) و(ف): «ما».

(١٧) ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾: أي: واذكر يا محمد يومَ نحشرهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الأنبياء والملائكة، و﴿وَمَا﴾ بمعنى (من)، وهو كقوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣].

﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ ﴾: المشركين حتى عبدوكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾؛ أي: أأنتم زينتُم لهم ذلك بإدخال الشُّبَه، وهو استفهام بمعنى التقريع.

* * *

(١٨) ـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾: أي: أنت منزه عن الشركاء ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ ﴾؛ أي: لا يجوز لنا ولا يصلح ﴿أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾؛ أي: إنَّا لم نأمر هؤلاء بعبادتنا فنكونَ بذلك قد اتخذناهم لنا(١) أولياء؛ لأنهم إذا والَونا بأمرنا فقد واليناهم نحن وصار بعضُنا أولياءَ بعض.

وتلخيصه: ما كان لنا أن نتخذ من دونك مَن يُواليْنا فيَعبدَنا دونك، ومعناه: التبرؤ من الرضا بشرك هؤلاء والانتفاءُ منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾: أي: ما عبدونا بأمرنا، لكنْ لمَّا طال عمرهم وعمرُ آباءهم في الدنيا ممتَّعين بالجاه والمال والصحة نسُوا ذكركَ فأشركوا بك وعبدوا غيركَ.

---

(١) «لنا» ليست في (ر).

﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾: أي: صاروا قوماً هلكى، وقيل: كانوا في سابق القضاء كذلك.

والبور: قيل: هو جمع بائرٍ، من البَوَار وهو الهلاك، وهو كقولهم: هائدٌ وهُود، وحائلٌ وحُول.

وقيل: هو لفظٌ يصلح للواحد والجمع، وهو في الأصل مصدر كالزُّور والنُّور[١]، وقال ابن الزِّبَعْرَى في الواحد:

يـا رسـولَ الإلـهِ إنَّ لسانـي   راتقٌ مـا فتَقْـتُ إذ أنـا بُـورُ[٢]

***

(١٩) - ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾: يحتمل أنه كلام الله تعالى في خطاب المشركين يوم القيامة؛ أي: كذَّبكم الملائكةُ أيها المشركون فيما كنتُم تقولون: إنهم أربابٌ يريدون منكم أن تعبدوهم **﴿فما يَسْتَطيعون صَرْفاً﴾**[٣]؛ أي: فما يستطيع الملائكةُ وعزيرٌ وعيسى صرفَ العذاب عنكم ولا منعاً لمن يعذِّبكم.

وقيل: تمَّ خطاب الله تعالى للمشركين بقوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ ثم قال: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: الكفار ﴿صَرْفًا﴾ للعذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: ولا منعاً لمن يعذِّبهم، وقد أَيِسوا من شفاعة معبودهم ونصرتهم، ثم خاطب الكفار في الدنيا فقال: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

---

(١) في (ف): «كالدور والنور»، وفي (ر): «كالدور والبور».

(٢) انظر: «ديوان عبد الله بن الزبعرى» (ص: ٣٦).

(٣) ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالياء قراءة السبعة عدا حفصاً فقد قرأ بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

ويحتمل أن قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ خطابٌ من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين، يعني: فقد كذبكم الكفار بما تقولون من الحق في الإيمان بالله وتوحيده وخلعِ الأنداد ﴿فما يستطيعون صرفاً﴾ للعذاب الذي استحقُّوه بذلك عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لأنفسهم، لا من أنفسهم ولا من بعضهم لبعض في دفع ما ينزل بهم.

ووجهٌ آخر: فقد كذَّبكم أيها المؤمنون هؤلاء المشركون ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ لكم ﴿صَرْفًا﴾ عن الحق الذي هداكم الله له ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لأنفسهم من عذاب ينزل بهم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أيها المؤمنون؛ أي: يشرك بعد إيمانه ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ لا يجد له ناصراً فاستديموا[1] على إيمانكم فإنهم لا يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أوضحه الله تعالى لكم.

***

(٢٠) ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

يقول: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلى الأمم إلا وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وذلك أَدْعى إلى الموافقة، وأسمعُ لِمَا يُلقى إليه للمناسبة.

و﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر الألف لأنه موضعُ ابتداءٍ، وتقديره: إلا وهم يأكلون، وليست

(١) في (أ): «فاثبتوا»، وفي (ف): «فاستووا».

الكسرة للَّام؛ لأن دخولها وخروجها هاهنا سواءٌ[١]، وهو كما تقول: (ما قدم علينا أمير إلا إنه مُكْرِمٌ لي) بالكسر.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾: فتُؤْجَروا، أو لا تصبرون فتعاقَبوا؛ أي: محنةً؛ أي: الدنيا دارُ ابتلاء وامتحان، فلا بد من المخالفة بين أحوال أهلها، وإحواجِ بعضهم إلى بعضٍ، وتفضيل بعضهم على بعضٍ؛ ليشكر الفاضل ويَصبر المفضول، فمِن غنيٍّ وفقير، ورئيس ومرؤوس، ثم كلٌّ بشرٌ، فكذلك رسولٌ ومرسَلٌ إليه وكلٌّ بشرٌ، والرسول ممتحَنٌ بالشكر على ما أُوتي من الرتبة، وبالصبر على تحمُّل أعباء الرسالة، والمرسَل إليه ممتحَنٌ بالانقياد له والطاعةِ لأمره.

وقيل: معناه: امتحنَّا بعضكم ببعضٍ، فجعلتُ محمداً نبيًّا وبعثتُه إليكم، ولم أعطه الدنيا، وجعلتُه يطلب المعاش في الأسواق، واختبرتُكم في إجابتكم إياه إلى ما دعاكم إليه بغيرِ عرَضٍ من الدنيا ترجونه منه؛ لأني لو أعطيتُه الدنيا لتَسارَعَ كثيرٌ منكم إلى اتِّباعه طمعاً في دنياه أن ينال منها.

وقال مقاتل: نزلت الآية في أبي جهل والوليدِ والعاصِ والنَّضْر بن الحارث، وذلك أنهم لمَّا رأوا أبا ذرٍّ وابنَ مسعود وعمارَ بن ياسر وبلالَ بن حمامةَ[٢]، وصُهيبَ بن سنانٍ، وعامر بن فُهيرة، والنَّمِرَ بن قاسطٍ، ومَهجَعاً مولى عمر، وخيراً[٣] غلامَ

---

(١) يعني: لو لم تكنِ اللامُ لكسرت الهمزة أيضًا؛ لأنَّ الجملةَ حاليةٌ؛ إذ المعنى: إلا وهُم يأكلون. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١١٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٦٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٨)، و«الإملاء» للعكبري (٢/ ٩٨٣).

(٢) هو بلال بن رباح الصحابي الجليل، وحمامة اسم أمه.

(٣) في (أ): «وجبراً». وكلاهما منقول في اسمه: (جبر) بالجيم والباء و(خير) بالخاء والياء. انظر: «الإصابة» (٢/ ٢٩٥).

الحضرميِّ، وذويهم، قالوا: أنُسلِم فنكونَ مثل هؤلاء؟ فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ يخاطب هؤلاء المذكورين: ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ يعني: على هذه[١] الشدة والفقر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: بصبرِ مَن صبرَ وجَزَع مَن جَزِع، وهذا عن ابن جريج[٣].

وعلى الأول: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يَصلُح للرسالة[٤]، وبما ينبغي أن يُدبَّر[٥] كلٌّ منهم من غني وفقير.

وقيل: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصلح أن يكون فاضلاً أو مفضولاً.

❋ ❋ ❋

(٢١) ـ ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: أي: الذين لا يؤمنون بالبعث ولقاءِ الله في الآخرة، فلم يَعملوا خيراً يرجوننا به إذا لَقُونا يوم القيامة.

وقيل: لا يخافون عذابنا، وقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون لله عظَمةً.

وقوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي: هلَّا أَنزل الله علينا الملائكة.

---

(١) في (ر) و(ف): «ليصبروا على» بدل: «أتصبرون يعني على هذه».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٢٦).

(٤) في (ف): «للرئاسة».

(٥) في (ر): «تدبر» بدل: «أن يدبر».

ويحتمل أن يكون معناه: هلا جُعلَ الرسولُ من الملائكة دون البشر.

ويحتمل: هلا أنزلهم علينا فيَشهدوا أن محمداً محقٌّ في دعوى الرسالة ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ عِياناً فيخبرَنا هو برسالته.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: أي: لقد تعظَّموا في نفوسهم حتى تحكَّموا على الله تعالى هذا التحكُّمَ ﴿وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾؛ أي: وتمرَّدوا غايةَ التمرُّد في ردِّ حُجج الله تعالى.

والعتوُّ: بلوغ النهاية في تركِ قبول الوعظ والحجة حتى يقعَ اليأس عن صلاحه، قال تعالى: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ [مريم:٨]؛ أي: حدًّا لا يطمع في مثله[1] الولد.

* * *

(٢٢) ـ ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾: أي: إنهم لا يرون الملائكة في الدنيا، وإنما يرونهم في الآخرة حين يبشِّرونهم بالعذاب[2].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ قيل: هو يوم القيامة.

وقيل: هو عند الموت ﴿لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ أي: لا خبر يبشِّرهم ويظهر استبشارهم في بشرة وجوههم ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: تقول الملائكة لهم: ﴿حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾؛ أي: حراماً محرَّماً عليكم أن تكون لكم البشرى، إنما البشرى للمؤمنين.

وكان كلاماً مستعملاً في أوائل العرب ثم تُرك، يقوله المسؤول للسائل إذا أراد تخييبه: حجراً محجوراً؛ أي: سألتَ شيئاً ممنوعاً.

---

(١) في (ر): «في نيل».

(٢) في (ف) و(أ): «بالعقاب».

وقيل: المجرمون يقولون ذلك للملائكة، وهي كلمة استعاذةٍ، وكان الرجل إذا لقي مَن يخافه على نفسه قال: حجراً محجوراً؛ أي: حراماً محرَّماً عليك التعرُّض لي، قال ذلك مجاهد وقتادة والحسن والخليل[١].

وعن مجاهد قال: ﴿حِجْرًا﴾ كلامُ المجرمين و﴿مَّحْجُورًا﴾ كلام الله تعالى؛ أي: مُنِع هذا الكلام أن ينفعهم.

***

(٢٣) ـ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾: أي: أبطَلْنا جميعَ أعمالهم لكفرهم، وهذا الكلام ـ وهو لفظ القدوم ـ مجازٌ أُريد به المبالغةُ في إحباطه، فإن الغائب منَّا إذا قدِم، والمشغولَ منا إذا تفرَّغ، والـمُعْرِضَ منا إذا أقبل، كان جِدًّا[٢] منه فيما قدم عليه وتفرَّغ له وأقبل عليه، والله تعالى لا يغيب عنه شيءٌ، ولا يشغله شيءٌ عن شيءٍ، لكنْ لمَّا أراد إثبات ما ذكر على وجه المبالغة ذكَر هذه الكلمات التي يَفهم الناس منها المبالغة في التوجُّه إلى الشيء، فقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً﴾؛ أي: غباراً، والهَبْوةُ كذلك ﴿مَّنثُورًا﴾: مفرَّقاً لا يمكن جمعُه، وهو استعارةٌ عن جعله[٣] بحيث لا يَتهيأ له الاجتماع، ولا يقع بها الانتفاع، وهو كقوله: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٧٤)، ورواه عن الحسن وقتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٢)، وعن مجاهد وقتادة الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٢٨ ـ ٤٣٠).

(٢) في (ر): «حداً»، وفي (ف): «جديراً».

(٣) بعدها في (ف): «هباء منثوراً».

وقيل: الهباء[١] هو ما يُرى إذا دخلت الشمس الكوةَ، وهو كقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]؛ أي: منتشِراً.

* * *

(٢٤) ـ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾: أي: يستقرُّون في الجنة بعد الفراغ من العرض والحساب ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ظاهره: موضع القيلولة، ولا نومَ في الجنة، ويراد به الاستراحةُ في ذلك الوقت، وليس في الجنة بكرةٌ وعشيٌّ وظَهيرةٌ لكن يؤتَون بالأرزاق على مقادير الأوقات المعهودة في الدنيا، ويستريحون في مثل أوقات الدنيا.

وقيل: إن أهل الجنة لا يمكثون في عَرَصات القيامة إلى وقت الدخول في الجنة إلا مقدارَ أول النهار إلى وقت القائلة في الدنيا، فهذا إشارةٌ إلى ذلك.

وقيل: المقيل هو موضعُ التمكُّن، قال القائل:

بضربٍ[٢] بالسيوف رؤوسَ قومٍ ... أزلنا هامهنَّ عن المَقِيل[٣]

ثم قولُه تعالى: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ليس للتفضيل بعد الاشتراك[٤] في صفةِ الخيرية والحُسن، وهو كقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢]،

---

(١) في (ف): «الهبو».

(٢) في (أ): «وتصرف» وفي (ر) و(ف): «ويضرب»، والمثبت من المصادر.

(٣) البيت للمرار بن منقذ التميمي كما في «المقاصد النحوية» (٣/ ١٣٩٦)، ودون نسبة في «الكتاب» لسيبويه (١/ ١١٦ و١٩٠)، و«اللمع» لابن جني (ص: ١٩٦)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٢٩).

(٤) في (ر): «الإشراك».

وقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [الفرقان: ١٥]، لكنه على التوبيخ؛ كالرجل يُفسِد فيُعاقَب عليه، وآخرُ يُصلِح فيثاب عليه، فيقال للمفسد: أهذا الذي فعل فلان خيرٌ أم ما أنت فيه؟

***

(٢٥) ـ ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾: هو يومُ القيامة، و﴿تَشَقَّقُ﴾ أصله: تتشقَّق، حُذفت إحدى التاءَين تخفيفاً، و﴿ٱلسَّمَآءُ﴾؛ أي: السماوات ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ هو فوق السماوات السبع، وهو سحابٌ أبيضُ غِلَظُه كغِلَظ السماوات السبع، ويمسكه الله تعالى اليوم، وثقلُه أثقلُ من ثقل السماوات.

فإذا أراد الله عز وجل أن تَشقَّق السماوات ألقى ثقلَه عليها فانشقَّت، فذلك قوله: ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ﴾؛ أي: بثقل الغمام فظهر الغمام.

﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ في الغمام بنزوله، وذلك قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: بظللٍ من الغمام فيه الملائكةُ، ونزولُهم لمحاسبة الخلق.

وقيل: ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي[1]: ملائكةُ السماوات ﴿تَنزِيلًا﴾ لزوال السماوات، فتزولُ أماكن الملائكة فيصيرون في مكانٍ آخر.

***

(٢٦) ـ ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾: أي: المُلْكُ الحقُّ يوم القيامة

---

(١) في (أ): «ونزول» بدل: «ونزل الملائكة أي».

للرحمن على الخلوص، لا يبقى مدَّعي ملكٍ يومئذ، قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ووصفُه بالحق لأن مُلك الخلقِ مجازٌ ومستعار، وهو للهِ تعالى على الحقيقة، لا يزول ملكُه ولا يردُّ حكمُه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: لِمَا ينالهم من الأهوال والتشديدِ في السؤال، ثم الخزيِ والنكال، ثم النارِ والأغلال.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: قيل: هو في حقِّ كلِّ[(١)] مشرك، يَعَضُّ على يديه تحسُّراً، وهو واحد بمعنى الجمع؛ كما قال: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: أي: مع محمدٍ ﷺ، وُصْلةً[(٢)] بالإيمان به وسلوك طريقه.

* * *

(٢٨) ـ ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾: أي: أحداً خالَف الرسول ﴿خَلِيلًا﴾؛ أي: صديقاً.

ينادي على نفسه بالويل لعِلمه بما وقع فيه بمعاداة الرسول وموالاةِ مَن عاداه.

---

(١) في (أ): «قيل هو في»، وفي (ر) و(ف): «قيل في حق كل».

(٢) في (ف): «صلة».

و(فلان) عندهم كنايةٌ عن واحدٍ مجهول، وهو مستعمل في كلامهم، يقول الرجل لآخر: ما تصنعُ بصحبة فلانٍ وفلانٍ، وقال قائلهم:

استَغْنِ بالله عن فلانٍ وعن فلانٍ وعن فلان[١]

* * *

(٢٩)- ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾: أي: الإيمانِ بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ من الله بإنزاله على رسوله وتبليغه إلينا.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾: أي: يَخذلُ أولياءه يوم القيامة ويتبرَّأ منهم، قال تعالى: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

وقال مجاهد: ﴿فُلَانًا خَلِيلًا﴾؛ أي: الشيطان[٢].

وقيل: نزلت في مُعيَّنٍ[٣]، وأكثرُ القرآن نزل في أسبابٍ خاصةٍ ثم يكون عامَّ المعنى فيمَن تتناوله اللفظة.

قال الضحاك: ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾؛ أي: على أطراف أصابعه فيأكلها حتى يتنهيَ إلى مرفقيه وما يَشعر[٤].

---

(١) البيت لأبي العتاهية. انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٢).

(٣) سيأتي قريباً.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨١)، عن عطاء. ورواه بنحوه مختصراً ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٤) عن سفيان.

وقال ابن السمَّاك: يفعل ذلك أربعة آلاف[١] مرةٍ يأكلها ثم يعيدها الله تعالى، إلى أن يجيء وقت الحساب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وهو عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان رجلاً يجالس النبي ﷺ يستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به، وكان أبيُّ بن خلف صديقَه، فقال: وجهي لوجهك حرام إن كلمتك أو صادَقْتُك ما لم تَصِرْ إليه فتبصقَ في وجهه، ففعل، فأنزل الله هذه الآية[٢].

وقال مقاتل والسدي: كان عقبة رجلاً يسافر كثيراً، وكان إذا رجع من سفره أضاف أشراف قومه، فدعا رسول الله ﷺ، فلما قرِّب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بآكلٍ حتى تشهد شهادةَ الحق» فشهد بلسانه وهو مضمِرٌ الكفرَ، وكان أبيُّ بن خلف غائباً، فلما رجع أخبره بذلك، فأتاه عقبة زائراً، فقال له أبيٌّ: صبوتَ؟ قال: لا والله، قال: قد انقطعت العصمة بيني وبينك إن لم تَتْفل في وجهه، ففعل، فقتَل رسول الله ﷺ أبيَّ بن خلف يوم أحد، وذلك أنه طعنه طعنةً فرجع إلى مكة فمات منها، ولم يقتل بيده غيرَه، وأما عقبة فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريُّ يوم بدر صبراً[٣].

---

(١) في (ر) و(ف): «أربع مئة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٥ و٢٠٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، عن مقسم مولى ابن عباس، وفيه بدل قوله: «ففعل»: (فلم يسلطه الله عليه). أما رواية ابن عباس فخرجها الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠) من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: كان أُبيّ بن خلف يحضر النبيّ ﷺ، فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿خَذُولًا﴾ قال: ﴿ٱلظَّالِمُ﴾: عقبة، و﴿فُلَانًا خَلِيلًا﴾: أُبيّ بن خلف. ثم رواها من طريق عطية عن ابن عباس بنحو هذا.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٢ و٣٠١)، ورواه عن السدي ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٥). =

وقال أبو روقٍ: جمع عقبة البزاق فأتى رسول الله ﷺ فيما بين أصحابه فرمى بالبزاق، فانصرف البزاق وصار قطعتين على خده فسفعتا[(١)] خديه فكان فيهما أثرُه إلى أن قتل[(٢)].

* * *

(٣٠) - ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾: أي: متروكاً[(٣)] لا يسمعونه ولا يتدبَّرونه ولا يعملون بما فيه، ويقولون مرةً: هو سحر، ومرةً: هو مفترًى، ومرةً: هو أساطيرُ الأولين.

يعني: يقول الرسول يوم القيامة ذلك فيَشهد عليهم بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

و(قال) بمعنى: يقول؛ كسائر ما ذكر من أحوال يوم القيامة، وإخراجُه على صفة الماضي لتحقُّق كونه يومئذ فأُلحق بالكائن المتحقِّق.

* * *

(٣١) - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾.

= وفيهما: (أمية بن خلف) بدل: (أبي بن خلف). ولم يرد فيهما قصة قتله، والخبر بنحو سياق المؤلف رواه ابن مردويه وأبو نعيم في «دلائل النبوة» بسند صحيح كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠).

(١) في (ر) و(ف): «فشققتا».

(٢) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٤)، عن الضحاك.

(٣) في (ر) و(ف): «مستوراً».

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: كما يُعاديك هؤلاء المشركون ويقولون فيك ما يقولون، فكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ قبلك عدوًّا من المجرمين مثلَ أعدائك من الكافرين، فصبروا ففازوا، فاصبر أنت تَفُزْ أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾: أي: حسبُك الله موفِّقاً لك[1] للحق، كافيك به وناصراً لك على أعدائك.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: وهذا طعنٌ آخرُ منهم، قالوا: هلا نزِّل على محمد هذا القرآن دفعةً واحدةً مجتمعاً كلُّه.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: أي: كذلك أنزلناه متفرقاً، وكذلك نُنزله لنُحْكِمه حفظاً[2] في قلبك، فيكون فؤادُك ثابتاً به غيرَ مضطربٍ، ولو أنزلناه[3] عليه جملةً واحدة[4] وهو أميٌّ لا يكتب لتعذَّر عليه حفظه.

وقيل: لأن فيه ناسخاً ومنسوخاً، فلم يَستقِم إنزاله جملةً واحدة[5].

وقيل: كان النبي ﷺ في دار الحَجْبة، وسكونُ قلبِ المحِبِّ المحجوب بأن

---

(١) في (أ): «موقعاً لك»، وكلمة «لك» ليست في (ر) و(ف).

(٢) في (ر): «لحكمة ليحفظ».

(٣) في (أ): «أنزل».

(٤) «واحدة» ليست في (ف).

(٥) «واحدة» ليست في (أ) و(ف).

يتواصل إليه كتُبُ(١) المحبوب، فجعله متفرقاً تثبيتاً لقلبه، وترويحاً لروحه، وتسكيناً لشوقه.

وقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: أي: جئنا ببعضه على إثر بعضٍ، وأَضمر بعد قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: فرقنا ذلك ورتَّلناه؛ أي: فرَّقناه تفريقاً غيرَ متباعدٍ، بل تابعناه ولم نقطعه قطعاً يُضعف بذلك قلبك(٢).

قالوا(٣): ولما نزلت التوراة جملةً(٤) تركوها جملةً، ولما نزل القرآن مرتَّلاً مفصَّلاً ثبت في القلوب مقرَّراً ومحصَّلاً.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: أي: لا يأتيك هؤلاء المشركون بمثَلٍ؛ أي: شيءٍ يماثل ما كان من الأمم السالفة من محاجَّةِ أنبيائهم وتعنُّتِ رسلهم ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: أتيناك بما يحقُّ أن يُؤتى به(٥)، دون الباطل الذي لا حقيقة له.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: أي: أحسن بياناً مما عند هؤلاء السائلين؛ لأنهم لم يكونوا فيما يسألونه يعرفون من تلك الأمور مثلَ الذي كان الله يُعرِّفه نبيَّه ﷺ، وكان التحريف قد غلب على أهل الكتاب، فكان المشركون يرجعون إليهم

---

(١) في (ر): «بأن يتوصل إلى كنف».

(٢) في (ر): «وقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: أي: فرَّقناه تفريقاً غيرَ متباعدٍ، وقيل: تابعناه جئنا ببعضه على إثر بعض، وأضمر بعد قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: فرَّقنا ذلك ورتلناه، ولم نقطعه قطعاً يُضعف بذلك قلبك».

(٣) «قالوا» من (أ).

(٤) بعدها في (ر): «واحدة».

(٥) في (ف) و(أ): «أن يجابه فيه».

ويأخذون منهم ثم يسألون النبيَّ ﷺ، وهو يخبرهم على الوجه الذي[1] أخبره الله تعالى به، فكان أحسنَ تفسيراً مما هم يذكرونه.

* * *

(٣٤) ـ ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أي: هؤلاء المشركون الذين يعادُونك ويتعنَّتونكَ يمشُّون يومَ القيامة على وجوههم خزياً ونكالاً لهم، وسئل النبي ﷺ: كيف يمشُّون على وجوههم؟ فقال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشِيَهم على وجوههم»[2].

وقيل: يُسحبون على وجوههم إلى النار؛ كما ورد ذلك في آية أخرى.

﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في الآخرة فإنهم في النار ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ عن الجنة.

وقيل: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلةً في الدنيا، وأضلُّ عن طريق الحق، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧].

ومعنى كل الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ في جوابه ﴿بِالْحَقِّ﴾ فأنت منصورٌ عليهم في الدنيا بالحجة الواضحة، ثم هم محشورون على وجوههم إلى جهنم، وذلك نصرةٌ لك في الأخرة وخذلانٌ لهم وإخزاءٌ لهم في الدارين جزاءً على ضلالتهم، وهم أسوءُ مكاناً وأضلُّ سبيلاً.

وليس هذا للتفضيل بعد ثبوت التسوية في الطرفين، بل طريقه ما قلنا في قوله: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

---

(١) في (ف) و(أ): «كما» بدل: «الذي».

(٢) روى نحوه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾: يقول: لستَ أولَ نبيٍّ كذِّب، بل قد أعطينا موسى التوراةَ ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ وقد فسرناه في (طه).

وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ﴾: أي: لهما[1]: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: فرعونَ وقومِه.

وقوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾: أي: قد ذهبا إليهم فدعَواهم فعصَوهما فأهلكناهم إهلاكاً بالغرق في اليم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ﴾: أي: ودمَّرنا قوم نوح لما كذَّبوا ﴿ٱلرُّسُلَ ﴾؛ أي: نوحاً ومَن قبله من آدم وشيث وإدريس؛ أو[2] أخبرهم نوحٌ أن الله يبعث بعدي رسلاً فكذَّبوهم أيضاً كما كذبوه، أو أراد به تكذيبَ نوحٍ وحده، ويطلق اسم الجمع على الواحد، يقال: خرج فلان على البغال، وإن خرج على بغلة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾: أي: بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾؛ أي:

---

(١) «أي لهما» من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «أي و» بدل: «أو».

لمن بعدهم علامةً على قدرتنا وربوبيَّتنا وانتقامنا ممن كذَّب الرسل[١]؛ لأن الطوفان عمَّ الدنيا كلَّها، فصار عبرةً للكل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: وكذلك هيَّأنا لكلِّ ظالمٍ نفسَه بالكفر بي وبرسلي.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾: أي: ودمَّرنا عاداً قومَ هود وثمودَ قومَ صالح.

﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾: قيل: هم الذين بُعث إليهم صاحبُ (يس) حبيبٌ النجارُ، المذكورُ في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]، فقذفوه في بئرٍ بأنطاكيةَ ورسُّوه بالحجارة؛ أي: أثبتوه[٢] فيها بها، كذلك قال كعبُ الأحبارِ، رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

وقيل: هم قرية[٤] من ثمود[٥].

وقيل: هم باليمامة.

وقيل: كانوا بين المدينة ووادي القرى.

وقيل: الرسُّ: البئر غيرُ المطويَّة.

---

(١) في (أ): «رسلنا».

(٢) في (ف): «ابتنوه».

(٣) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٧).

(٤) في (ر): «فرقة».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢) من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وإسناده منقطع.

وقيل: الرسُّ: ماء ونخلٌ لبني أسد.

وقال عكرمة: الرسُّ: بئر أَلقوا فيها نبيَّهم(١).

وقال قتادة: هي قرية باليمامة يقال لها: فلج(٢).

وقال أبو عبيدة: هو المعدِن(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾: قال إبراهيم: القرن أربعون سنة(٤).

وقال بعضهم: سبعون سنة.

وقيل: هم أهلُ عصرٍ مقترِنون.

ومعناه: وأمماً بين ذلك كثيراً، وقال النبيُّ ﷺ: «كذب النسَّابون، يقول الله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾»(٥).

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٥). وفيهما: (رسُّوا) بدل: «ألقوا».

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٥) بلفظ: كانوا أهل فلج وآبارٍ كانوا عليها.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧٥ و٢٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٦).

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٦)، وخليفة بن خياط في «الطبقات» عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول: «كذب النسابون قال الله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾» وإسناده ضعيف جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾: أي: وصفنا(١) له الأشباهَ من الأمم التي كانت قبلهم فأُهلكت بتكذيب الأنبياء، فحذَّرنا كلَّ أمةٍ أن ينزل بها ما نزل بمن كان(٢) قبلها.

وقوله: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أي: أهلكنا إهلاكاً.

وهذا كلُّه تعريفٌ للنبي ﷺ أن الأنبياء قبله قد لقُوا من أممهم نحوَ ما تَلْقاه، وأن الله تعالى جاعلٌ العاقبةَ المحمودة له على مَن كذبه؛ تطييباً لنفسه وتثبيتاً لقلبه.

***

(٤٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾: أي: هؤلاء المشركون قد أتوا في أسفارهم على قريةِ قوم لوط وهي سَدُومُ، أُمطر أهلُها الحجارة عقوبةً لهم على معصيتهم نبيَّهم لوطاً عليه السلام، وارتكابهم الفاحشةَ بإتيان الذُّكران، وغيرِ ذلك.

قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: يَعتبِروا بها؛ أي: فكان ينبغي لهم أن يؤمنوا عند مشاهدةِ تلك الآيات.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾: أي: قد رأوا هذه القرية وسمعوا بخبرها، ولكنهم كانوا لا يخافون الآخرة، ولا يرون ثواباً ولا عقاباً، فلِكفرهم بالبعث أصرُّوا على تكذيب محمد ﷺ ولم يعتبروا بأولئك.

***

---

(١) في (ف): «وضعنا».

(٢) «كان» من (ر).

(٤١) ـ ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾: أي: ما يتَّخذونك إلا سخريةً لا يَرونك أهلاً للتعظيم، ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾؛ أي: بعثه الله رسولاً إلى خلقه.

نزلت في أبي جهل لعنه الله تعالى، كان إذا مرَّ بالنبي ﷺ يقول: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[1].

* * *

(٤٢) ـ ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾: أي: قد كاد يضلُّنا، وقيل: ما كاد إلا ليُضِلَّنا.

﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾: أي: قارَبَ أن يصرفنا عنها وعن عبادتها بالسحر الذي أتى به، والخدع الذي يزعم أنها آيات من عند الله تعالى ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ ﴾؛ أي: لولا حبسُنا أنفسَنا على عبادتها وتركُنا الإصغاءَ إلى ما يدعونا إليه محمدٌ لقارَبَ محمد أن يصرفنا عنها إلى إلهه.

عدُّوا عبادتَهم الأصنام رشاداً، واعتقدوا صرفهم عنها ضلالاً، فأَوعدهم الله تعالى فقال:

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾: أي: عن قريبٍ يعلمون إذا رأوا العذاب في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما، مَن أضلُّ سبيلاً أهم أم مَن كان يدعوهم إلى تركها؟

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥).

(٤٣) ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: أي: ما يهواه، نزلت في الحارث بن قيس السَّهْميِّ كان تَبُوعاً لهواه يتَّخذ صنماً يعبدُه ثم يرمي به[١] فيتخذُ سواه، فهذا كان دأبَه[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: أي: أرأيتَ مَن عبَد ما يهواه من غيرِ حجةٍ ولا دليل، أفأنت تكون عليه موكَّلاً فتصرفَه عن الهوى إلى الهدى؟ عرَّفه أنه ليس بمقدورٍ للنبيِّ ﷺ، بل هو المنفرد[٣] به، إذا شاء فعله بمن شاء، وأنه ليس عليه إكراههم على الإسلام بل عليه التبليغ لا غير.

* * *

(٤٤) ـ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: أي: أم تتوهَّم أن أكثر هؤلاء المشركين يعملون عمل مَن يسمع، أو يعقلون عقلَ[٤] مَن يَعقل، و(أم) لا تكون إلا بعدَ ألف الاستفهام، وهو ثابت هاهنا تقديراً: أتعلم أنهم يسمعون أو يعقلون أم تحسبُ ذلك منهم.

---

(١) في (ف): «ثم يبرم عنه».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥)، و«النكت والعيون» (٤/ ١٤٦) وفيه: حكاه النقاش، و«البسيط» (١٦/ ٥١٢) وعزاه لمقاتل.

(٣) في (أ): «بل الله المتفرد».

(٤) في (ر): «أو يعملون عمل»، وفي (ف): «أو يعقلون عمل»، وسقطت الجملة من (أ)، ولعل المثبت هو الصواب.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾: أي: لا تحسبْ ذلك منهم[1] فما هم إلا كالبهائم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ منها؛ لأن البهائم إن لم تعتقِد صحةَ التوحيد والنبوَّة لم تعتقِد بطلانهما، وهؤلاء يعتقدون بطلانهما.

***

(٤٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: أي: ألم تعلم، وهو استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد علمتَ أن ربك مد الظل؛ أي: قد شاهدتَ الظلَّ كيف مدَّه الله تعالى؛ أي: بسطه فعمَّ الأرض، وذلك من حين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإن الظلَّ مُطبِقٌ[2] للأرض من غير شمسٍ ولا ليل، وهذا قولُ عامة المفسرين، وهو كقوله في صفة الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]؛ أي: لا شمس معه ولا ظلمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾: أي: مستقِرًّا دائماً لا تَعقبه الشمس فتَنسخَه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: أي: نسخناه بالشمس، ثم جعلنا زوال الظل بالشمس دليلاً على أنه مِن خَلْقنا نوجدُه إذا شئنا ونُعدمه إذا شئنا.

***

(٤٦) ـ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾: أي: قبضنا ذلك الظلَّ الممدود؛ أي: أخذناه إلينا؛ أي: إلى حيث أردنا قبضه من الأرض.

---

(١) «منهم» ليس من (أ).

(٢) في (ف): «مطلق».

﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: أي: قليلاً قليلاً شيئاً بعد شيء، بطلوع الشمس شيئاً فشيئاً.

وقيل: قبضه[١] بغروب الشمس؛ لأنها ما لم تَغرب فالظلُّ فيه بقية، وإنما يَتمُّ زواله بمجيء الليل، وعلى هذا قولُه: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾؛ أي: سهلاً علينا لا مؤنةَ فيه علينا؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

وقيل: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾؛ أي: سريعاً.

وقيل: كالأول قليلاً قليلاً؛ لأنه يذهب شيئاً فشيئاً إلى أن يجتمعَ كلُّ الظلام.

وهذا بيان القدرة، ومن آيات الوحدانية وإلزامِ الحجة على أهل الشرك والضلالة، وكذا ما بعده، وهو قوله:

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: ستراً وغطاءً للأشياء كلها بظلامه، فتسكن الأشياء فيه ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال، والسَّبْت: القطع.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾: أي: حياةً من موت المنام لتنتشر الناس فيه لمعاشهم؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، وكان النبيُّ ﷺ إذا أصبح قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[٢].

وقال القشيري رحمه الله: رُوي أن النبي ﷺ نزل في بعض أسفاره وقتَ

---

(١) في (أ): «قبضها».

(٢) رواه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. ورواه البخاري أيضاً (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ومسلم (٢٧١١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

القيلولة في ظلِّ شجرة، وكان معه خلق كثير، فمدَّ الله تعالى ظلَّ تلك الشجرة حتى وسِع جميعهم، ونزلت الآية، وكان ذلك من معجزاته.

وقال: مدَّ الظلَّ على أوليائه: فقومٌ في ظل الحماية، وآخرون في ظلِّ الرعاية، وآخرون في ظل العناية، وآخرون في ظلِّ الكفاية.

وقال في قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ قال: هو وقتُ سكونٍ لقوم ووقتُ انزعاجٍ لآخرين، فأربابُ الغفلة يسكنون، وأصحابُ المحبة يسهرون، إن كانوا في رَوح الوصال لم يناموا لكمال أُنسهم، وإن كانوا في ألم الفراق لم يناموا لكمال وَجْدهم[1].

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وهو الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نشراً[2] بَيْنَ يَدَي رحمتِهِ﴾:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿نُشُراً﴾ بضم النون والشين وهي جمعُ نَشُورٍ؛ أي: ناشراتٍ للغيم تَنْشُره وتَبْسطُه في السماء بحركتها كما يُنشر الشيء المطويُّ.

وقرأ ابن عامر وأبو عمرو في روايةٍ بضم النون وسكون الشين.

وقرأ حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين.

وقال الكلبي: هو الريح الطيبة، مأخوذٌ من نشر المسك. وقيل: أي: حياةً.

وقرأ عاصم بالباء مضمومةً من البشارة[3].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩).

(٢) في (أ): «بشراً» بدل: «نشراً».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١١٠). والمشهور عن أبي عمرو القراءة الأولى، والثانية ـ التي بضم النون وسكون الشين ـ ذكرها ابن مجاهد، ولم يذكرها الداني.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أي: مطرِه، وهو من بيان قدرته ونعمته أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾: نقل الكلام من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه بخطاب الملوك جمعاً، وهو من وجوه تصريف الكلام.

والطهور مبالغةٌ في الطهارة.

وقيل: هو ما يُتطهَّر به؛ كالوَضوء ما يُتوضأ به، والسَّحور والفَطور والوَقود كذلك.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: بإنبات النبات وإخراج الثمار[1].

وقوله تعالى: ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾: جمع إنسيٍّ؛ أي: نمكِّنهم من أن يشربوه ويَسقوا به دوابَّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ﴾: قيل: أي: صرَّفنا الماء الطهور وهو المطر؛ أي: قسَّمناه بين العباد فجعلناه[2] سنةً لهؤلاء وسنةً لهؤلاء، ينقص حولاً لقوم ويزاد لقوم.

وقوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿لِيَذْكُروا﴾ بالتخفيف، والباقون بالتشديد[3]؛ أي: ليتذكَّروا نعمتي فيشكروا لي، ومعنى القراءتين: الذِّكر والتذكُّر بالقلب.

---

(١) في (أ): «الأثمار».

(٢) في (أ): «فجعلته».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

وقيل: الذكر: الشكر باللسان، والتذكُّر: تكلُّف إحضار القلب بالذكر.

وقوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: أي: كفراناً لنعمي؛ لأنهم يَصرفون النعمة والمطر إلى الأنواء، فيقولون: مُطِرنا بنَوءِ كذا، قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وقال الحسن: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾؛ أي: ليتذكَّروا بالمطر الذي أنزله فأحيى به الأرض أنه قادر على أن يُحيي الموتى.

وقوله: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: كفراً[1] بالبعث، وعلى هذا تصريفُه أمطارَه في كلِّ البلاد مرةً هاهنا ومرةً هاهنا ليَشترك الكلُّ في التذكُّر به.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما مِن عامٍ بأقلَّ مطراً من عام، ولكن الله تعالى يصرِّفه حيث يشاء، وقرأ هذه الآية[2].

وقيل: ولقد صرَّفنا الذكرَ في القرآن في السور كلِّها بين الناس ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾؛ أي: ليتَّعظوا وينتهوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ بالنعم وكفراً بالمنعم.

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾: أي: ولو شئنا لأرسلنا في كلِّ مصرٍ نبيًّا، ولكن لم نفعل فجعلناك نذيراً للجميع، فاشكر نِعَم الله عليك.

---

(١) في (ف): «كفوراً»، وليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٠٦).

وقوله تعالى: ﴿تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾: أي: بالقرآن؛ أي: حاجَّهم وجادِلْهم به وقرِّعهم بالعجز عنه.

وقيل: جاهدهم بالسيف.

والصحيح الأول؛ لأن السورة مكية، وكان الأمرُ بالقتال بعد ذلك.

وقيل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ تكثيراً للآيات، ولكنَّا أقمنا بك وحدك الدلالات، فلا تُطِعْ مَن كذَّبك، بل جاهدهم بالقرآن فقد لزمتْهم الحجةُ؛ كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقيل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ لتخِفَّ عنك بذلك المؤونة، ولكنَّا حمَّلناك ثقل تبليغ الرسالة[1] إلى كلِّ القرى؛ لتنال بصبرك عليه[2] ما أعدَّ الله لك من الكرامة والمثوبة، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من عبادة آلهتهم، وجاهدهم بالقرآن.

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: بليغاً؛ كما قال تعالى: ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وقيل: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ أي: عظيماً موقعُه عند الله، وعلى حسَبه الثوابُ عليه.

* * *

(٥٣) - ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: وهو بيانُ نعمته وقدرته أيضاً؛ أي: أجراهما[3] وأرسلهما في الأرض ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾؛ أي: أحد البحرين

---

(١) في (أ): «الوحي».

(٢) «عليه» من (أ).

(٣) في (ف) و(أ): «خلاهما».

عذبٌ؛ أي: طيبٌ فرات؛ أي: شديد العذوبة، والآخر ﴿مِلْحٌ﴾: فيه ملوحةٌ ﴿أُجَاجٌ﴾: مرٌّ.

قيل: أراد به الأنهار العظام، يعني: أرسل في الأرض المياه على ضربين: أحدهما عذبٌ والآخر ملح، وكلُّ واحد منهما بحر، فالفرات العذبُ كالنيل والفرات ودجلةَ وسيحان ونحوِها، والملح الأجاج كالبحار المعروفة.

قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: أي: حاجزاً ﴿وَحِجْرًا﴾؛ أي: ستراً مانعاً ﴿مَّحْجُورًا﴾؛ أي: مستوراً ممنوعاً.

وقيل: ﴿مَّحْجُورًا﴾؛ أي: مجعولاً حجراً[1]؛ كما يقال: حدٌّ محدودٌ، وحرامٌ محرَّمٌ، وذلك هو الجزائر والبلاد، فلا يختلط أحدهما بالآخر كذلك فيُفسدَ على الناس مياههم، فإذا قامت الساعة زال الحاجز فاختلطت؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] وهو قول الحسن.

وقيل: بحر الأرض وبحر السماء.

وقيل: بحرٌ[2] تحت الأرض، والبرزخُ الأرض.

وقيل: هو بحرٌ واحد من البحار المعروفة يجتمع فيه الماء العذب والماء الملح في مكان واحد، فلا يختلطان فيَفسُدَ العذبُ بالملح ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: حاجزاً من القدرة، قاله قتادة[3].

وقيل: ﴿بَرْزَخًا﴾ هو مدة الدنيا، فإذا قامت الساعةُ اختلط أحدهما بالآخر، وذلك قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، وسيأتي بيانُ ذلك في سورة الرحمن إن شاء الله تعالى في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩].

---

(١) في (ر): «محدوداً»، وفي (ف): «محمولًا»، بدل: «مجعولًا حجراً».

(٢) في (أ): «بحر السماء».

(٣) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٦).

وقيل: هما بحر الهند وبحر الروم.

وقيل: هو بحر العراق وبحر الشام.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: وهذا أيضاً بيانُ قدرته ونعمته.

﴿مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ قيل: خلق آدم من الطين وأصله الماء ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ آدمَ ﴿وصهرا﴾ حواء.

وقيل: ﴿خَلَقَ مِنَ﴾ النطفة ولدَ آدم ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾؛ أي: قرابةً ﴿وَصِهْرًا﴾؛ أي: مصاهرةً، وهي الوصلة بالنكاح، مَنَّ بالأنساب لأن التقارب والتواصُل يقع[1] بها، ومنَّ بالمصاهرة لأن التوادَّ والتوالُدَ يكون بها.

وقيل: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ لمن وُلد منه ولمن يُولد منه ﴿وَصِهْرًا﴾ لمن يتزوَّج به.

وقال قطرب: الصِّهر أبو زوجِ البنت، وما كان من قِبَل زوجِ البنت فهم أصهارٌ، وما كان من قِبَل المرأة فهم أحماءٌ.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: على كلِّ شيء.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: أي: الله تعالى مالكُ النفع والضر، وهؤلاء المشركون بجهلهم يعبدون مِن دونه جماداً لا ينفعهم إنْ عبدوه ولا يضرُّهم إن تركوا عبادته.

---

(١) «يقع» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾: قال عطية العوفي والشعبي ومجاهد: نزلت في أبي جهل بن هشام لعنه الله[1].

وقيل: هو اسمُ جنس يقع على كلِّ كافرٍ.

﴿ظَهِيرًا﴾ قال قتادة ومجاهد والحسن: أي: مُعيناً للشيطان[2]، والمظاهرة: المعاونة.

ومعنى ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: على معصية ربه ومخالفةِ أمره، يعني: إن الكافر إذا أتى بالكفر والمعاصي كان مُعيناً للشيطان على الإصرار على الكفر والاستكبار.

وقيل: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: على أوليائه؛ قال النبيُّ ﷺ: «يقول الله تعالى: مَن أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة»[3]؛ أي: يُعين الكافرُ الشيطانَ على معاداة أولياء الله.

وقيل: أي: يستظهر الكافر بالأوثان وعبادتها وعبَدتها على مغالبة رسول الله ﷺ والمؤمنين.

وقيل: الظهير: الهيِّنُ الملقَى خلف الظهر؛ أي: وكان الكافر على ربِّه هيِّناً حقيراً.

وقيل: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ معناه: على ما يعتقده ربًّا وهو الصنم، ومعناه: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾؛ أي: قويًّا قادراً، ويتصل بأول الآية: أن الصنم لا ينفع ولا يَضر ولا

---

(١) رواه عنهم ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١١). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه عن الحسن عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٣)، وعن مجاهد والحسن الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٧ _ ٤٧٨).

(٣) قطعة من حديث قدسي رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «مَن عادى لي وليًّا فقد آذَنْتُه بالحرب»، وله ألفاظ مقاربة في غير الصحيح تنظر في «الفتح» (١١/ ٣٤٢).

يقدر على شيء، وعابد الصنم قادرٌ على الصنم يعمل به ما شاء وينقله حيث شاء، وهو بيانُ جهلهم أنهم يعبدون ما هو عاجز وهم قادرون عليه.

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾: أي: للموافق ﴿وَنَذِيرٗا﴾ للمخالفين.

﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾: أي: على التبليغ، وقيل: على التبشير.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾: أي: إلا مَن شاء أن يتخذ إلى ربِّه قربةً بإجابته فلْيَفعلْ والاستثناء منقطِع بمعنى (لكن).

وقيل: هو استثناءٌ حقيقةً: إلا متَّخذَ السبيل إلى ربه بالتوحيد فإنه أجري[1]؛ أي: يَأْجُرني الله تعالى بدعوتي إياه وأجابته إياي، قال تعالى: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ [يس: ١٢].

وقيل: اتخاذُ السبيل إلى الله تعالى هو الإيمانُ به.

وقيل: أي: بمودَّة رسول الله ﷺ لقرابته، كما قال: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقيل: أي: لا أطالبكم بالأجر إلا أنْ يشاء أحدكم أن يتقرب إلى الله تعالى ببذلِ مالٍ أنفقه على الفقير، أو في الجهاد وسبُل الخير، فإن هذا مما أرغِّبكم فيه، أما لا أطالبكم به لأَجْلي[2].

---

(١) في (أ): «أحرى».

(٢) في (ر): «لأجر».

(٥٨) ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾: بالتبليغ، فإنه يعصمك ويحرسك.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾: أي: نزِّه الله تعالى عما يصفُه به هؤلاء واحمده؛ أي: صِفْه بصفاته الحميدة.

وقيل: أي: صلِّ لله تعالى حامداً له فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: أي: عالماً بمعاصي هؤلاء المشركين، فهو يجزيهم عليها.

***

(٥٩) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: قد فسرنا هذه الكلمات مرات، وهذا كلُّه صفة قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: أي: هو الرحمن، أو: ثم استوى الرحمن على العرش، أو: كان ربُّك الرحمن قديراً، أو[1] هو خبر المبتدأ، والمبتدأُ قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾: قيل: فاسأل يا محمدُ الرحمنَ عن ذلك، فإنك تسألُ خبيراً بما خلَق، و﴿خَبِيرًا﴾ مفعولُ (سل)، و﴿بِهِۦ﴾ بمعنى: عنه؛ كما

---

(١) في النسخ الثلاث: «و»، والصواب المثبت. انظر: «روح المعاني» (١٩/ ٨٦).

قال: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾؛ أي: عن عذابٍ، والخبير صفةُ الله تعالى، وهو معنى قول الحسن: إنْ سألتَه فهو خبيرٌ بالعباد.

وقيل: معناه: فاسأل الله؛ أي: عن الله ﴿خَبِيرٗا﴾ أي: عالماً، وهو الله تعالى العالمُ بحوائجك ومصالحك، و﴿بِهِۦ﴾ على هذا له معنيان:

أحدهما: أنه صلةُ ﴿خَبِيرٗا﴾؛ أي: خبيراً به.

والثاني: أن يكون بمعنى: سلِ اللهَ بالله، كما تقول: أعوذ بك منك، و: أهرب منك إليك.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾: أي: صلُّوا لله تعالى واخضعوا لأمره.

﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: أي: لا نعرف الرحمنَ فنسجدَ له ﴿**أنسجدُ لِمَا يأمُرنا**﴾ بياء المغايبة في قراءة حمزة والكسائي؛ أي: يأمرنا به محمد من غير أن نعرفه[1].

وقرأ الباقون بالتاء[2]؛ أي: لما تأمرنا به يا محمد؟ استفهام بمعنى الاستنكار.

وقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾: أي: زادهم هذا الأمرُ شروداً عن الإسلام.

* * *

(٦١) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾: قيل: قصوراً.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي بأمر يأتي به محمد من غير أن يعرف».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

وقيل: هي التي تُبنى حول السور والحصون.

وقيل: هي البروج الاثنا عشرَ المعروفةُ: الحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزاءُ، والسَّرَطان، والأسدُ، والسُّنبلةُ، والميزانُ، والعَقْربُ، والقَوْس، والجَدْيُ، والدَّلْو، والحُوت.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾: أي: في جملتها شمساً، فهي من البروج؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ بالليل.

ومَن قرأ: ﴿سُرُجاً﴾[١] فهي النجوم التي يُهتدَى بها، فهي كالمصابيح.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: قيل: أي: مختلفَين؛ يجيء هذا ويذهب ذلك، ويجيءُ ذاك ويذهب هذا، ولم يجعل منهما واحداً سرمداً نهاراً لا ليلَ له، وليلاً لا نهار له، ليَعلم الناسُ عددَ السنينَ والحسابَ، وليكون للانتشار في المعاش وقتٌ معلوم، وللقرار والاستراحة وقتٌ معلوم، وفيه تنبيه على قدرته ونعمته، وذلك قوله:

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: أي: يتذكر بذلك ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾؛ أي: أراد شكر الله تعالى بما أنعم عليه.

وقيل: أي: جعل الليل والنهار خلفة؛ أي: مختلفين في اللون ليتميَّز أحدهما عن الآخر؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ﴾ الآية [الإسراء: ١٢]، قاله مجاهد[٢].

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٦).

وقيل: ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾؛ أي: يَخلُف كلٌّ واحد منهما صاحبه، فيكون خَلَفاً عنه، ووحِّد لأنه كالمصدر، قال زهير:

بهـا العِينُ والآرامُ يَمشِينَ خِلْفةً وأطلاؤُها يَنهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[1]

كأنه قال: جَعَل كلَّ واحدٍ منهما خلَفاً عن الآخر فيما أَمر به فيهما، حتى إذا فاته ما أُمر به في أحدهما أتى به في الآخر، فيكون إخباراً عن توسعةِ الأمر على عباده في نوافل الطاعات؛ يأتي بما فاته في الليل القصير في النهار الطويل الذي بعده، وكذا الآخر، قاله الحسن[2].

وقيل: إنهما خلفةٌ في النقصان والزيادة يتعاقبان حثيثين إلى أجلٍ مسمى، وهو كقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١].

* * *

(٦٣) - ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: ثم وصف أولياءه بعدما ذكر في كلِّ السورة أعداءه، فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ أي: وعباد الله الذين رضي الله بهم عباداً، وخصَّهم بإضافتهم إليه بالعبودية تشريفاً لهم ورفعاً[3] لأقدارهم؛ كما يقال: بيت الله، وناقة الله، وشهر الله.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾: إذا خرجوا يمشون بين[4] الناس

---

(١) «ديوان زهير» بشرح ثعلب (ص: ٥). قال ثعلب: العين: البقر، والطلا: ولد البقرة، وولد الظبية الصغير.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٦).

(٣) «لهم ورفعاً» ليس في (أ).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «يدي».

بما لا بد لهم من معاشٍ وقضاءِ حقٍّ وحضورِ جماعة يمشون في لِينٍ ووقارٍ وسكونٍ وتواضعٍ، لا بمرحٍ(١)، ولا تحريكِ أعطافٍ ودقِّ أقدام على الأرض، فهذا مشيٌ ممدوح، وقد ذكر المشي المذموم في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٨ - ١٩] وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾: الجاهلون: الكفار والعصاة، و﴿سَلَامًا﴾؛ أي: سَداداً من القول؛ أي: إذا خُوطبوا بما يكرهونه لم يجيبوهم بمسافهةٍ ومشاتمةٍ، بل صانوا أنفسَهم عن ذلك وأجابوهم(٢) بالذي يسلَمون به من أذاهم ومن معصية الله تعالى.

* * *

(٦٤ - ٦٥) - ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾: أي: يُمضون لياليهم متهجِّدين لله تعالى قياماً على أرجلهم في موضعِ القيام، وسجَّداً في موضع السجود، ومع ذلك يخافون الله تعالى، وذلك قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: قيل: هلاكاً، وقيل: دائماً لازماً، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: شديداً(٣).

---

(١) في (ر): «تبرج»، وفي (ف): «تمريح».

(٢) في (ر): «بل خاطبوهم» بدل: «وأجابوهم»، وليست في (ف).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٥٥) عن ابن شجرة.

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: أي: إنَّ جهنم بئسَ موضعُ قرارٍ وموضعَ إقامةٍ، والاستقرار أقل من الإقامة، وجهنم مستقرٌّ للعصاة ومقامٌ للكفار.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: والإسراف: مجاوزة الحدِّ في الإنفاق لغةً[1]، والإقتار: التقصير عن العدل فيه، وقد قَتَر من حدِّ دَخَل وضَرَب، وأَقْتَرَ من باب أدخَلَ، وهذا من صفات عباد الرحمن أيضاً.

قال إبراهيم: السَّرَف: مجاوزةُ الحد في النفقة، والإقتار: التقصيرُ عما لا بد منه[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الإسراف: الإنفاق في معصية الله تعالى قلَّ أو كثُر، والإقتار: منعُ حقِّ الله تعالى من المال[3].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: أي: بين ذَينك[4] ﴿قَوَامًا﴾؛ أي: عدلاً، والقَوَام بالفتح: العدل، والقِوَام بالكسر: العماد يقال: هذا قِوَامُ الأمر ونظامُه ومِلاكُه، وهذا في المطعم والمشرب والملبس وكلِّ شيء.

وقيل: أي: لم يتكلَّفوا فوق الطاقة، ولم يقصِّروا عن الحاجة.

وقيل: إذا تكلَّموا لم يأتوا بالفضول ولم يسكتوا عن الحق، وإذا عملوا لم يأتوا بالمعصية ولم يتركوا الطاعة.

---

(١) «لغة» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨).

(٤) «أي: بين ذينك» ليس في (ف).

(٦٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: أي: لا يُشركون ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: وهي النفس المسلمة والذِّمِّية ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بِقصاصٍ أو رجمٍ أو قتلٍ على رِدَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال رجل: يا رسول الله! أيُّ الذنب أكبر؟ قال: «أنْ تَجعل لله نِدًّا وهو خلَقك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشيةَ أنْ يأكل معك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تُزانيَ حليلةَ جارك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ الآية[1].

وقال القشيري رحمه الله: من النفوس المحرَّمة نفسك المسكينة، وقتلُها بغير حقٍّ تمكينُك إياها من اتِّباع ما فيه هلاكُها، و:

إنَّ السفيه إذا لم يُنْهَ مأمور[2]

ثم قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ دليلٌ على جواز قتلها بحقٍّ، وذلك بذبحِها بسكين المخالفات، وما فلاحُك إلا بقتل عدوِّك، وأعدى عدوِّك نفسُك التي بين جنبيك[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) عجز بيت عزاه الثعالبي في «المنتحل» (ص: ١٠٤) للأحوص، وابن حمدون في «التذكرة الحمدونية» (٥/ ١٩٢) لجرير وليس في ديوانه، وعزاه المستعصمي في «الدر الفريد» (٥/ ٢٣٠) لعمارة بن عقيل، ودون نسبة في «البيان والتبيين» للجاحظ (١/ ٢٢٦) و(٣/ ٢٠٨)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٢١)، وصدره:

بني هلالٍ ألا فانهوا سفيهكم

وعند بعضهم: (بني عدي ألا يا انهوا...)، وفي رواية: (بني تَمِيم ألا فانهوا...). ووقع في «اللطائف»: (إن العبد إذا...)، وهو مخالف لما في المصادر كلها.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥٠ ـ ٦٥١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي: هذه الأشياء الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي: بجزاء إثمه، وقيل: الأثام: العقاب[1]، قال الشاعر:

جـزى الله بـنَ عـروة حيـث أمسى عَـقـوقـاً والـعُـقـوقُ لـه أثـامُ[2]

أي: عقاباً[3].

وقال قتادة: الأثام: النَّكال[4].

وقال مجاهد: وادٍ في جهنم[5] من قيحٍ ودمٍ فيه حياتٌ وعقاربُ كالبغال.

(٦٩) ـ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾: قرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر برفع الفاء من ﴿يضاعفُ﴾ ورفع الدال من ﴿يَخلدُ﴾ على الاستئناف، وقرأ ابن عامر: ﴿يُضعَّفُ﴾ بالتشديد مرفوعاً، وقرأ الباقون بجزمهما على جزاء الشرط، إلا أنَّ ابنَ كثير يقرأ: ﴿يُضعَّفْ﴾ بالتشديد[6].

ومعنى[7] ﴿يُضَاعَفْ﴾؛ أي: يُعذَّب على مرور الأيام في الآخرة عذاباً على عذابٍ.

وقال ابن جرير: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ لاجتماع هذه المعاصي الثلاثة،

---

(١) في (أ): «وقيل أي عقاب الأثام العقوبة» بدل: «الأثام العقاب».

(٢) البيت لبلعاء بن قيس الكناني، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٨١)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٠٥)، وعزاه الفارسي في «الحجة للقراء السبعة» (٥/ ٣٥١) لمسافع العبسي نقلاً عن أبي عبيدة!

(٣) «أي: عقاباً» ليس في (أ).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥١٣).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤). وقراءة ابن عامر مثل أبي بكر برفع الدال من (يخلد).

(٧) في (أ): «ومتى».

فيكون لكل معصيةٍ قسطٌ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾؛ أي: يبقى في العذاب ﴿مُهَانًا ﴾؛ أي: مذلَّلا مستخفًّا[١] به؛ كما قال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

***

(٧٠) ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾: أي: رجع عن ذلك ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾؛ أي: أتى بالطاعات.

وقيل: لما نزل هذا قال أصحاب رسول الله ﷺ: ما منا إلا وقد فعل هذا في الجاهلية، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾[٢].

وقيل: نزلت في قوم من المشركين عملوا هذه الأشياء ثم جبُنوا عن الدخول في الإسلام خوفاً ألا يُقبل منهم[٣].

وقيل ـ وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ : نزلت في وحشيِّ بن حرب غلامِ مُطْعِم بن عدي بن عبد مناف ـ وقيل: غلامِ جُبير بن مُطْعِمٍ ـ وذلك أنه كتب إلى النبي ﷺ: إنك تدعونا إلى دينك وتقول: ومَن يَدْعُ مع الله إلهاً آخرَ، ويقتل النفس التي حرَّم الله، ويزنِ، فهو من أهل النار، وإني قد فعَلْتُ هذا كلَّه، فهل من توبةٍ؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾

---

(١) في (ر) و(ف): «مذللًا مستحقاً».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٢) عن أبي مالك مرسلًا.

(٣) رواه مسلم (١٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ ناسًا من أهلِ الشِّرك قَتلوا فأكثَروا، وزنَوا فأكثَروا، ثُم أتَوا محمدًا ﷺ، فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدْعو لحسَنٌ، ولو تُخبرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارة، فنزَل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾، ونزَل ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

[النساء: ٤٨]، فقال: إن الله تعالى شرَطَ المشيئة، ولا أدري أيشاء الله تعالى بمغفرتي أم لا يشاء، فنزلت هذه الآية: ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ فقال: لعلي لا أصل إلى العمل الصالح، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فقال: لا أرى[١] في هذا شرطاً، فجاء[٢] فأسلم[٣].

وقال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾: قال الحسن: أي: في الدنيا يبدِّل الله العمل السيِّئ بالعمل الصالح: الشركَ إخلاصاً، والكفر إيماناً، والزنا عفافاً وإحصاناً[٤].

وقال قتادة: هو طاعةُ الله تعالى بعد عصيانه، وذكرُ الله بعد نسيانه، والخيرُ يعمله بعد الشر[٥].

وقال علي بن الحسين وإبراهيم وأبو يعلى[٦]: هو في الآخرة يجعل سيئاته حسنات[٧].

قال سلمان: يُعطَى رجل يوم القيامة صحيفةً فيقرأ أعلاها فإذا سيئاته أكثرُ، فإذا كاد يسوءُ ظنُّه ينظر في أسفلها فإذا حسناته، ثم نظر في أعلاها فإذا هي بدِّلت حسنات[٨].

---

(١) في (أ): «أدري».

(٢) في (ر): «يخاف».

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٤٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): فيه أبين بن سليمان وهو ضعيف.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٤).

(٥) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٦) في (أ): «وابن لعلي»، ولم أقف على قوله أو تعيينه.

(٧) رواه عن علي بن الحسين ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٥).

(٨) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٤).

وروي مثلُه عن ابن مسعود.

وعن أبي عثمان النهديِّ رضي الله عنه: أن المؤمن يعطَى كتابه في سترٍ من الله تعالى فيقرأ سيئاته، فإذا قرأها تغيَّر لونه، حتى يمرَّ بحسناته فيقرؤها يرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاتُه قد بدِّلت حسناتٍ، فعند ذلك يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩][1].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: لمن تاب وإليه أناب.

❋ ❋ ❋

(٧١) ـ ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: الأول ـ وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ ـ في حق المشرك، وهذا في حق المؤمن المذنب، يقول: ومَن تاب من ذنوبه وأتبعه عملاً صالحاً فإنه أيضاً قد تاب إلى الله، فله ما للأول من المغفرة والرحمة وتبديل السيئات حسنات.

وقيل بخلاف ذلك؛ قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية، قال: هذه صفة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال المشركون: والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا بالأمس في هذا، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ ثم قال لهؤلاء المشركين: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾؛ أي: منكم ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فإن له مثل ما لهؤلاء ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ لم تحظر التوبة عنكم[2].

وقيل: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: يرجع إلى الله يوم القيامة وإلى ثوابه.

❋ ❋ ❋

(٧٢) ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٤١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: قال قتادة: أي: الكذبَ[١].

وقال الضحاك: الشرك[٢].

وقال أيضاً: أعيادَ المشركين[٣].

وقال محمد بن الحنفية: الغناءَ واللهو[٤]، و(يشهد) بمعنى: يَحضر، ولذلك لم يقل: لا يشهدون بالزور؛ لأنه أداءُ[٥] الشهادة، ومَن حضر الزور شهد به أيضاً وثبت مقتضاه.

والزور: تمويهُ الباطل بما يوهِم أنه حقٌّ، والتزوير فعلُ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾: اللغو: الفعل الذي لا فائدة فيه؛ أي: إذا مروا بقوم يفعلون أو يقولون ما لا يفيد مرُّوا مرَّ الكرام الذين لا يرضَون به، ويكرمون أنفسهم أن يدخلوا فيه أو يختلطوا بأهله.

وقال قتادة: أي: [لا] يساعدون أهلَ الباطل على باطلهم[٦].

وقال مجاهد: إذا مرُّوا بمن يؤذيهم صفحوا عنه[٧].

وقال ابن جرير[٨]: أي: إذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كراماً[٩].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٧).

(٤) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٥) في (ر) و(ف): «لأنه ليس لأداء».

(٦) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٦).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٤).

(٨) تحرف في (ر) و(ف) إلى: «جريج».

(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٢٦).

والكرم في بعض ذلك ألا يسمعوه كالغناء.

وفي بعضه ألا يجيبوا وهو إذا سمعوا قبيحاً.

وفي بعضه أن ينهوا عنه بأن يروا منكراً.

وفي بعضه أن يضاربوا بالسيوف كقطع الطريق ونحوه.

ويقال: مات فلان كريماً؛ أي: مدافعاً عن نفسه وأهله وقومه، فلم يكن الكرم على وجه واحد.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: قال الفراء: أي: والذين إذا قرئ عليهم القرآن لم يقعدوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يستمعوا ولم يروا قارئه، فذلك الخرور[1].

وقيل: ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾؛ أي: لم يلبثوا ولم يبقوا.

وقيل: لم يقعوا.

وقال القُتبي: أي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صمٌّ وعميٌ[2].

وقال الزجَّاج: خرُّوا سجَّداً وبكيًّا، ولم يخروا عليها[3] صمًّا وعمياناً[4].

وقيل: لم يكونوا كالذي ولَّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها، بل كانوا من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، والذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٤).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣١٥).

(٣) «عليها» من (أ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٧).

(٧٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾: أي: نسائنا ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾[1]: قرأ حمزة والكسائي على الواحد: ﴿وذرِّيتنا﴾؛ أي: ولدنا، وقرأ الباقون: ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ على الجمع[2]؛ أي: أولادنا.

وقوله تعالى: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: وحَّد القرة لأنها مصدر، وهي بردُ دمعتها، وذاك من السرور.

وهذا الدعاء معناه: أن تريناهم مؤمنين مطيعين فبه يتم السرور والراحة، وهذا إن كان من الذين لم يُسلم أزواجُهم ولا أولادهم سؤالُ الإيمان، وممن أسلم أهاليهم وأولادهم سؤالُ الإبقاء على الإيمان.

قال جُبير بن نُفيرٍ: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمرَّ به رجل فقال: طُوبى لهاتين العينين اللَّتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لودِدْنا أنَّا رأينا ما رأيتَ وشهِدْنا ما شهدتَ، قال: فاستُغْضِب، فجعلتُ أعجبُ وما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجلَ على أن يتمنَّى محضراً غيَّبه الله عنه لا يدري لو شهِدَه كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسولَ الله ﷺ أقوامٌ كبَّهم الله على مناخرهم في النار لم يجيبوه ولم يصدقوه، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربَّكم، مصدِّقين بما جاء به نبيُّكم، قد كُفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بعث النبيُّ ﷺ على أشد حالٍ بعث عليها

(١) في (ف) و(أ): «وذريتنا».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤). وقراءة أبي عمرو وأبي بكر بالإفراد كحمزة والكسائي.

نبيٌّ من الأنبياء في فترةٍ وجاهلية، ما يرون ديناً أفضلَ من عبادة الأوثان، فجاء بفرقانٍ فرَق بين الحق والباطل، ففرَّق بين الوالد وولده حتى إنْ كان الرجل ليَرى والدَه أو ولدَه أو أخاه كافراً وقد فتح الله قلبَه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل(١) النار، فلا تقرُّ عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنها التي قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: هو سؤالُ الرياسة في الدِّين على وَفق السؤال الأول، والإمام واحدٌ لكنه جنسٌ يصلح للجمع، وهذه درجةٌ عَلِيَّة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال مجاهد: اجعلنا ممن يأتَمُّ بمن قبلنا حتى يأتمَّ بنا مَن بَعْدنا(٣).

وقال أبو رَوق: واجعلنا للمتقين إماماً في الجنة.

وقيل: اجعلنا أئمةً للمتقين يومَ الدِّين نتقدَّمُهم(٤) في المضي إلى الجنة.

* * *

---

(١) في (أ): «يعلم أن هلك ودخل»، وفي (ف) و(ر): «يعلم أن أهله قد هلك ودخل». والمثبت من المصادر.

(٢) خبر صحيح، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٢).

(٤) في (ر) و(ف): «لتقدمهم».

(٧٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾: أي: هؤلاء يُجزون بأقوالهم وأفعالهم الغرفَ في الجنة بما صبروا على هذه الأخلاق، والغرفةُ جنسٌ يصلح للجمع، وقد قال تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال تعالى: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال القشيري رحمه الله: استكثَرَ القليل من عباده فعدَّد أفعالهم في آيات، واستقلَّ الكثير من نفسه فعدَّ الجنة بما فيها على كثرتها غرفةً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾: قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وتخفيف القاف، وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر؛ أي: يَرَوْن فيها ويَجِدُون فيها، وقرأ الباقون: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾ بضم الياء وتشديد القاف[٢]؛ أي: تلقِّيهم الملائكة ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

وقيل: يلقِّي بعضُهم بعضاً؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ [الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦].

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥٢) ولفظه: يعطي سبحانه الكثير من عطائه ويَعُدُّه قليلًا، ويقبل اليسير من طاعة العبد ويَعُدُّه كثيراً عظيماً، يعطيهم الجنة قصوراً وحوراً ثم يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾، ويقبل اليسير من العبد فيقول: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات: ٢٦].

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٥).

وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي: في الغرفة ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ أي ما أحسنَها موضعَ قرارٍ وإقامة! كما قال في صفة أهل النار: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾: قال مجاهد وابن زيد: ما يصنع بكم[(١)]، ختَم السورة بأن عرَّف المشركين حكمةَ خَلْقهم.

وقيل ما يريد بكم.

وقيل ما يبالي بكم.

وقيل: أيُّ حظٍّ[(٢)] لكم.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾: أي: دعاؤه إياكم[(٣)]؛ أي: إلى التوحيد والطاعة، وقد دعاكم إليه على لسانِ محمد ﷺ.

وقيل: لولا عبادتُكم إياه؛ أي: لو لم يكن هذا مما يلزمُكم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: رسولي الذي دعاكم فسوف يكون تكذيبكم عذاباً لازماً لكم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: قيل: كان ذلك يومَ بدر[(٤)].

وقيل: هو عذاب الآخرة.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٦)، وعن مجاهد ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٥).

(٢) في (ر) و(ف): «وقيل خطر».

(٣) في (ر) و(ف): «إليكم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) عن ابن مسعود وأبي بن كعب وإبراهيم النخعي ومجاهد والضحاك.

وقال الضحاك: ﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه إلهاً آخر ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[1].

والحمد لله رب العالمين

والصلاة على خير البرية وآله وصحبه[2] أجمعين، نسألك اللهم الإيمان تماماً، وإعطاءَك الجنة إنعاماً وإكراماً، وتفضلاً وجوداً وإحساناً وائتناما[3]، نأملُ[4] من الخير بلا نقصان، فلك الجود والفضل والامتنان، نجِّني وولدي من الخزي والهوان، وعن السلاسل والأغلال والنيران، وأنزلنا في جوارك في غُرفات الجنان، مع الأولاد والأخلَّاء والإخوان[5].

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٤) وزاد: بيانه قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

(٢) «وآله وصحبه» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «واتناماً».

(٤) في (ر): «نؤمك».

(٥) من قوله: «والصلاة على خير البرية» إلى هنا ليس في (أ).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أنزل آيات الكتاب المبين، الرحمنِ الذي نصَر المرسلين وأهلك المكذِّبين، الرحيمِ الذي أمر نبيَّه بخفضِ جناحه لمن اتَّبعه من المؤمنين.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة طسم الشعراء كان له عشرُ حسنات بعددِ مَن صدَّق بموسى وكذَّب به، وإبراهيم ونوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيب، وبعددِ مَن صدَّق بمحمد وكذَّب به»(١).

وهذه السورة مكيةٌ إلا أربعَ آيات نزلت بالمدينة: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخر السورة، نزلت في حسان وكعب وابنِ رواحة(٢).

وهي مئتا آيةٍ وستٌّ وعشرون، وقيل: سبعٌ وعشرون(٣)، الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠](٤).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٥)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩٠)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) هذا قول ابن عباس وعطاء. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٩٦).

(٣) «وقيل: سبع وعشرون» ليس في (أ). وفي المصدر السابق: «وهي مئتان وست وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري وسبع وعشرونَ في المدني الأول والكوفي والشامي».

(٤) وفي المصدر السابق: (اختلافها أربع آيات: ﴿طسٓمٓ﴾ عدها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون...) إلى آخر ما قال.

وكلماتُها ألف وثلاثُ مئة وتسعةَ عشرَ، وحروفُها خمسة آلاف وخمس مئة وسبعة وعشرون[١].

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة:

أنه قال: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ وكان الدعاء بآيات الكتاب المبين، وعلى لسان المصطفى الأمين، فلم يستجيبوا فشقَّ عليه، فقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، وقال هاهنا: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾.

وقال ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ وقال هاهنا: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وانتظام السورتين: أن تلك السورة في بيان إنزال آيات الكتاب، وإرسالِ الرسول، والدعاءِ إلى التوحيد، ووعدِ الموحدين ووعيدِ الجاحدين، وكذلك هذه السورةُ، وفيها بسطُ القول بإرسال الرسول، وتكذيبِ الأمم، وعاقبةِ الفريقين.

***

(١) ـ ﴿طسٓمٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قسمٌ أقسم الله تعالى به[٢].

وقال قتادة: هي فاتحة السورة[٣].

---

(١) وفي المصدر السابق: (كلمها ألف ومئتان وسبع وتسعون، وحروفها خمسة آلاف وخمس مئة واثنان وأربعون).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧).

(٣) لم أجد هذا القول عن قتادة، والذي روي عنه في هذا هو قوله: (اسمٌ مِن أسماءِ القرآن)، رواه يحيى بن =

وقال مجاهد: هي اسم هذه السورة[١].

وقال الحسن: هي أسماءُ الله مقطَّعة الحروف[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله تعالى بطَوله وسنائه وملكه[٣] أنه لا يعذب أحداً من هذه الأمة عاد إليه بلا إلهَ إلا الله مخلصاً من قلبه.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال: عجزت العلماء عن علم تفسيرها[٤].

وقيل: طا: شجرة طوبى، سين: سدرةُ المنتهى، ميم: محمد المصطفى، أقسم الله بها.

= سلام في «تفسيره» (٢/ ٤٩٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٠٦)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤٢)، ومن طريق آخر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧) وزاد: أقسم به ربك، وكذا ذكره بهذه الزيادة يحيى بن آدم في رواية أخرى عن قتادة، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦) وزاد نسبته لأبي روق. وأما ما ذكره المؤلف فقد روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧) عن الحسن قال: فواتحُ افتتَح اللهُ بها كتابَه، أو: القرآن. ونحو ذلك ذكر عنه يحيى بن سلام أنه قال: لا أدري ما تفسيرُها غيرَ أنَّ قومًا من السَّلفِ كانوا يقولون فيها وأشباهِها: أسماءُ السُّور ومَفاتِحُها. وكذا روى الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٥) عن مجاهد في أمثالها أنها فواتح افتتح الله بها.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٤) دون عزو، وقد ذكرنا قريباً ما روي فيها عن الحسن.

(٣) إلى هنا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٠٢). وروى عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧) قوله: الطَّاءُ من الطَّولِ، والسِّينُ مِن القُدُّوسِ، والميمُ من الرَّحمن.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٠٢).

وقيل طا: طوبى للمؤمنين، سين: سلام على المؤمنين، ميم: مملكة المؤمنين.

وقيل طا: طهارة أبدان الصالحين، سين: سلامة قلوب الزاهدين، ميم: مشاهدة أرواح العارفين.

وقيل: طا: طرب المشتاقين، سين: سرور[1] العارفين، ميم: مناجاة المحبين.

وقيل: طا: طُول قيام المصطفى في خدمة ربِّ العالمين، سين: سؤالُ عفو الأمة من ربِّ العالمين، ميم: مقامه المحمود في شفاعة الخلق من رب العالمين[2].

* * *

(٢) ـ ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾: أي: هذه آيات.

وقيل: ﴿ تِلْكَ ﴾ الآيات التي تقدَّم نزولُها ﴿ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾؛ أي: القرآن ﴿ ٱلْمُبِينِ ﴾: المظْهِرِ دلائلَ وحدانيتنا، وصدقَ رسالتك، وما بالناس إليه حاجة.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾: أي: قاتلٌ نفسَك، وهو مثَلٌ لحرصه على إيمانهم.

وقيل: لتأسُّفه على كفرهم؛ قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

---

(١) في (أ): «سهر».

(٢) بعدها في (ر): «ميم مقامه المحمود الذي وعده أيضاً».

وقيل: شفقةً عليهم.

وقيل غضباً لله، وهو كقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾: أي: صارت رقابهم لنا خاضعةً منقادةً، وجمع بالياء والنون؛ لأنه وصفها بالخضوع وهو صفةُ مَن يعقل.

وقيل: الأعناق: الكُبَراء والسادة، يقال: هؤلاء وجوه القوم وأعناقُ القوم، يعني: إذا أسلم القادة أسلم الأتباعُ تَبَعاً لهم.

وقيل: الأعناق: الطوائف، وفي الخبر: «يخرج عنقٌ من النار»[1]؛ أي: قطعةٌ وطائفة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ومعناه: إن يشأ إيمانهم ينزل[2] عليهم من السماء آية فيؤمنوا[3]، والمعتزلة حملوا ذلك على مشيئة القهر وآيةِ الاضطرار[4]، وهو باطل لأن الآية لا تَضطرُّ إلى الإيمان بدون الاختيار؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]، ولأنهم يقولون يوم القيامة: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ولا آية فوق رؤية أحوال يوم القيامة[5].

* * *

---

(١) قطعة من حديث رواه الترمذي (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال: حسن غريب صحيح.

(٢) في (أ): «نشأ إيمانهم ننزل».

(٣) في (أ): «يؤمنوا» وفي (ر) و(ف): «فآمنوا به»، والمثبت من «التأويلات».

(٤) في (ف): «وأنه للاضطرار».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤٩).

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾: من وعظٍ في القرآن ﴿مُحْدَثٍ﴾ في النزول والوصول.

وقيل: ﴿مِّن ذِكْرٍ﴾: من شرف يحصل لهم؛ لأنهم إذا قبِلوه وعملوا به صار به لهم ذكرٌ في الناس.

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾: مولِّين على عادتهم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾: أي: أقاموا على التكذيب ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: أخبارُ ما استهزَؤوا به وهو القرآن، وإتيانُ الخبر عبارةٌ عن حلول العقوبة، يقول: تفعل كذا وسيبلغك الخبر عن فعلك.

وقيل: فسيأتيهم وهم في النار أخبارُ الذين آمنوا بما كانوا هم به يستهزؤون؛ أي: خبرُ كرامتهم في الجنة.

وقيل: إتيان الخبر: وصول الوعيد عند الموت، أو عند البعث، أو قبل الوصول إلى العذاب.

وقيل: هو الإخبار بظهور هذا الدِّين وانتشارِ أحكام هذا القرآن الذي كانوا به يستهزؤون.

وقيل: سيأتيهم يومَ بدر.

قال مقاتل: نزل قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ في أبي جهل بن هشام وأميةَ بن خلفٍ وأبيِّ بن خلف[1]، آذَوْا رسولَ الله ﷺ فضاق بأذاهم

---

(١) «وأبي بن خلف» ليس في (ف).

صدره، فنزلت عدة آيات: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: ٦] ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ [الحجر: ٩٧][1].

* * *

(٧ - ٨) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: أي: صنفٍ حسنٍ ولونٍ حسنٍ[2] نفيسٍ مما يأكله الناس والأنعام، أفلا يعلم هؤلاء المكذبون بهذا الذكر أن ذلك لم يُخلق عبثاً وإنما خُلق لصلاح معاشهم قِواماً لهم مدةَ مقامهم في دار الامتحان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أي: إن في إنبات كلِّ زوجٍ كريم لعلامةً لوجوب شكره عليكم وإقراركم له بالوحدانية وإخلاصِ العبادة.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: وقد سبق في علمي وإرادتي أنَّ أكثر هؤلاء المشركين لا يؤمنون.

* * *

(٩ - ١١) - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغالَب، فليس بعَجْزِه وضَعْفِه طالت مدةُ هؤلاء في الشرك والعُتُوِّ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٥٨).

(٢) «حسن» ليست في (أ).

قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: فلا يعجِّل بعقوبتهم إذ لا يَخاف الفَوْت، ويَقبل توبةَ مَن تاب منهم قبل الموت، ومن رحمته أيضاً إرسالُ الرسل وإنزالُ الكتب لإرشادهم، وتنبيههم[1] على صلاحهم وفسادهم.

وقيل: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنتقِمُ من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: المنعِم على أوليائه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾: أي: واذكُر يا محمد لقومك إذ دعا ربُّك موسى، يعرِّفه بقصة موسى وما بعدها من قصص سائر الأنبياء، وأن الله واصَلَ الحجج لعباده ودعاهم إلى توحيده وطاعته، والأنبياءُ صبروا على أذى الأمم، فكان النصرُ والفرج للموافِقين والهلاكُ والعقوبة على المخالفين، فكذلك أنت وقومك.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: قال له ذلك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ وترجمةٌ عن الأول، ذكَر في بعض الآيات الإرسال إلى فرعون لعنه الله، وفي بعضها إلى فرعون وملئه، وبيَّن هاهنا أنه كان مبعوثاً إلى كلِّ قومه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التوبيخ، وهي كلمة استبطاءٍ[2] وحثٍّ.

***

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: أي: لا يصدِّقوني فيردُّوا أمرك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾: أي: بتكذيبهم ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بضيق صدري.

---

(١) في (ر) و(ف): «وتثبيتهم».

(٢) في (ر): «استيصاء» وليست من (ف).

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: أي: اجعله رسولاً معي، وعوناً لي، وشرحاً لصدري، وإطلاقاً للساني، وتقويةً لي على القيام بأمرك على الوجه.

وقيل: يضيق صدري غضباً لك، وإذا اشتدَّ الغضب ضاق الصدر ولم ينطلق اللسان.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: أي: دعوَى ذنبٍ بقتلِ القِبْطيِّ بالوكزة دفعاً عن السِّبطي.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: بذلك فاكْفِني فلا كافي إلا أنت.

***

(١٥) ـ ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾.

﴿قَالَ كَلَّا﴾: أي: قال الله تعالى: لا يقدرون على قتلك.

وقوله تعالى: ﴿فَاذْهَبَا﴾: أي: اذهب أنت وأخوك فقد أجبتُك إلى ما سألتَ مِن ضمِّه إليك.

وقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: أي: ببراهيننا، وهي اليد والعصا وغيرُ ذلك و﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؛ أي: مع آياتنا، كقولك: دخل بسيفه؛ أي: مع سيفه.

وقيل: أي: فاذهبا وأنا أُمِدُّكما بآياتي؛ أي: حُججي عند المحاجَّة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾: أي: أنا معك ومع هارون ومع فرعون وملئه سامعٌ لِمَا يجري عليكم و(1)بينكم، لا يخفى عليَّ شيءٌ من ذلك، والاستماعُ

---

(١) «عليكم و» ليست في (أ).

في غير هذا الموضع[١]: الإصغاء للسماع، ولا يجوز حملُه هاهنا على ذلك فحُمل على السماع، والافتعالُ بمعنى الفعلِ كثيرٌ؛ يقال: كتب واكتَتب، وسلب واستَلب، وخطف واختَطف، ونهب وانتَهب.

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إنما وحَّد لأنه في معنى الرسالة، وهي مصدرٌ فلا تثنَّى، قال الشاعر:

لقد كذَب الواشون ما بُحتُ عندهمُ ... بسرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ[٢]

أي: برسالة.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: بأنْ أطلق بني إسرائيل عن الاستعباد، وخلِّهم يذهبوا حيث شاؤوا، وهو كإرسال الصيد وأهلِ القيد[٣].

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾: أضمر هاهنا: فأَتَياه فقالا له ذلك، فقال:

---

(١) في (ر): «الوضع» وليست في (أ).

(٢) البيت لكثيِّر. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧٨)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٥٤)، ورواية الديوان: (بليلى) بدل «بسر»، و(برسيل) بدل «برسول».

(٣) في (ر): «وحل القيد» وليست من (ف).

﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ﴾؛ أي: أليس قد أخذناك من اليمِّ فاسترضعنا لك وغذوناك ﴿فِينَا﴾؛ أي: بيننا و[1]في منازلنا ﴿وَلِيدٗا﴾: طفلاً مولوداً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ﴾: كناية عن قتلِ القِبْطي.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: من أهل كفران نعمتي؛ إذ قتلت رجلاً من شيعتي.

وقيل: أي: وأنت الآن تكفر نعمتي، وتدعوني إلى طاعتك، وتدَّعي أن لك إلهاً غيري، وتأمرني أن أُفسد عليَّ مملكتي بإرسال بني إسرائيل معك.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: أي: ضربتُه وأنا من الجاهلين بما يَؤُول إليه الضرب، لم [2] أعلم أنه يصير قتلاً[3]، والضالُّ عن الشيء هو الذاهب عن معرفته.

وقال نفطويه: أردتُ أمراً فضلَلْتُ عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾: أن تقتلوني، وذلك حين[4] قال له

---

(١) «أي: بينا و» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «لا».

(٣) في (ر): «قتيلًا».

(٤) في (ف): «لما».

مؤمن من[1] آل فرعون: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ الآية [القصص: ٢٠]، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾: أي: نبوَّةً؛ لأن صاحبها يَحكم على الناس بشرائع الدِّين فيَلزمُهم طاعتُه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أرسلني إليك وإلى قومك.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: قال الفراء: هذا إقرارٌ من موسى لفرعون بمنَّته بما ربَّاه.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: استعبَدْتهم ولم تستعبِدْني، بل ربَّيتني في دارك وأدخلتَني في جملةِ أهلك، قال: ومثاله: أن يضرب الرجلُ أحدَ عبديه ويتركَ الآخرَ، فيقولَ المتروكُ: هي نعمةٌ عليَّ أن ضربتَ فلاناً وتركتَني، ثم تُحذف: وتركتني؛ لأن المعنى قائمٌ معروف[2].

ثم تقريب هذا الكلام: أن المنَّة تقتضي شكراً ومقابلةً بالجميل، فإذا نبَّهتُك على رشدك، وخلَّصتُك من عذاب ربك، ودعوتُك إلى صلاح دينك ودنياك، فقد شكرتُك وقابلتُ نعمتك بما لا شيءَ أجملُ منه.

وقيل: هذا من موسى إبطالُ أن يكون ما امتَنَّ به عليه نعمةً، وفي أوله مضمر

---

(١) «من» من (أ).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٩).

وهو استفهام، وتقديره: أوتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن اتَّخذتَ[١] بني إسرائيل عبيداً وهم أهلي ورَهْطي، ولو لم تفعل ذلك ولم تعبِّدهم لكفلني أهلي ولم يُلقوني في اليمِّ؟ فليس هذا موضعَ امتنانٍ منك، ولا موضعَ اعتقادٍ مني لك به[٢] منه.

وقيل: معناه: إنك أحبطت ما كان لك[٣] عليَّ من المنَّة حيث عبَّدْتَ قومي ورَهْطي، وهو كمَن يمنُّ على الرجل بشيءٍ يسيرٍ بعد أن أساء إليه في أشياءَ كثيرة، فيقول: كيف تمنُّ عليَّ بأنْ وهبتَني درهماً وقد أخذتَ مني ألوفاً؟!

وقيل: معناه: إنك تمنُّ عليَّ بأنِ استَعْبدْتَ بني إسرائيل حتى ربَّوني[٤] وهم قومي والحِراصُ على تربيتي، وذلك أن أمه هي التي أرضعَتْه والذين ربَّوه من ذويها[٥] فهم مِن نساء بني إسرائيل دون نساء القبط، فقال له: أيُّ مِنَّةٍ لك عليَّ في التربية وإنما تولَّى ذلك مني مَن لو لم يكن أنت لكان هو يربِّيني.

ثم إن فرعون سار مع موسى إلى المساءلة في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] فقال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: أراد به: أيُّ شيء هو؟ ومن أيِّ الأجناس هو؟ كأنه ظن أن الذي يذكُره موسى من أحد أجناس الأجسام، فأعرض موسى عن الجواب من هذا الوجه وسار إلى الدلالة على الله تعالى بأفعاله التي تشهدُ لذوي العقول على الصانع العالم القادر:

* * *

(١) في (أ): «عبدت».

(٢) في (أ): «مني له».

(٣) «لك» من (ف).

(٤) في (ف): «رموني».

(٥) في (ر) و(ف): «دونها».

(٢٤) ـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: أي: مدبِّر ذلك ومصرِّفه، فإليه أدعو لا إلى مَن له مائية[1].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: أي: إن كان قصدكم أن تعرفوا ربَّ السماوات حتى تُفيضوا إلى اليقين.

وقيل: إن كنتم موقنين بما تعاينونه، فربُّ العالمين ربُّها.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

فوقع عند فرعون أنه لم يجبه عما سأله، وأنه أخبره بشيء آخر[2] لم يعرف حقيقته[3]: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: معجِّباً لهم من جواب موسى؛ أي: ألا تستمعون ما أسأله عنه وما يجيبني به.

فعاد موسى إلى مثل قوله الأول فـ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: هو خالقُكم ومصرِّفكم ومدبِّركم على ما يريد، وخالقُ آبائكم الأولين ومدبِّرهم

---

(١) المائية: الماهية، وهي حقيقة الشيء التي يسأل عنها بـ(ما). قال أبو البقاء في «الكليات» (ص: ٧٥٣): المَاهِيّة منسوبة إلى لفظ (ما) بإلحاق ياء النِّسْبَة بلفظ (ما)، ومثل (ما) إذا أُريد به لفظه تلحقه الهمزة، فأصلها: مائية؛ أي: لفظ يُجَاب به عن السُّؤال بـ(ما)، قلبت همزته هاء لما بينهما من قرب المخارج، أو الأصل: (ما هو)؛ أي: الحقيقة المنسوبة إلى (ما هو)، فحذف الواو للخفة المطلوبة وأبدلت الضمة بالكسرة للياء، ثمَّ عوض عن الواو التَّاء).

(٢) «آخر» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «لم يعرفه حقيقة».

ومصرِّفهم؛ أي: ليس الطريق إلى معرفته ما سألتَني عنه من المائية[1]، إنما الطريق إلى معرفته الاستدلال عليه بما قلتُ.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فلما رآه فرعون ثابتاً على مثل جوابه الأول لا يجيبه عن الماهية ﴿قَالَ﴾ لمن حوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾: يستهزئ به؛ يقول: إن هذا الذي يزعم أنه رسول الله أرسله إليكم لمجنونٌ لا يعقل ما يقال له، فهو يُسأل عن شيء ويجيب عن غيره.

فعاد موسى ثالثةً إلى مثل كلامه الأول بالدلالة على الله تعالى بأفعاله ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: ربُّ العالمين هو الذي يُطلع الشمس ويُغربها، وهو خالقهما ومصرِّفهما[2] على هذا الانتظام والاتِّساق[3] الذي ترونه وتشاهدونه[4].

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما يقال لكم، وكانت لكم عقولٌ تقفون بها على الكلام والمقصود، فرَبُّ العالمين هو المدلولُ عليه بهذه الأشياء؛ لظهور آثار الصَّنعة فيها، وشهادتِها أن لها صانعاً عالماً قادراً لا يُشبهها.

* * *

(٢٩) ـ ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «الماهية».

(٢) في (ر): «خالقها ومصرفها».

(٣) في (ر) و(ف): «والأسباب».

(٤) في (ر): «الذي ترون وتشاهدون».

فلما أوضح موسى عليه السلام عمَّا أراد، ترَك مساءلة موسى إذ لم يتهيَّأ له أن يدفع ظهور آثار الصنعة مما ذكر، فاشتغل بتوعُّده بالحبس: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾: أي: لأسجُنَنَّك مع مَن سجَنْتُهم لسعيهم في فساد مملكتي وتفريقِ شمل رعيتي.

وقيل: لمَّا قال موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سأل فرعون عن مقدار مُلك مَن أرسله على ما يُسأل[1] مثله من الملوك إذا وردت رسلهم، فيقول هذا: ما ملكُ[2] صاحبك؟ أي: ما مقدار ملكه وسلطانه؟ فقال موسى صلوات الله عليه: هو ربُّ السماوات والأرض وما بينهما، فعجَّب جلساءه من جوابه وقال لهم: ألا تستمِعون ما يقول موسى من سَعة ملك مَن أرسله[3]؟ أي: متى يكون هذا؟ فأوضح موسى ذلك وقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وكان في هذا تضليلُ هؤلاء الذين يعبدون مِن دون الله، فكان هذا أشنعَ من الأول عندهم، وأبعدَ من وفاق فرعون فيما يدَّعي من الربوبية، فقال: هو مجنون إذ يزعم[4] أن له إلهاً غيري، فيزداد موسى عليه السلام في بيانه فقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فاعقِلوا وميِّزوا بين مَن يملك الدنيا كلَّها من شرقها إلى غربها وبين مَن لا يعدو ملكُه حدود مصر، فقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾؛ أي: أصرَرْتَ على عبادة هذا لأجعلنك من أهل السجون، وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه من سجنه حتى يموت فيه[5]؛ قطعاً لإفساده.

* * *

(١) في (ر) و(ف): «سأل».

(٢) «ملك» من (ف).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «على ما سأل مثله».

(٤) «يزعم» ليست في (أ).

(٥) «فيه» ليست في (ر).

(٣٠ ـ ٣٢) ـ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾: أي: أرأيت لو جئتُك بشيء يُبين لك صدقَ دعواي الرسالةَ وأنه ملك الملوك، أتجعلني من المسجونين إن عبدتُ هذا الإله؟ فلم يتهيأ له دفعه فـ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في دعواك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: أي: فتحوَّلت عصاه ثعباناً أبانَ عن نفسه أنه ثعبان، وقال في آية أخرى ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] والجان إلى الصغر ما هي، فالتوفيق بينهما: أنه صار ثعباناً في خلقته جانًّا في خفَّته.

* * *

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من كمِّه[1] ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ كالثلج ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: لمن نظر إليه.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ﴾؛ أي: للأشراف ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ ليلبِّس عليهم: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: في السحر.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾: أي: يُلقيَ العداوةَ والفُرقة بينكم ويستميلَ بعضكم ليحارب به بعضكم فيُخرجَكم من بلادكم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: أي: تشيرون به في أمره من حبسٍ أو قتلٍ أو غيرِ ذلك.

---

(١) «من كمه» من (أ).

(٣٦ ـ ٣٩) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ﴾[1]: أي: أَخِّره، وقيل: احبِسْه ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارونَ كذلك ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ﴾: أي: أمصارِ ملكك ﴿حَٰشِرِينَ﴾: رجالاً يَحشرون السحرة؛ أي: يَجمعون ويُحضرون ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ﴾.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾: وها هنا مضمر: فأرسل فرعونُ في المدائن حاشرين فجمعوا لميقات يوم معلوم، وهو يومُ الزينة: يوم عيد أو[2] يوم نيروز كما مرَّ مرات.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾: أي: أن أصحاب فرعون قالوا للناس: ﴿هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ﴾؛ أي: اجتمِعوا في هذا اليوم.

* * *

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾: أي: إنَّ الغلَبة تكون لهم فاجتمِعوا لنتَّبعهم؛ أي: لنكون من جملتهم وعلى دينهم وهو دينُ فرعون، و(لعل) للتحقيق هاهنا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ أي: لتُرحموا.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: أي: جاءوا فرعون ﴿قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾؛ أي: جزاءَنا بالخير ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ لموسى وهارون.

---

(١) في (ر) و(ف): «أرجئه»، والمثبت من (أ)، وهما قراءتان سبعيتان.

(٢) في (ر) و(ف): «و».

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ﴾ لكم جزاء عندي ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: وتكونون مع ذلك مقرَّبين عندي في المنزلة[1] والجاه، فتكونون أولَ مَن دخل عليَّ وآخِرَ مَن خرج.

وقيل: تدخلون عليَّ من غيرِ إذنٍ.

وقيل: تُقبل شفاعتكم فيمَن تشفعون لهم.

***

(٤٣ ـ ٤٥) ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾: أي: ما تريدون أن تُلقوه من الحبال والعصيِّ فستعلمون بطلانها وغلبةَ الحق.

﴿حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: قال القاسم بن أبي بَزَّة: كانوا سبعين ألفَ ساحرٍ، وألقوا سبعين ألفَ حبلٍ وسبعين ألفَ عصاً[2]، فجعلت تسعى، فتعاظم ذلك عندهم وتوهَّموا أنهم غلبوا موسى بكثرتها، فقالوا: ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾: أي: بأمر الله تعالى ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: فصارت ثعباناً فجعلت تلتقِم ما أَلقَوه يوهمون به الانقلابَ زوراً وبطلاناً.

***

---

(١) في (أ): «المرتبة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٨) و(١٦/ ١٠٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٣).

(٤٦ ـ ٤٩) ـ ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾: أي: لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم أُلقوا.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: وكانوا حفظوا الاسم حين قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فقال فرعون: تعنوني؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ وفيه إقرارٌ برسالتهما.

فلما رأى فرعون ذلك تحيَّر ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ ﴾: أي: أصدقتم بذلك موسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾؛ أي: لأُستاذكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ وهذا تلبيسٌ منه على العامة، ثم قال: ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا تهديد.

وقوله تعالى: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: أراد به ترهيبَ العامة لئلا يتَّبعوهم في الإيمان.

***

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ﴾: أي: لا نَعُدُّ ذلك ضرراً علينا، فإنه تعبُ ساعة ثم نصير إلى كرامة الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾.

وقيل: هل هو إلا أن تقتلَنا فتقلبنا[1] إلى ربنا؟

وقيل: إنَّا وأنت منقلبون إلى ربِّنا فيجزي كلًّا على عمله.

---

(١) في (أ): «فتنقلنا»، وفي (ف): «فيقبلنا».

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ ﴾: المتقدمة ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ به وبرسوله في هذا المحفل، وقد مرت القصة وفوائدها مرات[1].

* * *

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ ﴾: أَخبر بما آلَ إليه أمرُ فرعون وقومه من الهلاك بالغرق، وأمرُ موسى عليه السلام وقومه من العلوِّ والنصر، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ ﴾؛ أي: سرْ ببني إسرائيل ليلاً، وسماهم عبادَه لإيمانهم بنبيِّه ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه ليردُّوكم ويحاربوكم[2] إن لم تنصرفوا، وكان هذا بعد سنين من أمر السحرة.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ ﴾: أي: ففعل ذلك موسى وخرجوا، فأُخبر فرعون بذلك فأرسل فرعونُ ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾؛ أي: أمصارِ عمله ﴿حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: شُرطاً يحشرون الأجناد إليه للإنجاد.

* * *

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾: قال فرعون حيث تبعهم بجنوده ونظر إليهم فاستقلَّهم، وكانوا ستَّ مئة ألفٍ وسبعين ألفاً، قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[3]، وفرعون في ألفِ ألفِ فارسٍ.

---

(١) «مرات» ليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «ويجادلوكم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٦).

والشرذمة: العُصْبة الباقية من عُصَبٍ كثيرة.

وقيل: الطائفة، وشرذمة كل شيء: بقيتُه القليلة. قال الراجز:

جاء الشتاءُ وقميصي أخلاقْ   شراذمٌ يضحكُ منه التَّوَّاقْ[1]

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: فعلوا ما يَغيظنا ويُسخطنا، وهو خروجهم من مِصْرنا.

وقيل: بحَمْلهم الحليَّ التي استعاروها منَّا للعيد.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾[2]: قرأ حمزة والكسائي وعاصم بالألف، والباقون: ﴿حَذِرون﴾ بغير ألف[3].

ومعنى ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾؛ أي: مجتمعون متفقو الآراء، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤].

﴿حَٰذِرُونَ﴾ تامُّو السلاح، و﴿حَٰذِرُونَ﴾[4]:..................................

---

(١) في (أ): «النواق»، وهي رواية كما ذكر في «الصحاح» و«اللسان». والرجز دون نسبة في «العين» (٦/ ٣٠٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٢٧) و(٢/ ٨٧)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٧٢)، و«الصحاح» (مادة: توق)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٦٤)، و«اللسان» (مادة: توق). قال الجوهري: تاقت نفسي إلى الشيء تَوْقاً وتَوَقاناً؛ أي: اشتاقَتْ، يقال: المرء تَوَّاقٌ إلى ما لم يَنَل، وأما قول الراجز: (جاء الشتاء...) فيقال: هو اسم ابنه، ويروى: (النوَّاق). وزاد في «اللسان»: وقيل: التَّوَّاق: الذي تَتُوق نفْسُه إلى كلِّ دناءة.

(٢) في (ف): «حذرون».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧١)، و«التيسير» (ص: ١٦٥). وقرأ ابن ذكوان أيضاً بالألف، واختلف عن هشام. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٥).

(٤) في (ر) و(ف): «حذرون» في الموضعين.

متيقِّظون متأهِّبون، وقوم موسى لا سلاح معهم، ولم يتأهَّبوا لمقاومتنا[١]، شجَّع بذلك قومه.

وقال العبدي: حَذِرون: عالمون بالحرب.

***

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾: أي: فأخرجناهم من مصر فلم يرجعوا إليها ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ كثيرة المياه ﴿وَكُنُوزٍ﴾ من ذهب وفضة.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: قيل: هو جمع مَقامةٍ، وهي مقاماتٌ كانت تقوم بها أشرافهم ورؤساؤهم في المحافل التي يجتمعون فيها لجلائل الأمور كما كانت العرب تفتخِر بذلك.

وقيل: هي منابر كانوا يَذكرون عليها ملكَهم فرعون ويُثنون عليه، وكان تكرَّم[٢] عليهم ذلك وتعظَّم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بمصر ألف منبر يُثْنون عليها على فرعون لعنه الله[٣].

وقيل: هي الدُّور الواسعة.

وقيل: هو المسكن الحسن الشريف.

---

(١) في (أ): «لمقاربتنا».

(٢) في (ف): «تلوم»، وفي (ر) تحتمل الوجهين.

(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٨٢)، ومكي في «الهداية» (٤/ ٢٥٢٥)، والسمعاني في «تفسيره» (١٣/ ١٠٥)، دون نسبة. وروى ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٨) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ قال: المنابر.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٥٩ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: كذلك كان الأمرُ أخرجناهم منها[١] ولم نُعِدْهم إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: وملَّكناها[٢] بعدهم قوم موسى، قيل: ردَّ بني إسرائيل إلى أرض مصر فسكنوها.

وقيل: ملكوها فنقلوا ما فيها وذهبوا به[٣] إلى الشام وسكنوا الشام.

وقيل: ملكوا بعد ذلك بلادَ مصر وكنوزَهم ومدائنَ فرعون، بعد ذلك بزمانٍ في عصر داود وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: أي: فلحقوهم؛ أي: لحق فرعون وقومُه قوم موسى. وقد تَبِعه؛ أي: قفا أثره، واتَّبعه؛ أي: لحقه.

وقوله تعالى: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: أي: حالَ شروق الشمس وهو طلوعُها.

وقد رَوَينا أن قوم فرعون اشتغلوا بدفنِ مَن كان مات من أبكارهم[٤] إلى أن انبسطت الشمس.

و﴿مُّشْرِقِينَ﴾ في الظاهر حال قوم فرعون، وقيل: هو حال قوم موسى.

---

(١) في (أ): «عنها».

(٢) في (ر): «ومكناها».

(٣) «وذهبوا به» ليس في (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «بدفن موتاهم من أبكارهم». وقد تقدم في قصة موسى في الأعراف عن وهب: أن الطوفان هو الطاعون، فوقع فيهم ومات من أبكارهم في ليلةٍ ثمانون ألفاً، ومن أبكار الدوابِّ كذلك، واحتال فرعون فجمع بين أبكارِ القِبط وأبكارِ بني إسرائيل بين كلِّ بكرين بسلسلةٍ، فمات في الليل أبكارُ القبط دون أبكار بني إسرائيل.

وقيل في معناه: كان قوم فرعون في الضباب والظُّلمة وقومُ موسى في ضياءِ الشمس، فلحقوهم فوجدوهم في ضياء الشمس.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: أي: تلاقى فصار كلُّ جمع يرى الجمع الآخر ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾؛ أي: قرُب قوم فرعون منَّا بحيث يدركوننا، خافوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ﴾: أي: قال موسى: ليس كذلك، نفَى إدراكَهم إياهم، وفيه حجتُنا على نُفاةِ رؤية الله تعالى الذين يتعلَّقون بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ويتأوَّلونه: لا تراه، فإنه نفى الإدراك مع إثبات الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ فعُلم أنه ليس هي، بل الإدراك هو الإحاطة بجوانب الشيء، وهم خافوا ذلك، وهو المنفي في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ دون الرؤية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾: أي: ناصري على عدوِّي ﴿سَيَهْدِينِ﴾؛ أي: سيعرِّفني الطريق الذي في سلوكه نجاتي ونجاةُ مَن معي.

* * *

(٦٣) ـ ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ﴾: هو بحر القُلْزُم[١].

---

(١) وهو المعروف اليوم بخليج السويس من البحر الأحمر. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: قلزم).

﴿فَانفَلَقَ﴾ وهاهنا مضمر؛ أي: فضرب فانفلق؛ أي: فانشقَّ فصارت فيه طرقٌ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ من الماء ﴿كَالطَّوْدِ﴾ كالجبل ﴿الْعَظِيمِ﴾.

والفَرْق بالفتح: مصدرٌ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، والفِرْق بالكسر: الاسم، كالقَشْر والقِشْر، والقَطْف والقِطْف؛ أي: ارتفع ماءُ كلِّ طريقٍ في الهواء فصار كجبلٍ، وكانوا اثني عشر سِبطاً، فصار اثني عشر فِرقاً، فسلك كلُّ سبطٍ فِرقاً فجاوزوه حتى أصحروا[(١)].

***

(٦٤) ـ ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: أي: قرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾؛ أي: هناك من البحر ﴿الْآخَرِينَ﴾؛ أي: قومَ فرعون، فدخلوه على أن يسلكوا فيه كما سلك موسى وقومُه، فانطمَّ[(٢)] عليهم البحر وصارت الأفراق كلُّها شيئاً واحداً.

قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾؛ أي: قرَّبنا، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ [الشعراء: ٩٠][(٣)].

قال أبو عبيدة: أي: جمعنا، ومزدلفة مجمع[(٤)].

وقال الحسن: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾؛ أي: أهلكنا[(٥)]؛ أي: قرَّبْناهم إلى الهلاك.

---

(١) في (ر): «حتى أضجروا» وليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «فانضم». والمثبت من (أ)، وفي هامشها: «انطم كل شيء: كثر حتى علا وغلب».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٨٦).

(٤) في (أ): «تجمع». وانظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٨٧)، وفيه: (أي: وجمعنا، ومنه ليلة المزدلفة، والحجة فيها أنها ليلة جمع).

(٥) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣١٧)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦١)، والنحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٨٥).

(٦٥ ـ ٦٩) ـ ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾: أي: قومه ﴿أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾: قومَ فرعون بعد إخراج قوم موسى، وفيه إبطالُ القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث، فإنهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف الطوالع.

وقوله تعالى: ﴿فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: قد فسَّرنا ذلك كلَّه غيرَ مرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾: كان في عصر النبيِّ ﷺ أهلُ كتاب ومشركون، فحاجَّ أهلَ الكتاب بقصة نبيِّهم موسى، وحاجَّ المشركين بقصةِ أبيهم إبراهيم، فلذلك جمع بين القصتين.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾؛ أي: واقرأ عليهم خبر إبراهيم.

***

(٧٠ ـ ٧٢) ـ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾: آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾؛ أي: أيَّ شيء تعبدون؟

﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾: تماثيلَ ممثَّلةً ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾؛ أي: نقيم على عبادتها وخدمتها طول النهار، هذا ظاهر الكلمة، ويجوز أن يكون عبارة عن: فنكون، كما تستعمل كلمة أصبح وأمسى في معنى: صار وكان.

فـ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم منبِّهاً لهم على ضلالتهم وجهالتهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾؛ أي:

هل يجيبونكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾؟ قال قتادة: أي: هل تجيبكم آلهتكم إذا دعوتُموهم[١].

وقال عكرمة: هل يسمعون أصواتكم[٢].

وقال أبو عبيدة: هل يسمعون دعاءكم[٣].

وقال قطربٌ: هو كقولك: سمعته يشتم زيداً، ونظيره قوله: ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] ﴿إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣] ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ويستعمل باللام أيضاً: سمع الله لمن حَمِده، وبـ(مِن)؛ يقال: سمع منه.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾: ﴿يَنفَعُونَكُمْ﴾: يرزقونكم على عبادتهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾: يعاقبونكم على ترك العبادة، وجمع هذه الأفعال بالواو والنون لأنها من صفاتِ مَن يَعقل.

﴿قَالُوا۟ بَلْ﴾: أي: لا تسمع ولا تُبصر، ولا تنفع ولا تَضُر، ولسنا نعبدها لشيء من ذلك، ولكن ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: يعبدون هذه الأصنام فقلَّدناهم.

* * *

(٧٥ ـ ٧٧) ـ ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٥).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٨٧).

عَدُوٌّ لِّيٓ﴾: أي: كلُّ ما عبدتُموهم أنتم وعبدَه آباؤكم الأقدمون في سالف الدهر ـ و(الأقدم) تفضيل القديم، وهو الأجداد وآباء الأجداد ـ فإني أعاديهم؛ أي: أجتنبُ عبادتهم وتعظيمَهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: فإني أعبده وأعظِّمه، لا أعبد غيرَه ولا أعظِّم سواه.

وذكرُ الأقدمين على معنى: أنه ليس في تقليد الآباء حجةٌ، فإن كانوا قروناً فكيف الآباء الأدنَون[1].

والعدو: اسم للمعادِي والمعادَى جميعاً، ونظير قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ قولُ اليهود لجبريل عليه السلام: هو عدونا من الملائكة، وقول الله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٩٨] وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فوقع على المعادِي والمعادَى جميعاً.

وقيل: معناه: افعل بهم من الاستحقاق ما لو كانوا أحياءً عقلاءَ لعادَوني.

وقيل: أي: لو عبدتُهم لكانوا أعداءً لي يوم القيامة، كما قال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [مريم: ٨١] إلى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]؛ أي: يتبرَّؤون من عبَدتهم ويضلِّلونهم.

وقال الضحاك: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: إني بريء من الآلهة التي تعبدون كلِّها إلا ربَّ العالمين فإني لا أتبرَّأ منه.

وقيل: هو استثناء منقطع بمعنى: لكن.

وقيل: بل هو استثناء متصل، وقد كان في أبائهم مَن يَعبد الله فاستثنى ذلك.

---

(١) في (ف): «الأقدمون».

وقيل: كان هؤلاء يعبدون الله ويعبدون الأصنام على الاشتراك، فتبرَّأ من كلِّ ما يعبدونه واستثنى ربَّ العالمين مما يعبدونه فصحَّ الاستثناء.

وقيل: إنهم لم يعبدوا الله العبادة المعروفة، فقد قالوا: إن الله خالقهم ورازقهم، فكانوا مُقرِّين بالعبودية من هذا الوجه.

وقيل: كانت آثار العبودية عليهم ظاهرةً، فاستثنى من هذا الوجه.

* * *

(٧٨ ـ ٧٩) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾: أي: أَوْجدني ولم أكُ شيئاً ﴿فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾؛ أي: يرشدني ويوفِّقني لصواب القول والعمل.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾: أي: يرزقني ما أتغذَّى به وأقيمُ به بدني مدةَ حياتي.

* * *

(٨٠ ـ ٨٢) ـ ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾: أضاف المرض إلى نفسه؛ لأنه في موضعِ عدِّ نعم الله ومنَّته عليهم[1]، فكان الأدبُ في ألا يضيف المكروه إلى المنعِم.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾: ليس معناه أنه يشفيني لا محالةَ، لكن معناه: إذا مرضتُ ثم شُفيت فالله هو الذي شفاني دون غيره.

---

(١) في (أ): «منن الله عليه» بدل: «نعم الله ومنته عليهم».

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾: أي: هو مالكُ إماتتي وإحيائي بعد موتي.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾: تلطَّف في سؤال المغفرة، وأَحسنَ في الثناء على الله، ونبَّه المشركين على ضلالتهم في عبادة الأصنام، وقال: معبودي هو الذي إن أخطأتُ كان هو الذي أرجو منه المغفرة لسَعة رحمته، فلا حاجة لي إلى عبادة شيء من دونه أرجو أن يشفع لي عنده يومَ الدين؛ أي: يوم الحساب والجزاء.

ومنهم مَن حمل الخطيئة على كلماته الثلاث: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] «هذه أختي»[١]، ولم تكن هذه الكلمات خطيئات، وهي معاريضُ جائزة، لكن معناه ما ذكرنا: أنه ليس لتحقيق الخطيئة، لكن لرجاءِ المغفرة منه لو وقع في الخطيئة ما يقع[٢] من الأنبياء مما يعاتَبون عليه، فهو زلةٌ فليس بذنب ولا معصية، وقد عُرف ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

* * *

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾: وهو دوامُ العلم والفهم، فقد كان أعطاه الحكمَ وهو العلمُ والفهم، فكان هذا سؤالَ الإدامة كما في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ر) و(ف): «ما لم يقع»، وفي (أ): «ثم ما نفع». ولعل المثبت هو الصواب.

وقيل: هذا سؤالُ صواب[١] الحكم الذي يَحكم به، وقبولِ ذلك في قلوب الخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: أي: الأنبياء؛ أي: توفَّني على ما توفَّيْتَهم.

﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾: أي: وأَبْقِ لي الثناء الحسن على ألسنةِ عبادك إلى آخِر الدهر، ففعل الله تعالى له ذلك، فكلُّ أهل الأديان يتولَّونه وينتسبون إليه.

وقيل: معناه: أي: اجعل في آخر الزمان من ذريتي مَن يقولُ بالحق، ويقومُ بالدِّين، ويدعو الناس إليه، وذلك راجعٌ إلى نبيِّنا محمد ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨].

* * *

(٨٥ ـ ٨٧) ـ ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: أي: من الباقين فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾: أي: اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾: للحال، رجا إسلامه فسأل الله تعالى أن يعطيَه ذلك، وكان وعَدَه مِن نفسه ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الآية [التوبة: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾: أي: لا تخجلني بتقصيري يوم القيامة.

وقيل: أي: لا تطالبني بصدق الخلة.

فاستجاب الله دعواته فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]،

---

(١) في (أ): «جواب».

وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، وقال: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨].

* * *

(٨٨ ـ ٨٩) ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾: كما ينفع في الدنيا ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ استثناء منقطع بمعنى لكنْ، يعني لكنْ[١] مَن أتى كذلك نَفَعه.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: سالم عن الشرك والنفاق، فالسليم: المخلِص، والميت: الكافر، والمريض: المنافق؛ تشبيهاً بسلامة البدن ومرضه وموته.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «القلب السليم: المتبرِّئ من بغضِ أهل بيتي وأصحابي وأزواجي»[٢].

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: بقلبٍ سليمٍ من آفة المال والبنين.

وقال الجنيد: السليم في اللغة: اللَّديغ[٣]، وهو لا يستقرُّ، فالقلب السليم: الذي أقلقه الحب فلا يستقر.

وقال الأستاذ أبو القاسم بن حبيب: القلب السليم: الذي سلِم من ذكر غيرِ الله، وسلَّم لأمر الله، وأسلم نفسَه إلى الله، وسالم ربه ـ أي: رضي بقضاء الله ـ، واستسلم؛ أي: انقاد لحكم الله.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿سَلِيمٍ﴾؛ أي: خالص[٤] من حب الدنيا.

---

(١) «لكن» من (أ).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧١).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «وخلص».

وقيل: هو السالم عن الهوى والبدعة.

وقيل: هو السالم من الذنب والذلة.

وقيل: هو السالم من الحسد والخيانة.

وقيل: هو الذي لا هم فيه غيرُ الله[(١)].

وقيل: هو الذي لا يشكُّ في الله، ولا في الدِّين، ولا في الرزق، ولا في الوعد.

وقال أبو سليمان الداراني: هو الخالي عما سوى الله.

وقال الشيخ أبو القاسم: الحليم[(٢)] هو الذي لا يؤذي الخلق ولا يتأذى منهم، ولا يتوقعُ المكافأة[(٣)] على إحسانه إليهم.

وقيل: السليم هو الذي لا يزيل تغيُّرُ الأحوال يقينَه، ولا يقطع جفاءُ الخلق شفقتَه.

وقال القشيري رحمه الله: إن إبراهيم الخليل عليه السلام حقَّق مقام الخُلَّة بأنْ قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع أولهم وآخرهم في اسم واحد يطلق غالباً على الفرد تقليلاً لهم، ثم أعرض عن ذكرهم واشتغل بذكر الله فقال: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم لمَّا أخذ في وصفه كاد لا يسكت، ومن أمارة المحبة كثرةُ ذكر المحبوب والإعراض عن ذكر غيره[(٤)].

* * *

---

(١) في (أ): «لا همة فيه إلا الله».

(٢) في (أ): «الحكيم»، وفي (ف): «الحكم». ولعل الصواب: (السليم).

(٣) في (ر) و(ف): «الإحسان».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٣).

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: من صفات قوله: ﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: قرِّبت لهم ليدخلوها.

وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: أي: ظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾؛ أي: للضالين.

وقيل: للخائبين من رحمة الله، تظهر لهم قبل أن يدخلوها تعجيلاً لإفزاعهم وإقراعهم[١] كما قربت الجنة للمتقين تعجيلاً لإفراحهم وإمتاعهم.

* * *

(٩٢ ـ ٩٦) ـ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: أي: للغاوين: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا تعيير لهم وتوبيخ ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾؛ أي: هل يمنعونكم عن العذاب، وهل يمتنعون[٢] بأنفسهم، وهو استفهام بمعنى النفي؛ أي: يدخلون النار معكم تشديداً لعذابكم.

وقوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾: أي: كُبُّوا وأُلقوا على رؤوسهم فيها؛ أي: في الجحيم ﴿هُمْ﴾؛ أي: المعبودون ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ أي: عابدوهم الضالون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾؛ أي: أعوانُه كلُّهم سوى هؤلاء.

وقيل: ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الشياطين، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾؛ أي: أتباعه من الإنس.

---

(١) في (أ): «لأغراضهم وإنجاعهم» وفي (ف): «لإيجاعهم وإفزاعهم» وفي (ر): «لإنجاعهم وإقراعهم». ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) في (ر): «أو ممتنعون» بدل: «وهل يمتنعون».

وقيل: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ الذين عصوا الله ودعَوا إلى معصيته.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: أي: الأتباعُ والمتبوعون، فهو كقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

***

(٩٧ ـ ١٠٢) ـ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: أي: قال عبدةُ الأصنام: والله ما كنا إلا في غوايةٍ ظاهرة ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ أيها الأصنام ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة واعتقادِ الربوبية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾: الذين دعَونا إلى ذلك ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ من الأباعد ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الأقارب فيخلِّصنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ فيا ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسوله.

***

(١٠٣ ـ ١٠٧) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بالله ورسوله[١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قد فسرناه[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: كذَّبت جماعةُ قوم نوح، فلذلك

---

(١) «بالله ورسوله» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «مر تفسيره».

أَنّث، وقوله: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: نوحاً في دعوى الرسالة والدعاءِ إلى توحيد الله تعالى وطاعته، وإلى ذلك دعا مَن قبله من الرسل ومَن بعده، فكان تكذيبه في ذلك تكذيباً للكل.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾: أي: كذَّبوا إذ قال لهم ﴿أَخُوهُمْ﴾؛ أي: نبيُّهم ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فتتركوا عبادة الأصنام، استفهام بمعنى الأمر.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: أي: أمين عليكم غيرُ خائن لكم.

وقيل: أمينُ الله على وحيه.

* * *

(١٠٨ ـ ١١١) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: لأني رسولٌ أمين[1] فيما أمرتُكم به ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: جزاءٍ منكم على تبليغ الوحي ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾؛ أي: ثوابي على تبليغي[2] ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: من ربِّ العالمين بوعده.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: كرَّر لتكرار الداعي:

الأول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لأني لكم رسول أمين.

والثاني[3]: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لأني لا أسألكم عليه من أجر.

وكلٌّ واحد منهما يقوِّي الصدق ويدعو إلى التصديق.

---

(١) «لأني رسول أمين» ليست في (أ).

(٢) «على تبليغي» زيادة من (ف).

(٣) كلمة: «الأول» «والثاني» ليستا في (أ).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾: قال مقاتل: أي: السَّفِلة[١].

وقال عكرمة: أي: الحاكَة والأساكفة[٢].

وقيل: الحجَّامون، وقيل: ناقصو العقول.

أي: أنصدِّقك فيما تدعونا ونتقادُ لك وإنما اتَّبعك الأخسَّاء منا والفقراء والضعفاء فنكونَ أمثالَهم إذا آمنَّا بك، بل يكونُ لهم الفضل علينا بالسَّبق، وهذا مما تنفر منه النفوس، توهَّموا لجهلهم أن اتِّباع هؤلاء الضعفاء مما يُضعف أمره، ولم يعلموا أن الفضل لمن فضَّله الله تعالى بالدِّين لا لمن له المالُ والرفعةُ في الدنيا.

* * *

(١١٢ ـ ١١٦) ـ ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: وقيل: ولا حاجة لي إلى علم ما كان هؤلاء يعملونه من الأعمال التي استرذَلْتُموها.

قوله: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ﴾: أي: ما حسابهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾: لو تعلمون أنه كذلك.

وقيل: قالوا: إنما اتَّبعوك ليكون ذلك شرفاً لهم ورفعةً، واتَّبعوك طمعاً في مالٍ[٣] ينالونه منك لا تصديقاً بك وإيماناً بربك[٤]، وباطنهم بخلاف ظاهرهم، فقال:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٧٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

(٣) في (أ): «ما».

(٤) في (ر) و(ف): «لا تصديقاً لك وإنما يأتوك».

﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الباطن، و(كان) زائدة كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ وهو يجازيهم على حقيقة أمرهم، وإنما عليَّ البناءُ على الظاهر، وهم في[1] الظاهر مؤمنون مصدقون.

قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: فإذا قبلوا ما أنذرتُهم لم يكن لي أن أطردهم.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾: أي: عن ادِّعاء الرسالة وعن سبِّ آلهتنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: قيل: أي: من المشتومين، وقيل: أي: من المقتولين بالحجارة؛ أي: أَوعدوه شتمَهم أو رجمهم.

* * *

(١١٧ ـ ١١٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: أي: فاقضِ بيني وبينهم قضاءً؛ أي: أهلِكْهم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: هو حكمُك فاحكم بهذا الحكم الحقِّ وهو استنجازُ الموعود.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: أي: السفينة المملوءة.

وقال مجاهد: المفروغِ منه تحميلاً[2].

---

(١) في (أ): «على».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٥).

وقال الحسن: المُوْقَر[١].

وقال عطاء: المثقل[٢].

وقال الربيع بن أنس: أي: المملوء[٣].

والفلك يذكَّر ويؤنَّث.

* * *

(١٢٠ ـ ١٢٧) ـ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: أي: بعدَ إنجائنا نوحاً والمؤمنين ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه بالطُّوفان.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قد فسرناه.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: هوداً ومَن قبله ومَن بعده من الرسل.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: قد فسرناه.

* * *

(١) رواه عن الحسن يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨١٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٥) عن مجاهد بلفظ: (المفروغ منه المملوء).

(١٢٨ ـ ١٢٩) ـ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: قال قتادة: بكلِّ طريق[١]. وقيل: بكلِّ سوق. وقيل: بكل مكانٍ مرتفعٍ.

﴿ءَايَةً﴾: أي: علامة، قيل: هي البناء العالي. وقال مجاهد أي: برجَ حمَام[٢].

﴿تَعْبَثُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنه: تلعبون[٣].

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: قال مجاهد: أي: حصوناً مشيَّدة[٤].

وقال قتادة: حياضاً[٥]، والمصنعة: الحوض[٦]، والمصنعة: البناء.

وقيل: معناه: أتجعلون بكلِّ موضع عالٍ مشرِفٍ علامةً تبنونها لا تحتاجون إليها لسكناكم إنما تريدون بها المباهاة والمراءاة، وذلك عبث.

وقيل: بل كانوا يبنون بالطرق[٧] والمواضع المشرِفة بروجَ الحمام ليلعبوا بها، فذلك عبثُهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٩). ورواه الطبري أيضاً عن ابن عباس لكن بإسناد ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٠) بلفظ: (بنيان الحمام).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٠) عن ابن عباس والضحاك.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١١) وزاد في رواية: (وبنيان مخلَّد).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١١). بلفظ: (مآخذ للماء). وكذا ذكره البغوي في «تفسيره» (٦/ ١٢٣) وزاد: يعني الحياض.

(٦) في (ر): «والمصانع الحياض». قال الطبري: المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصوناً مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأيِّ ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل.

(٧) في (ر) و(ف): «وقيل ما كانوا يبنون بالطريق».

وقيل: كانوا يجتمعون في ذلك للَّهو واللعب[1].

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾: أي: تتخذون دُوراً وقصوراً اتخاذَ مَن يؤمِّل الخلود في الدنيا فيُحْكِم ويُبْرِم ذلك ويُحْسِن ويُتْقِن.

* * *

(١٣٠ ـ ١٣٦) ـ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾: أي: أخذتُم أخذَ العقوبة ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾: قهَّارين بالسيف والسوط ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾؛ أي: تابعَ عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن دمتُم على هذا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا، وهو يومُ إهلاككم، وتَلِجون عذاب النار يومَ القيامة، وهو يومٌ عظيم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾: فلسنا نُصغي إليك، ولا نقبل منك[2]، فيعامَلون في النار بمثله فيقال لهم: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦]، وهم يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

* * *

---

(١) في (ف): «والعبث».

(٢) في (ف): «ولا نسمع منك ولا نقبل».

(١٣٧ ـ ١٤٠) ـ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء؛ أي: اختلاق الأولين؛ أي: كذبهم، قاله ابن مسعود رضي الله عنه[1].

وقيل: هو من الخَلْق الذي هو التخليق، وهو معنى قول قتادة: أي: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ويموتون ولا بعث عليهم ولا حساب[2].

وقرأ الباقون بضم الخاء واللام[3]، ومعناه: إلا عادةُ الأوَّلين؛ أي: اتخاذُ البنيان والبطشُ ونحو ذلك؛ أي: نفعله كما فعلَ الأولون.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: في الدنيا ولا بعد البعث، فلا بعثَ.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أي: هوداً ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ سُخِّرت[4] عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: مر تفسيرها.

* * *

(١٤١ ـ ١٤٨) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٧٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٤) في (ر) و(ف): «سخرها».

﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أي: صالحاً وسائرَ الأنبياء.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: قد فسرناها.

وقوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ﴾: أي: أتظنُّون أنكم تبقَون في الدنيا في دياركم هذه آمنين لا تخافون عذاباً ولا موتا.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: في بساتينَ نزهةٍ وعيون جارية ﴿وَزُرُوعٍ﴾؛ أي: وحروث ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: قد نَضِجَ وأَيْنَعَ وبَلَغَ(١).

وقال الضحاك: أي: قد ضمر بركوبِ بعضه بعضاً(٢)، من قوله: هضيم الكشح؛ أي: لطيفُه.

وعن الضحاك أيضاً(٣) في رواية: هو أنْ يَكثر حملُ التَّمر(٤) حتى يَهضم بعضُه بعضاً؛ أي: يَكسر وينقص(٥).

وقال مجاهد: ﴿هَضِيمٌ﴾؛ أي: هشيمٌ متهشِّمٌ يتفتَّت إذا مُسَّ(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧٦) عن الضحاك ومقاتل: متراكم ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضاً. ولعله نقل بالمعنى للخبر الذي بعده.

(٣) «أيضاً» من (أ).

(٤) في (ر): «الثمرة»، وفي «تفسير الطبري»: (النخلة)، و«تفسير ابن أبي حاتم»: (الشجر).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٩ ـ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٢).

وقال عكرمة: أي لينٌ رَطْبٌ[١].

وقال في «ديوان الأدب»: يقال للطلع: هضيم، ما لم يخرج من كُفُرَّاه[٢].

* * *

(١٤٩) ـ ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَرِهين﴾ والباقون: ﴿فَٰرِهِينَ﴾[٣].

والفَرِهُ والفارِهُ: الماهر[٤] في الصنعة، الحاذق في الأمر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما هكذا قال: ﴿فَٰرِهِينَ﴾: حاذقين[٥].

وفي رواية عنه: أَشِرينَ بَطِرين[٦].

وقال الضحاك: كيِّسين[٧].

وقال ابن زيد: ﴿فَٰرِهِينَ﴾: قويِّين[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠١).

(٢) انظر: «معجم ديوان الأدب» (١/ ٤٢٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦). وقرأ نافع مثل ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) في (ف) و(أ): «النافد».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٢).

(٦) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٨٣)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٠٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٢٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢) دون كلمة: «بطرين».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٣).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٣).

وقيل: مَرِحين[١].

وقيل: فَرِحين، وقد فَرِحَ وفَرِهَ كما يقال: مَدَح ومَدَه.

أي: فلا تظنُّنَّ[٢] ذلك فإنكم لم تُخلقوا للبقاء، بل للابتلاء والحساب في دار الجزاء.

* * *

(١٥٠ ـ ١٥٣) ـ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أن تُعْرِضوا عن هذه السنَّة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الذين أسرفوا على أنفسهم في تمردهم على الله وهم تسعةُ رهط.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي[٣] والظلم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ بالإيمان والعدل.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾: أي: المسحورين، سحروك ففسَد عقلك فلا تدري ما تقول، هذا قول مجاهد وقتادة[٤].

وقيل: ﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾؛ أي: المخلوقين، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٥]، وهو الذي له السَّحْر بفتح السين؛ أي: الرئة.

---

(١) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٨٨).

(٢) في (ف): «تطيقون».

(٣) «والمعاصي» ليست في (أ).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٦).

وقيل: أي: المعلَّلين بالطعام والشراب، قال لبيد:

فإن تسألونا فيمَ نحن فإننا عصافيرُ من هذا الأنامِ المسحَّر[١]

وقال الفراء: المسحَّر: المجوَّف[٢].

***

(١٥٤ ـ ١٥٧) ـ ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ﴾: أي: بعلامةٍ على صدق دعواك الرسالةَ، وعلى أنك داعٍ[٣] إلى الحق ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ فيما تدَّعي.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ ﴾: أخرجها الله تعالى لا من ناقةٍ، وهي آية عظيمة ﴿لَّهَا شِرْبٌ ﴾؛ أي: حظٌّ من الماء فلا تزاحموها فيه ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ لا تزاحمكم هي فيه.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾: بقتل ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾: يوم نزول الهلاك بكم.

وقوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾: أي: فعَرْقبوها، وقد عَرْقبها قُدَارٌ ـ على ما ذكرنا القصة في سورة الأعراف ـ وهم مُعِيْنون له راضون به فأضيف إليهم.

---

(١) «ديوانه» (ص: ٤٧) برواية: (فإن تسألينا...).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٢)، وزاد: كأنه ـ والله أعلم ـ من قولك: انتفخ سَحْرك؛ أي: إنك تأكل الطعام والشراب وتُسَحّر بهِ وتعلّل.

(٣) في (أ): «أدعى».

﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾: أي: فصاروا نادمين على عَقرها، وقيل: على فَوْت ولدها لم يقتلوه.

***

(١٥٨ ـ ١٦٤) ـ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: أي: الصيحة بعدما تمتَّعوا ثلاثة أيام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قد مر تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: جماعةَ المرسَلين لوطاً وسائر الأنبياء.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾: أي: نبيُّهم[1]: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مرَّ تفسيرها.

***

(١٦٥ ـ ١٦٧) ـ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: أتُواقِعون الذُّكران[2] من الناس، وهي كنايةٌ عن الفاحشة.

---

(١) في (أ): «نسيبهم».

(٢) في (أ): «الذكور».

﴿وَتَذَرُونَ﴾: أي: وتتركون ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾؛ أي: زوجاتكم، جمع زوجٍ وهي الزوجة، وهذا يحتمِل وجهين:

أحدهما: وتتركون النساء اللاتي خُلقن للتزوُّج ولا تتزوَّجونهنَّ.

والثاني: وتتركون زوجاتكم اللاتي عقَدتم عليهن وتأتون غيرهنَّ.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: وتتركون القُبُل من زوجاتكم إلى أدبار الرجال والنساء.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: أي: ليس لكم قضاءُ وطرٍ للتلذُّذ فذلك حاصل بالنساء، بل أنتم مجاوِزون حدودَ الله[1] متعدُّون أمرَه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾: أي: لئن لم تمتنعْ عن هذا القول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾؛ أي: لننفينَّك[2] من أرضنا؛ كما قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦].

* * *

(١٦٨ ـ ١٧٠) ـ ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾: أي لإتيانكم الذُّكران[3] وسائرَ المعاصي ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾؛ أي: المبغِضين، وقد قَلَاه يقليه؛ أي: أبغضه، وبين الكلمتين تجنيس، وهو من أنواع الكلام النفيس.

وقوله تعالى: ﴿قال رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من عقاب ما يعملون.

---

(١) في (ف): «مجاوزون الحد».

(٢) في (ر): «لنصرفنك»، وفي (ف): «لنخرجنك».

(٣) في (أ): «الذكور».

وقيل: نجِّني وأهلي من أن نكون[١] على دينهم وعملهم؛ أي: اعصِمني عن ذلك.

وقيل: لمَّا قالوا: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ أظهَر أنه لا يسوءه مفارقتُهم فقال: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ فلا أكرهُ مفارقتكم ولا أرضَى مجاورتَكم، ثم: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أخرِجنا من جملتهم فننجو من مجاورة مَن يعمل بمعاصيك.

قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾: إجابةً لدعوته، فأخرجناهم من جملتهم.

* * *

(١٧١ ـ ١٧٥) ـ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: وهي امرأته ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: الباقين في العذاب فلم تنجُ منه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ﴾: أي: بعد إخراجهم أهلكنا مَن سوى لوطٍ ومَن نجا من أهله؛ أي: عياله وأولاده وأهل بيته، فجعلنا قريتهم عاليَها سافلَها بمن فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: حجارة من سجِّيل.

وقوله تعالى: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: أي: فبئس المطر الذي أصاب المخوَّفين[٢] بالعذاب إنْ أصروا على تكذيبهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ [القمر: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «أكون».

(٢) في (ر) و(ف): «المجرمين».

(١٧٦) ـ ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: أي: سكانُ الغيضةِ وهم أهل مدين، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[1].

وقال الخليل: الأيكة: غيضةٌ تُنبت السِّدر والأراك وناعمَ الشجر[2].

وقيل: بُعث شعيب صلوات الله عليه إلى قومٍ هم أصحاب بادية وأصحاب قرًى، وأصحاب البادية هم أصحاب الأيكة، وأهل مدين هم أهل القرية.

وقيل: هم أهل مدين هم قومه وعشيرته، ولذلك قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ [الأعراف: ٨٥] في الآية التي ذكر أصحاب مدين، وأهل الأيكة غيرُ قومه وعشيرته، ولذلك لم يقل في هذه الآية: إذ قال لهم أخوهم، بل قال: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾ وقد بُعث إلى كلٍّ واحد منهما على الانفراد أحدهما بعد الآخر.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا ندري ذلك[3].

* * *

(١٧٧ ـ ١٨٣) ـ ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٣٣).

(٢) انظر: «العين» (٥/ ٤٢٣).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٨٢).

أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بيَّن سبحانه أن جميع الأنبياء كانوا على طريق واحدٍ في الدعوة إلى الله تعالى وطاعته ومعاملةِ الخلق.

وقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: أي: أتمُّوا الكيل في قضاء حقوق الناس ولا تَنقصوهم حقوقهم.

قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: قال الحسن: أي: القبَّان[1].

وقيل: أي: الميزان.

وقال أبو عبيدة: أي: العدل والسَّواء[2].

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: أي: لا تنقصوا الناس في معاملتكم في مالهم[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي: لا تبالغوا فيها بالإفساد وهو بالكفر والظلم.

***

(١٨٤ ـ ١٨٧) ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: الخليقةَ الماضينَ، وإذا كان هو خالقَ أنفسكم وأعمالكم كان هو عالماً بكم قادراً عليكم فسيجازيكم على وَفق عملكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٩٠).

(٣) «الناس في معاملتكم في مالهم» من (ف).

وقيل: معناه: إن الذي خلقكم هو الذي خلق الأولين، وقد رأيتم عقوباته للأولين حين عصوا رسله وظلموا عباده، فاتَّقوه فإنه خالقكم وقادرٌ عليكم أيضاً[1].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾: قد فسرناه.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: أي: ما نظنُّك إلا من الكاذبين في دعوى الرسالة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جمع كِسْفةٍ؛ أي: قطعة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: وهذا قد يكون على معنى: أن يفتح لهم باباً من السماء فينظروا إليه كما كانوا يسألون أن يروا الله جهرة، وهو كما قال: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٤ ـ ١٥] وما أشبهه.

ويحتمل أن يكون على معنى الْتِماس العذاب إظهاراً منهم للاستنصار[2] في كذب الرسول؛ كما قال خبراً[3] عن النَّضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]؛ أي: نعلم أنه ليس كذلك.

* * *

(١٨٨ ـ ١٩١) ـ ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) «أيضاً» من (أ).

(٢) في (أ): «للاستبصار».

(٣) في (ف): «كما أخبر».

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي فهو مُجازيكم عليه.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: وهو العذاب الذي أهلكهم الله به من ظلةٍ أقامها[1] فوق رؤوسهم فألهبها عليهم فماتوا من حرِّها ﴿كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقيل: أصابهم الحر حتى أقلقهم وأخرجهم من بيوتهم، ورُفعت إليهم سحابة فانطلقوا إليها، فلما استظلُّوا بها أُرسلت عليهم فلم ينفلت منهم أحد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مر تفسيره.

* * *

(١٩٢ ـ ١٩٣) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أي: إن القرآن منزَلٌ من عند ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقد تقدم ذكره في أول السورة: ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ والسورة كلها في معنًى واحد، فإنه ذكر القرآن وتكذيبَ المشركين الرسولَ عليه السلام فيه، ووصَل به تكذيبَ سائر الأمم رسلَهم، ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهذا مصدر بمعنى المفعول؛ كقولهم: هذا الدرهم ضربُ الأمير؛ أي: مضروبُه.

يقول ـ وهو معنى أول السورة وآخرها على التقدير ـ: وإن هذا القرآن الذي نتلوه على هؤلاء المشركين فيستهزؤون به ويعرضون عنه، هو منزلُ ربِّ العالمين، وما كان منه فحقيقٌ بالإصغاء إليه والتدبُّر فيه، ليس هو مما تقوَّلتَه علينا، ولا مما تنزَّلت به الشياطين، ولا هو شعرٌ، بل نزل به جبريل من عند الله، وهو قوله:

---

(١) في (ر) و(ف): «ظلة أتى بها».

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾: قرأ ابن عامر وحمزةُ والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿نزَّلَ﴾ بالتشديد ﴿الرُّوحَ﴾ بالنصب؛ أي: نزَّل الله جبريلَ مع القرآن.

وقرأ الباقون: ﴿ نَزَلَ ﴾ بالتخفيف ﴿ٱلرُّوحُ﴾ بالرفع على أن الفعل لجبريل(١)، يعني: نزل جبريل ومعه القرآن إذ هو أنزل(٢) القرآن؛ لأن الباء تستعمل للتعدية يقال: ذهب به؛ أي: أذهبه، وتستعمل للقران يقال: دخل بسيفه.

و﴿ٱلرُّوحُ﴾: جبريل، سمي به لِمَا يجري على يديه من الوحي الذي فيه الحياةُ من موت الجهالة، و﴿ٱلْأَمِينُ ﴾ صفتُه؛ لأنه أمين الله على وحيه عَلِم الله أنه لا يغيِّره ولا يبدِّله.

* * *

(١٩٤ ـ ١٩٦) ـ ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾: أي: لقَّنك حتى تلقَّنْتَه وحَفِظْتَه بقلبك، فصار قلبك وعاءً له، فكأنه ينزل على قلبك.

وقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾: أي: لتُنذر الناس به فتكونَ من المرسلين الذين كان الإنذار صفتَهم.

وقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾: أي: بلغةِ العرب، وهو مُبينٌ(٣) ما يراد به لوضوحه، ومبينٌ(٤) للناس ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) في (أ): «أو هو إنزال»، بدل: «إذ هو أنزل».

(٣) في (ر): «يبين».

(٤) في (ر) و(ف): «ويبين».

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: في كتب المرسلين الماضين المنزلةِ من الله عليهم؛ كما قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩]؛ أي: معناه فيها.

ودلت الآية على صحة قول أبي حنيفة رحمه الله: إن القرآن لا يتبدَّل بتبدُّل اللسان، وإن قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة جائزةٌ، فإن الله تعالى جعل ما في الصحف الأولى وفي زبر الأولين قرآناً، وكان ذلك بمعناه لا بنظمه ولفظه بالعربية.

* * *

(١٩٧) ـ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وقراءة العامة: ﴿أَوَلَمْ يَكُن﴾ بياء التذكير ﴿ءَايَةً﴾ نصب على أنه خبرُ كان، واسمُه ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ لأن (أنْ) مع الفعل مصدر، وتقديره: أولم يكن لهم علمُ بني إسرائيل آيةً.

وقرئ: ﴿أولم تكُنْ﴾ بتاء التأنيث ﴿آيةٌ﴾ بالرفع[1] على أنه اسم كان، وعلى هذا ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ يجوز نصباً خبراً لكان، ويجوز رفعاً ترجمةً لقوله: (آيةٌ)[2]، ومعناه: ألَا يكفي أنَّ هذا القرآن مِن عند الله أنْ يشهد بذلك علماءُ بني إسرائيل عبدُ الله بن سلَام وسلمانُ ونحوُهما، وكانوا يرجعون في كثير من الأمور الدينية إلى علماء أهل الكتاب، وكان ذلك لازماً لهم.

وقيل: إن قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ راجع إلى بيان النبي ﷺ في الكتب.

---

(١) قراءة ابن عامر، وباقي السبعة بالياء والنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) قوله: «ترجمة»؛ أي: بدلًا، وعلى هذا الوجه يكون الخبر هو قوله: ﴿لَهُمْ﴾.

(١٩٨ ـ ١٩٩) ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾: أي: القرآن ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ والأعجم: الذي لا يُفصح عربيًّا كان أو غيره.

وقيل: هو الذي يمتنع لسانه من العربية، والعَجَمُ غيرُ العرب نسبةً وولادة، والعجم منسوبٌ إلى العجم وهو من الولادة(١)، والأعجميُّ منسوب إلى أنه من الأعجَمين الذين لا يُفصحون الكلام(٢).

يقول: ولو نزَّلنا القرآن على بعض الأعاجم الذين لا يُفصحون الكلام بلسان العربية وجعلنا القرآن بلسان ذلك الأعجم ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾؛ أي: على العرب ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم لا يعرفونه.

وقيل: معناه: ولو نزلناه على رجلٍ من العَجَم يُحْسِن لسان العرب بالعربية، لكانت العرب لا تؤمن به ولا تتَّبعه لأَنَفتهم من اتِّباع العجم؛ أي: فلم أجعله كذلك، بل جعلتُه من أنفسهم والقرآنَ بلسانهم ليفهموه وليكونوا إليه أسكَنَ وبه أوثَق، ومع ذلك يُعرضون عنه فدل على عنادهم.

* * *

(٢٠٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾: أي: أدخلنا الكفر، وهو مدلول قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) قوله: «والعجم منسوب إلى العجم وهو من الولادة» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «القول»، وليست في (ر).

﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: المشركين الذي علِمنا منهم اختيارَ الكفر والإصرارَ عليه، وهو حجتنا على المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد خيرِها وشرها، وهو كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣]، ونظائرِها.

* * *

(٢٠١ ـ ٢٠٣) ـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: أي: الهلاكَ المستأصِلَ الذي ينزل بهم في الدنيا، ويكون ذلك إيمانَ يأسٍ فلا ينفعهم.

وقيل: هو عذاب يوم القيامة، ويَسألون الرجعة حينئذ ويندمون ولا ينفعهم.

وقيل: هو قيام الساعة، ودليله ما بعده: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة وهو الساعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: ونصب ﴿فَيَقُولُوا﴾ وحُذف النون منه عطفاً على قوله: ﴿حَتَّى يَرَوُا... فَيَأْتِيَهُمْ﴾؛ أي: يسألون الرجعة فلا يُجابون إليها.

* * *

(٢٠٤ ـ ٢٠٧) ـ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: توبيخٌ لهم وإنكارٌ عليهم قولَهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، لن نؤمنَ لك حتى تُسقط علينا كسفاً من السماء[1]، ونحوَ ذلك.

(١) يريد قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ =

ثم بيَّن سفهَهُم في هذا الاستعجال فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾: قيل: هو سِنُو مدة[(١)] الدنيا، وقيل: هي سِنُو مدةِ عمر[(٢)] كلِّ واحدٍ منهم.

﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾: من العذاب ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾.

معناه: إن عمر الإنسان في الدنيا إنما يكون سنين، وإن تفاوتت[(٣)] فإنما هي سنونَ معدودةٌ، فما معنى الفرحِ بذلك وهو ينقضي عن قريبٍ ثم وراءه عذابٌ غير منقضٍ؟

* * *

(٢٠٨ ـ ٢١١) ـ ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: أي: رسلٌ مخوِّفون بعذابنا إنْ لم يؤمنوا.

﴿ذِكْرَىٰ﴾: أي: تذكرةً ووعظاً ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: معذِّبين بغير ذنبٍ، وهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقد شرحنا تلك الآية[(٤)] في موضعها على الوجه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: أي: بالقرآن، كما يقول هؤلاء: إنك كاهن، والكاهن يلقي عليه الشيطان، بل هو تنزيل رب العالمين.

= لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾.

(١) في (ف): «هذه»، وليست في (ر).

(٢) «عمر» ليس من (أ).

(٣) في (ف): «تقادمت».

(٤) في (أ): «الآيات».

قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾: أي: للشياطين أن يتنزَّلوا به؛ أي: لم يجعلهم الله بهذا المحل فإنهم أرجاسٌ، وإنما جعل ذلك للملائكة المطهَّرة[1]، الكرامِ البَرَرة.

﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾: أي: الشياطين.

* * *

(٢١٢ ـ ٢١٣) ـ ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾: أي: إن الشياطين قد[2] عزلوا عن الأمكنة التي كانوا يسمعون فيها من الملائكة أخبارَ السماء برجمهم بالكواكب، قال تعالى خبراً عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [الجن: ٩].

﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾: أي: ينزلُ بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين قصَصْنا خبرهم.

* * *

(٢١٤) ـ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾: أي: ابدأ بإنذار رهطِك الأدنَيْنَ إنْ لم يؤمنوا بك فتَنْحسِم أطماعهم وأطماعُ الأبعدين في تركهم وما هم عليه، وإن هم أجابوك كانوا عُدَّةً لك على غيرهم، فكان أقوى لأمرك وأهيَبَ لأعدائك فامتثِلْ به.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لمَّا نزلت عليه[3] هذه الآية دعا قريشاً فعمَّ وخصَّ

---

(١) في (أ): «الطاهرة».

(٢) في (ر): «قبل»، وليست من (ف).

(٣) «عليه» من (أ).

فقال: «يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب، يا معشر بني عبد مناف، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب» يقول لكل معشر: «أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمةُ بنت محمدٍ أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً»[١].

وفي حديث عروة بن الزبير: «يا صفيةُ عمةَ رسول الله، يا فاطمة بنتَ محمد، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»[٢].

وعن أبي هريرة أيضاً: «يا بني عبد المطلب، ويا بني عبد منافٍ، ويا بني هاشم، افتكُّوا أنفسَكم من النار فإني لا أُغني عنكم شيئاً، يا عائشةُ بنت أبي بكر، ويا حفصةُ بنت عمر، ويا فاطمةُ بنت محمد، ويا صفيةُ عمة محمد، اشترينَ أنفسكن[٣] من النار فإني لا أغني عنكن[٤] شيئاً»[٥].

وقال السُّدِّي: قال: «يا بني هاشم، يا بني المطلب، إني رسول الله إلى الناس عامة وإليكم خاصة»[٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤).

(٢) رواه عن عروة الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٥٥)، ورواه مسلم (٢٠٥) من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «اشروا أنفسكم»، وفي (ف): «اشتروا أنفسكم».

(٤) في (ر) و(ف): «عنكم».

(٥) رواه بنحوه البخاري (٢٧٥٣)، وليس فيه ذكر عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وورد ذلك في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، رواه الآجري في «الشريعة» (٩٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٩٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٦): فيه علي بن زيد الألهاني وهو متروك.

(٦) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٨١) دون عزو.

وقال مقاتل: قال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب: «اتَّخِذْ دعوةً وادْعُ أُناساً» سماهم، ثم دخل عليهم فدعاهم إلى دينه[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية صعد رسول الله ﷺ أبا قُبيسٍ فدعا أحياء العرب فقال: «يا آلَ غالبٍ ويا آلَ مرةَ ويا آل تميمٍ» حتى اجتمعوا فقال: «ما تقولون فيَّ؟» قالوا: أمين صدوق، قال: «لو أخبرتُكم أن بسفحِ هذا الجبل خيلاً أكنتُم مُصَدِّقيَّ؟» قالوا: نعم، قال: «فإني رسول الله إليكم أدعوكم[(٢)] من عبادة الأوثان إلى عبادته»، فقام أبو لهب فقال: ألهذا دعوتنا؟ تبًّا لك! فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[(٣)].

* * *

(٢١٥ ـ ٢١٦) ـ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قال ابن عباس: أَلِنْ جانبَك لهم، وأراد به التواضُع والعطف[(٤)].

وقال محمد بن علي: أي: حسِّن خلقَك.

---

(١) روى نحوه مطولًا الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٦١ ـ ٦٦٣) من حديث علي رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ أمر عليًّا رضي الله عنه أن يتخذ طعامًا ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل ذلك علي، ودخل عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد... الحديث. وله روايات بنحو هذا ذكرها ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٢) في (ر) و(ف): «أمنعكم».

(٣) رواه بنحوه البخاري (٤٧٧٠) و(٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٥٨) بلفظ: (ألِن لهم الموعظة وارفق بهم ولا تغلظ عليهم).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: أي: عشيرتُك؛ أو: المؤمنون[١] ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلم يقل: منكم، بل: إني بريء من أعمالكم لا أرضى بها.

وقيل: أي: ليس عليَّ من أعمالكم تبعةٌ أنتم المؤاخَذون بها.

وقيل: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ منها لا أملك لكم فيها شفاعةً عند الله، ولا دفعاً لِمَا يحلُّ بكم من العقوبة.

* * *

(٢١٧ ـ ٢٢٠) ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: أي: فوِّض أمرك في مُنابذة عشيرتك وغيرِ ذلك إلى الله تعالى، المنيعِ الذي لا يغالَب ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: الذي لا يخذل أولياءه، وثِقْ به.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: أي: وحدك من فراشك أو من مجلسك إلى الصلاة لتلاوة كلامه ومناجاته ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: حين تتقلَّب بين المصلين في الجماعة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: الذي لا تخفى عليه الأصوات ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: الذي لا تَعْزُبُ عنه الطَّويَّات، وهذا تأويل الحسن وجماعةٍ[٢].

وقيل: أي: يراك في تصرفاتك في حالاتك ومجالستك أهلَ الصلوات، لستَ تعاشر[٣] السحَرة والكهَنة والشعراء، فدُمْ على مصاحبة[٤] هؤلاء ومجانبة أولئك.

---

(١) في (ر): «أي عشيرتك أي المؤمنون»، وفي (ف): «أي عشيرتك المشركون».

(٢) انظر ما روي في هذا المعنى عن الحسن وغيره في «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٢٨٢٨ ـ ٢٨٢٩).

(٣) في (ر) و(ف): «ليست بمعاشرة».

(٤) في (ر) و(ف): «معاشرة».

وقال عكرمة: ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴾: في أصلاب الرجال(١).

وعن ابن عباس ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ نبيٍّ بعد نبيٍّ(٢).

وقال القشيري: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: انقطِعْ إلينا، واعتصِمْ بنا، وتوسَّل بنا إلينا، وكن بنا، وإذا قلتَ فقل بنا، وتحقَّق بنا ولنا.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ﴾ تجد العزة فإن العزيز مَن وَثِق بالعزيز ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي يقرِّب مَن تقرَّب إليه، ويُجزِل البرَّ لمن توسَّل به إليه.

وقوله تعالى: ﴿يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ اقتطعه بهذا عن شهود الخلق، فإنه مَن علِم أنه بمشهدٍ من الحق انقطع بالكلِّية(٣) عن شهود الخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ هوَّنَ عليه معاناةَ مشاقِّ العبادات حين أخبر برؤيته له(٤)، ولا مشقَّةَ على مَن يعلم أنه يعمل بمرأى من مولاه.

وقيل: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ من أصحابك، فهم نجومٌ وأنت بدر، وهم بدورٌ وأنت شمسٌ، وهم شموسٌ وأنت للشموس شمس(٥).

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٤)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمّه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٨))، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٤)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «بالكلية» ليست في (ف).

(٤) في (أ): «إياه»، وليست الكلمة في «اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٠ ـ ٢١).

(٢٢١ ـ ٢٢٣) ـ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾: أي: هل أخبركم أيها المشركون ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾؛ أي: كذَّاب ﴿أَثِيمٍ﴾: عاصٍ[1] مرتكبٍ للآثام، وهو الكاهن؛ أي: فكيف تنزل الشياطين بالكتاب على محمد ﷺ وهو يشتم الأفَّاكين الآثمين والشياطين ويذمُّهم ويلعنهم ويلعن مَن اتَّبعهم، والكاهن كان كذَّاباً يخلط[2] الأكاذيب بما يلقي إليه الشيطان، ولدعواه علم الغيب.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: قال الكلبي: يستمعون القول؛ أي: الشياطينُ يلقون أسماعهم للاستماع من الملائكة، ثم يخلطون به كذباً كثيراً فيخبرون به الكهَّان.

وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهَّان.

فعلى الأول: السمع للأذن بمعنى الجمع وعلى الثاني: السمع بمعنى المسموع.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾: يخلط الأكاذيب بذلك.

* * *

(٢٢٤ ـ ٢٢٦) ـ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: فكيف يكون محمدٌ شاعراً، وكيف يكون ما أَتى به شعراً، والشعراءُ أهل هَزْلٍ وكذبٍ، وأتباعُهم غواةٌ، ومحمد ﷺ صاحبُ جِدٍّ وصدق، وأصحابه مهتدون هداة؟

---

(١) في (ف) و(أ): «عصي».

(٢) في (أ): «لخلطه»، وفي (ف): «بخلطه».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ﴾: أي: الشعراءَ ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾: في كل طريق من الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾: يمضون على وجوههم حائرين عن القصد؛ من مدحٍ بكذبٍ، وهجاءٍ بباطلٍ، وإخبارٍ على غير تثبُّت.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: يكذِبون في الوعد والوعيد، والمدحِ والذمِّ، والتفاخُرِ بالقبائل، وهذا في شعراء الجاهلية: عبدِ الله بن الزِّبَعْرَى المخزوميِّ، وهبيرةَ بن أبي وَهْبٍ، ومسافعِ بن عبد منافٍ، وعمرِو بن عبد الله أبي عزَّةَ، وأمية بن أبي الصلت، كانوا يهجون النبيَّ ﷺ ويذمُّون الإسلامَ، ويحرِّضون على الشرك وعبادة الأصنام.

* * *

(٢٢٧) ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

وقال عبد الله بن رواحة: لما نزلت هذه الآية لقد خشيت أن أموت على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية(١)، فاستثنى شعراء أهل(٢) الإسلام، وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وجماعةٌ من الصحابة كانوا ينشدون(٣) الأشعار وغيرَ ذلك.

﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: في الشعر وغير الشعر ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾؛ أي: أجابوا شعراء الجاهلية الذين هجَوهم بشعرٍ قالوه في هجائهم، فهؤلاء مستثنَون من

---

(١) رواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣٤).

(٢) «أهل» ليست في (ر).

(٣) في (أ): «ينشئون».

أولئك الشعراء، فإن أولئك هائمون في كلِّ وادٍ، ذامُّون للدِّين الحق وللرسول عليه السلام وللمؤمنين، وهؤلاء ليسوا بهائمين بل يذمُّون الدِّين الباطلَ والمشركين.

وقال أبو منصور رحمه الله: ذكر أن شاعرين كافرين قالا في النبيِّ ﷺ وفي الإسلام أشعاراً، واتَّبعهما غواةٌ من قومهما في ذلك، فاستأذن شعراءُ المسلمين[١] رسولَ الله ﷺ في جوابهما، فأذن لهم، قالوا: فنزلت الآية فيهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يجوز أن يكون مستثنًى من الشعراء؛ أي: هؤلاء ليسوا بمذمومين، ويحتمل أن يكون مستثنًى من قوله: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ أي: المؤمنون لا يتَّبعون شعراء الجاهلية.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: من الشعراء وغيرهم ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾؛ أي: في الآخرة[٣] في منقلب الظلمة وهي النار؛ أي: يعلمون علم العِيان إذ تركوا النظر في الدنيا فلم يعلموا علم الاستدلال، أو علموا علم الاستدلال في الدنيا وعاندوا، فيعلمون علم العيان في الآخرة، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «شعراء الإسلام والمسلمين».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٩٢). والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن فيه أنهما تهاجيا فيما بينهما، لا أنهما قالا ذلك الشعر في هجاء الإسلام، كما أنه ليس فيه أنهما كانا كافرين، وأن شعراء المسلمين استأذنوا في هجائهما. ومع هذا فإسناده ضعيف.

(٣) «أي في الآخرة» من (أ).

سُورَةُ النَّمْلِ

سُورَةُ النَّمۡلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الهادي بآيات القرآن وإنزالها، الرحمنِ الذي يجيب المضطرَّ إذا دعاه في الشدائد وأهوالها، الرحيمِ الذي يجعل لمن جاء بالحسنة عشرَ أمثالها.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ طس سليمان[1] كان له من الأجرِ عشرُ حسنات عددَ مَن كذَّب بموسى وصدَّق به، وسليمان وصالحٍ ولوطٍ، ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله»[2].

وسورة النمل مكية، وهي ثلاثٌ وتسعون آيةً، وقيل: أربعٌ، وقيل: خمسٌ، والاختلافُ في آيتين: ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ و﴿مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾.

وكلماتها ألفٌ ومئة[3] واثنتان وخمسون، وحروفها أربعة آلاف وستُّ مئة وخمسة وتسعون[4].

---

(١) في (ف): «النمل».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩٢)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) في (ر) و(ف): «ومئتان». وانظر التعليق الآتي.

(٤) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٩) وفيه: وكلمها ألف ومئة وتسع وأربعون كلمة وحروفها أربعة آلاف وسبع مئة وتسعون حرفاً.

وانتظام أول هذه السورة بآخر السورة التي قبلها: أنهما جميعاً في بيان أن القرآن منزل من عند الله معجزةً لرسول الله هادياً الخلق إلى الله.

وانتظام السورتين: أنهما جميعاً في بيان وحدانية الله تعالى، وإبطالِ الشرك بالله، وذكرِ قصص الدعاة إلى الله.

***

(١) ـ ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿طسٓ﴾ مرت الأقاويل فيه.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: أي: هذه آياتُ القرآن ﴿وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ وهو القرآن، وإنما جمع بينهما لاجتماع الوصفين له، فإنه يُقرأ ويُكتب، والواو ليست للمغايرة بل للدلالة على الوصفين.

وقيل: هو للمدح[١] كما في قوله: ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا﴾ [آل عمران: ٣٩]، وإنما عرَّف الأول ونكَّر الثاني؛ لأن الأول كاسم العلم له، والثاني كالصفة له، ويجوز في صفة العلم التعريف والتنكير: زيد رجل عاقل، وزيد الرجل العاقل.

وقال في سورة الحجر: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ١] فعرَّف الكتاب ونكَّر القرآن، وهاهنا على قلبه[٢]؛ لأن كل واحد من الاسمين جُعل اسماً له[٣] مطلقاً وفيه معنى الصفة، وأيُّهما جعل اسماً والآخرُ صفةً صح هذا.

***

(١) «وقيل: هو للمدح» ليس في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «ثلاثة»، ولعلها محرفة عن: «خلافه».

(٣) «له» من (أ).

(٢ ـ ٣) ـ ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾: قال الفرَّاء: يجوز أن يكون نصباً على القطع، ورفعاً على الاستئناف[1] على تقدير: هو هدًى وبشرى.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: خصَّهم بإضافة الهدى والبشرى إليهم؛ لحصول نفع ذلك لهم على ما مر شرحه في أول سورة البقرة.

وإذا أيقنوا بالآخرة كانوا مشفقين من التقصير؛ كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وكذلك إذا أيقنوا بالجزاء كانوا أنشطَ في الطاعة وأحرصَ عليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾: ذكر الذين لا يؤمنون بالآخرة بعدما ذكر المؤمنين بها، وذكر صفتهم فقال: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: الأعمالَ التي يعملونها بما ركَّبنا فيهم من الشهوات والأماني حتى رأوا ذلك حسناً؛ كما قال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وهو كالختم والطبع، وفيه إثبات خلقِ الله تعالى أفعالَ العباد.

وفي قوله في أول الآية: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وفي آخرها: ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ إثبات الأفعال، وثبت بذلك صحة مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٦).

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي: يترددون في الضلالة متحيِّرين.

* * *

(٥) ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: بما كان منهم من سوء الأعمال، و﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾: اشتداده وامتداده، وقيل: هو قتلُهم يومَ بدر.

قوله: ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾: تكرار كلمة ﴿هُمُ﴾ للتحقيق والتأكيد، وكذلك في الآية الأولى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

و﴿الْأَخْسَرُونَ﴾؛ أي: الخاسرون؛ كما في قوله: الله أكبر، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أنه بمعنى الكبير والهين.

وقيل: هو على حقيقته للتفضيل، ومعناه: هم الأخسرون من الخاسرين في الدنيا؛ أي: الأعظمون هلاكاً والأبينون[١] خسراناً؛ لأنهم خسروا الجنة ومجاورةَ الأنبياء والأولياء واكتسبوا سوء العذاب ومجاورةَ الشياطين والكفار، فمَن أظهر غبناً منهم؟

وقيل: قد يكون في النار خاسرين وهذه الطبقة أخسرُهم.

وقال القشيري: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾: أغشيناهم فهم لا يبصرون، وعمَّيناهم عن سواء السبيل فهم عنه يعدلون، أولئك الذين في ضلالتهم يعمهون، وهم في حيرتهم يتردَّدون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو أن يجد الآلام ولا يعرفَ المبتلي فيتسلَّى بمعرفته ويخفَّ عنه البلاء بمشاهدته، وهو للكفار كذلك، وأما المؤمنون فيخفِّف

---

(١) في (ر): «والأثبتون»، وفي (ف): «والأسؤون».

عنهم العذابَ في الآخرة حُسنُ رجائهم بالله، ثم تضرُّعهم إلى الله، ثم فضلُ الله معهم بالتخفيف، ثم تغييبُه إياهم عن الإحساس به حالةَ التعذيب(١).

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي: لتُلقَّنُه وتُعلَّمُه(٢) ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: من عند الله الذي هو مصيب في أفعاله وأقواله ﴿عَلِيمٍ﴾ بكلِّ شيء وأحواله.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: أي: واذكر إذ قال موسى ﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾: لزوجته وولده ومَن كان معه في سفره إذ خرج من مدينَ يقصد الشام:

﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أي: أبصرتُ؛ أي: امكثوا هاهنا وأنا أذهب إليها.

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: أي: بدلالةٍ على الطريق؛ كما قال: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، وكان ضلَّ الطريق مع وجود البرد.

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿بِشِهَابٍ﴾ منوَّناً غيرَ مضاف(٣)، والشهاب: الشُّعلة، والقبس: ما اقتُبس من نارٍ كثيرةٍ على طرفِ خشبة، والتنوين على أن الثانيَ بدل وترجمةٌ عن الأول، وتركُ التنوين على الإضافة، وهو قد يكون إضافةَ الشيء إلى نفسه، كـ ﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، و﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]،

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٤).

(٢) في (ر) و(ف): «تلقنه وتعلم».

(٣) وقرأ باقي السبعة بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

وقد يكون على أن الشهاب اللهبُ، والقبسَ: النار التي في الخشب، فكان إضافةَ الشيء إلى غيره.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: أي: تستدفئون[1] بالنار من البرد الذي أصابكم.

***

(٨) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾: أي: النارَ ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء والكسائي: تقول العرب: باركك الله، وبارك فيك، وبارك لك، وبارك عليك[2]، قال الشاعر:

فبُورِكْتَ مولوداً وبُوركْتَ ناشئاً ... وبُوركْتَ عند الشيبِ إذ أنتَ أَشْيبُ[3]

و﴿نُودِيَ﴾؛ أي: جاءه النِّدَاء، وهو الكلام المسموع، والمنادي هو الله تعالى كما قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢].

﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ أي: نودي بهذا الكلام: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾: الملائكةُ الذين أحضرهم الله تعالى ذلك المكان إكراماً لموسى عليه السلام، كالملِك منا إذا أراد إكرام رجل من أوليائه أو إرسالَه في وجهٍ جليلِ الخطر أشهَدَ ذلك الموضعَ خواصَّه وعظماء[4] حشَمه.

---

(١) في (ر): «تستنفعون تتدفؤون»، وليست في (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٦)، وليس فيه: (وبارك لك)، وذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٣٦) عن الكسائي: (باركك الله وبارك فيك)، وذكرها كلها دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٠).

(٣) البيت للكميت، وهو في «ديوانه» (٢/ ١٨٧) طبعة عالم الكتب، وذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٠)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٦٤).

(٤) في (ر): «وعظام».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: الملائكة أيضاً، بارك الله عليهم؛ أي: تابع لهم الخيرات ليَعلم موسى أنه هُيِّئ[١] في ذلك المقام لأمر عظيم أحضره المقرَّبين من الملائكة، وكأنه قال: بركاتُ الله على مَن في النار ومَن حولها، على وجه الدعاء، وحقيقتُه راجعةٌ إلى الإخبار من الله تعالى بفعلِ البركات بهم، ولم يكن للنار تأثير فيهم[٢] كما في خزَنة جهنم، على أن هذه النار لم يكن لها إحراقٌ ولذلك تضرَّمت في الشجرة الخضراء.

وقيل: دخل موسى في هذه البركة معهم أيضاً؛ لأنه[٣] كان مع مَن حولها.

وقيل: يجوز أن يكون أراد بـ ﴿مَن فِي النَّارِ﴾: مَن دنا منها وإن لم يكن فيها؛ كما يقال: ورَدْنا البلد، و: صرنا في البلد؛ أي: قربنا منها[٤]، وهم الملائكة أيضاً الذين بقربها وحولها.

وقيل: ﴿مَن فِي النَّارِ﴾؛ أي: مَن في طلَب النار وهو موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: الملائكة.

وقيل: يجوز أن تكون (مَنْ) في معنى (ما) كما في قوله تعالى: ﴿مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [النور: ٤٥]، ومعناه: بورك ما في النار وما حولها من أمر الله؛ أي: ما دل الله بهذه النار عليه من [أن][٥] الأمر الذي جعله علَماً لموسى على نبوته أمرٌ مبارك؛ لأن

---

(١) في (ر) و(ف): «تهيأ».

(٢) في (ر) و(ف): «ولم يكن للتأثير فيهم».

(٣) في (ر) و(ف): «إلا أنه».

(٤) في (أ): «قريباً منه».

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

فيه نجاةً من الجهل وهدًى من الضلالة، وتخليصاً للعباد المستضعفين[١]، وغيره من جلائل الأمور.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: واللهُ منزَّهٌ عن أن يكون له شريك أو يوصفَ بما لا يليق به.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾: أي: المنيع فلا أغالَبُ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقوالي وأفعالي، فلحكمتي اخترتُك لرسالتي، و﴿إِنَّهُۥٓ﴾ الهاءُ للعماد كما في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: أي: اطرح[٢] العصا التي بيدك.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: أي: فألقاها فرآها تتحرك ﴿كأنها جان﴾؛ أي: حية ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾؛ أي: هرب خوفاً من وثوب الحية عليه ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أي: لم يرجع ولم يحوِّل عَقِبه متوجِّهاً إلى عصاه.

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾: أي: قلنا له: يا موسى لا تخف ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: عندي، ومعناه: في[٣] حال خطابي إياهم، و﴿لَا تَخَفْ﴾؛ أي: لا يخاف ما دوني.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «المستصفين».

(٢) في (ر) و(ف): «أخرج».

(٣) «ومعناه في» ليس في (أ).

(١١) ـ ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: أي: لكنْ مَن زلَّ من المرسلين فجاء منه غيرُ ما أَذنتُ[١] له به ﴿ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾؛ أي: أَتبعَ توبةً وندماً[٢] ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾؛ أي: زلةٍ ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل توبته، وأغفر زلَّته، وأرحمه فأحقِّق أمنيته. و﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن) على هذا التأويل.

ووجهٌ آخر: ﴿لَا يَخَافُ﴾ عند خطابي أحدٌ من رسلي ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: زلَّ زلةً فإنه يخاف، ثم هاهنا مضمر: ومَن ظلَم ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾؛ أي: تاب بعد زلة ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ووجهٌ آخرُ: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ منهم، وتم هذا الكلام، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾؛ أي: ثم إنْ ﴿بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ له، فالمضمر فيه كلمة (إنْ).

وقيل: معناه: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ بل غيرُهم الخائف ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ فإنه مع إبداله الحسنَ بعد السوء يخافني، وأنا غفور رحيم أُؤمنُه من خوفه وأرحمه وأغفر له.

قالوا: وهذه إشارة إلى أن موسى إنما خاف في الموضع الذي لا يخاف سائر الأنبياء؛ لِمَا سبق منه من قتل القِبطي وإن كان من غيرِ قصدٍ؛ كما قال: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] إلى قوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص: ١٦].

قالوا: ولما خاف موسى زلةً واحدة لم يقصدها، وأحسنَ العذر عنها، وعفا الله

---

(١) في (ر): «أذن».

(٢) «وندماً» ليست في (أ).

عنه ذلك، حضره ذلك بعد سنين كثيرةٍ حتى خاف في الحال التي لا يخاف فيها سائر الرسل، فما حال مَن عصى الله تعالى معاصيَ كثيرةً عمداً في طول عمره، كيف لا يخاف عند الموت؟ وهو الحالة(١) يَخاف فيها كل الخلائق.

* * *

(١٢) - ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: أي: في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؛ أي: آفَةٍ من برصٍ وغيره.

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾؛ أي: هما معجزتان: عصاك ويداك في جملةِ تسعِ معجزات أُوتِيْتَها(٢)، وقد عدَّدْناها في آخر سورة بني إسرائيل.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾: أي: مبعوثٍ بهن أنت إلى فرعون وأشرافِ قومه، حُذف ذلك لدلالة الكلام عليه؛ كما قال الشاعر:

رأتْني بحَبْلَيها فصَدَّتْ مَخافةً ... وفي الحبل روعاءُ الفؤادِ فَرُوقُ(٣)

أي: رأتني مقبلاً بحبليها.

---

(١) في (ر): «وهذه حالة»، وفي (ف): «وهذا بحالة».

(٢) في (ف): «أوتيكها».

(٣) البيت لحميد بن ثور كما في «الغريبين» للهروي (١/ ٢٤٠)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٠) و(٢/ ٢٨٨)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٣٨)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٨٤) و(١٨/ ٢١)، و«أساس البلاغة» (مادة: روع). يقول الشاعر في وصف ناقته: رأتني مقبلاً ـ أو: أقبلتُ ـ بحبليها، فترك ذكر (مقبلاً) استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك، إذ قال: (رأتني بحبليها). ويقال: ناقة روعاء الفؤاد؛ أي: حَديدته ذكيَّته. وفَروق: خائفة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: أي: هم متقادِمو الفسق، وهو الخروج عن طاعة الله.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾: أي: المعجزاتُ التي آتيناها موسى ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي: واضحةً بينة، و[1] ﴿مُبْصِرَةً﴾: ذاتَ إبصارٍ؛ أي: فيها إبصارٌ لمن نظر إليها.

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: قالوا لمعجزته: هذا تخييلٌ لا حقيقةَ له، ظاهرٌ لمن تأمَّله.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾: أي: أنكروها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾؛ أي: وقد تيقَّنت بصحتها قلوبُهم ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم ولآيات الله بوضعها غيرَ موضعها ﴿وَعُلُوًّا﴾: تكبُّراً من اتِّباع موسى، وترؤُّساً على الناس.

قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: أي: فانظر يا محمدُ نظرَ اعتبارٍ بالقلب كيف كان ختمُ أمرهم في الدنيا الهلاك، ثم لهم في الآخرة أشدُّ العذاب وذلك حال قومك.

***

(١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾: أَتْبَع قصة موسى قصةَ داود وسليمان، وفي الأولى: البلاء والصبر، وفي الثانية: العطاء والشكر؛ تنبيهاً لمحمدٍ

---

(١) كذا وقعت في النسخ بالواو، ولعل الصواب: (أو).

ﷺ على فضلهما، ودعاءً له إليهما، واقتداءً منه بهما؛ قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾؛ أي: أعطينا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾؛ أي: بالدِّين والحُكم وغيرِ ذلك، قال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١]، وقال في سليمان: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ١٦]، وقال في حقهما جميعاً: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بما آتانا.

ودلت الآية على خلق أفعال العباد، وعلى فساد القول بالأصلح، فإن الحمد لا يجب على أداء ما عليه، فدل على أنه كان متفضِّلاً بما أعطاهما فاعلاً ما ليس عليه.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾: ملكَه وعلمه ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾؛ أي: تفضل الله عليَّ بزيادةٍ على ما ورَّثنيه[1] من أبي من النبوة والملك والعلم، بأنْ علَّمني منطق الطير؛ أي: فهَّمني[2] ما يقول الطير.

قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: أعطانا الله الكثير من خيرات الدنيا[3]

---

(١) في (ر): «ورثته».

(٢) في (ر): «وألهمني» بدل: «أي فهمني».

(٣) في (ف): «من جراب الأرض».

ونعمها، وهو للتكثير لا للاستيعاب؛ كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ سألناه أن يؤتينا، [أو]: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يؤتاه الأنبياء والملوك مما يحتاجون إليه[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾: مبينٌ عن نفسه ولا يخفى على مَن شاهده جلالةُ قَدْرِه.

* * *

(١٧) - ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أي: جُمع وسِيق في مسير سليمان[2] ما سخِّر له من جنود الإنس والجن والطير، فهو يسير فيهم كما يسير الملِك في عسكره.

قال محمد بن كعب القرظي: كان عسكرُه مئةَ فرسخ؛ خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش.

قوله ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أي: فعليهم وَزَعةٌ يَحبسون أولهم على آخرهم إذا تفرَّقوا حتى يجتمعوا في مسيرهم، وذلك أحسنُ في الهيئة[3]، وأهيَبُ في الرؤية.

وقال أبو عوسجةَ: ﴿يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يساقون[4].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٠٤).

(٢) في (ر): «في مسيره لسليمان».

(٣) في (ف): «الهيبة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٠٤).

وقال القُتبي: ﴿يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُدفعون[١].

والوَزْع: الكفُّ والمنع، والوَزَعة: جمع وازعٍ، وهو الذي يكفُّ الجيش من التفرُّق والانتشار، ويكفُّ العامة عن التظالُم والإفساد، وفي الخبر[٢]: ما يَزَعُ السلطانُ أكثرُ مما يَزَع القرآن[٣].

***

(١٨) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾: أي: على وادٍ فيه نملٌ كثير، وهو كما يقال: هذا بلدُ الإبل؛ أي: الإبلُ فيه كثيرةٌ، وكذا: هذا بلدُ النمل، وكان النمل يكون في غير ذلك الوادي أيضاً، لكن كانت به كثيرةً.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: أي: سمع سليمان نملةً تقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾؛ أي لا يَدُقَّنكم ﴿سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ أي: خيلُ سليمانَ وجنودِه بأرجلها ولا يكسرنَّكم بذلك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون بمكانكم، قالت النملة ذلك على وجه العذر، ووصفت سليمان وجنوده بالعدل.

أو[٤] قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قول الله تعالى، ومعناه: سمع سليمان وعلم

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٢٣).

(٢) في (أ) و(ر): «وقال النبي ﷺ» بدل: «وفي الخبر».

(٣) رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (١٧٠٤) من قول عثمان رضي الله عنه. والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٠٧) من قول عمر رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «و».

ذلك وجنوده لا يشعرون بذلك، وهو قول ابن عباس[(١)].

وقيل: والنمل لا يشعرون أن الجنود تمر في الهواء أم تنزل إلى الأرض فتدقهم.

وجمع ﴿ٱدۡخُلُوا۟﴾ بالواو، و﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ بالميم وكذلك ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ وهو خطاب العقلاء وكنايتهم؛ لأنها وصفتهم بصفات العقلاء.

* * *

(١٩) - ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوۡلِهَا﴾: تعجُّباً منها وسروراً بما أعطاه الله من فهم كلامها ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾؛ أي: أَلهِمْني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ من النبوة والعلم والمُلك وغير ذلك ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ والإنعامُ على الوالدين إنعامٌ على الولد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ﴾ في بقية عمري ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: وأدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين، وهم الأنبياء ومن تبعهم من أهل الجنة، وذلك برحمة الله، وهو دعاءٌ بحُسن العاقبة كدعاء يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال مقاتل: نَسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبرٌ من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثةُ آلاف كرسي من ذهب وفضة، تقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس، وحول الناس الجنُّ والشياطين، وتُظلُّه الطير

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٦/ ١٦٨).

بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرةَ شهر من الصباح إلى الرَّواح ومن الرَّواح إلى الصباح(١).

قال ابن عباس: كانت النمل إذ ذاك كالذئاب والكلاب(٢).

وقال مجاهد: كانت نملاً ذواتِ أجنحةٍ(٣).

وفي نسخة(٤) الشيخ أبي القاسم بن حبيب عن وهب قال: قرأتُ في بعض الكتب أن سليمان ركب ذات يوم مركبَ الريح، فلما قرُب من وادي النمل سمع قولَ النمل، وكان يسمع قولها من ثلاثة أيام أو(٥) أميال فأمر الريح حتى وقفت فقال للنملة: ما قولك: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ وكيف أحطمنكم وأنا على الهواء؟ فقالت: إني لم أُرِدْ حَطْم الأرجل، إنما أردتُ حتى لا ينظروا إلى ملكك فيتمنَّوه، فيكون ذلك حطماً لقلوبهم(٦).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٦).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨)، عن نوف البكالي قال: (كان نمل سليمان بن داود مثل الذئاب)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٨٨) عن نوف وشقيق بن سلمة، وعن بريدة الأسلمي: أنها كانت كهيئة النعاج، ثم تعقب ذلك بقوله: ولو كانت كالذئاب والنعاج ما حُطِمت بالوطء ولا خافت ذلك. وقال ابن كثير بعد أن ذكر قول نوف البكالي: هكذا رأيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت: (الذياب) وإنما هو بالباء الموحدة، وذلك تصحيف، والله أعلم.

(٣) لم أجده عن مجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٧) عن الشعبي، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٨٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٣).

(٤) في (أ): «تفسير».

(٥) «أيام أو» من (ف).

(٦) انظر التعليق الآتي.

وفي رواية: خفتُ أن يشتغلوا بالنظر إلى ذلك فيغفلوا عن تسبيح الرب[١].

ثم قالت: يا سليمان ما سألتَ ربك؟ قال: سألتُه ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]، قالت: فما أعطاك؟ قال: أعطاني خاتماً جعل ملكي فيه، قالت: إنه يقول: لا تفتخر به فإنه حجر، قالت: وما أعطاك أيضاً؟ قال: أعطاني مركب الريح[٢]، قال: ركبتُ مركباً غدوُّها شهرٌ ورواحُها شهر، قالت: فأين أنت من مركب يوصلُك في ساعة إلى العرش؟ ثم قالت: إن جندي أطوعُ لي من جندِك لك، قال: ولم؟! قالت: لأنهم يريدون منك الرزق ويَعصون ربهم، وجندي مطيعون لله ولا يسألون مني الرزق.

ثم قالت: يا نبي الله أتدري لم صار اسم أبيك داودَ واسمُك سليمان؟ قال: لا، قالت: لأن أباك داوى جرحه فوُدَّ، وأنت سُليمُ آن لك أن تلحق بأبيك، فعند ذلك تبسَّم سليمان ضاحكاً من قولها[٣].

وفي رواية: قالت له: كما سخِّرتْ لك الريح فزوالها من يدك كزوال الريح.

وعن أبي الصدِّيق الناجي[٤] قال: ركب سليمان يوماً فعدل عن الطريق وأخذ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٧ ـ ١٩٨) قال: ورأيت في بعض الكتب أنّ سليمان لمّا سمع قول النملة قال: ائتوني بها، فأتوه بها فقال لها: لم حذّرت النمل ظلمي؟ أما علمت أنّي نبي عدل؟ فلم قلت: لا يَحْطِمَنّكم سليمان وجنوده؟ فقالت النملة: أما سمعت قولي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟ مع أنّي لم أرد حطم النفوس وإنّما أردت حطم القلوب، خشيت أن يتمنَّيْنَ ما أُعطيت ويشتغلن بالنظر عن التسبيح.

(٢) في (ر) و(ف): «قالت وما أعطاك أيضاً في مركب الريح».

(٣) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨)، وحقي في «روح البيان» (٦/ ٣٢٥)، ولفظ الثاني: (لأن أباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات الى غير الله فودّ، وأنت سُلَيم ـ تصغير سليم ـ آن لك ـ أي: حان لك ـ أن تلحق بأبيك).

(٤) في (ف): «وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه».

في غيره، فقيل له في ذلك، فقال: جاءت خُطَّافةٌ فقالت: إني قد[١] أخرجت فراخي أعلِّمها الطيران، وإن أخذت على طريقك حطَمْتَهنَّ، فعدلْتُ عنه لأجلهنَّ.

وحكي أن الناس قُحِطوا على عهد سليمان، فجمع سليمان الناس فخرج بهم للاستسقاء، فلما رجعوا مروا على نملة رافعةٍ يديها تدعو الله وتقول: اللهم لا تحبِسْ عنا رزقَنا بخطايا بني آدم، فأوحى الله تعالى إلى سليمان: إني قد استجبتُ لهذه النملة، فأُمطِرَ الناس، فقالوا: هذه بدعوة نبي الله سليمان، فقال لهم سليمان: إنها ليست بدعوة سليمان، ولكن الله قد استجاب للنملة.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: أي: تعرَّف الطير فلم يجد فيها الهدهد، وكان هذا في مسير سليمان، وظاهرُ نظم هذه الآيات يدل على أنه كان في مسيره إلى وادي النمل.

وقال الخليل: التفقُّد: طلب ما غاب[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان سليمان يوضع له ستُّ مئة ألف كرسي، ثم يجيء أشراف الناس حتى يجلسوا مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن حتى يجلسوا مما يلي الإنس، ثم يدعو الطير فتُظلُّهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، ثم يسير في الغداة الواحدة مسيرةَ شهر، فبينما هو كذلك في مسيره إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاةٍ من الأرض، فيدعو الهدهد فينقر الأرض فيدلهم على موضع الماء، فتجيء الشياطين

---

(١) «قد» من (ف).

(٢) انظر: «العين» (٥/ ١٢١).

إلى ذلك المكان، فيسلخونه كما يُسلخ الإهاب فيخرجون منه الماء.

فقال له نافع بن الأزرق: قِفْ يا وقَّاف، أرأيت قولك: ثم يجيء الهدهد فينقر الأرض فيصيب موضع الماء، كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخَّ يجيء إليه حتى يقع في عنقه؟! فقال ابن عباس: ويحك إن القدَر حال دون البصر(١).

وقيل: كان يَرى الماءَ في الأرض كما يُرى الماءُ في الزجاج.

وقيل: بل كان يَعْرض جنوده من الطير وغيرها، فتفقَّد الغائبَ منهم والحاضرَ(٢)، وإنه كان يأتيه من كلِّ صنفٍ واحدٌ نُوباً، فلم ير الهدهد(٣).

وقيل: كانت الطير تظلُّه حتى تستُرَه عن الشمس بتقارب أجسامها وأجنحتها، فيقال: إن الشمس سقطت عليه من مكان الهدهد، فنظر إلى الطير فوقه فلم يره وقال ما قال.

وقيل: كان يسلِّم غداءَ كلِّ واحد منهم بنفسه، فنظر إليه فطلبه ليسلِّم إليه غداءه فلم يجده.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾: بدأ أولاً بنفسه ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ قال الكسائي والأخفش: أي: بل كان.

وقيل: هاهنا مضمر فيه ألف الاستفهام ثم عطف عليه ﴿أَمْ﴾، وذلك: أحاد بصري عنه بسببٍ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾.

ولقوله ﴿كَانَ﴾ وجوه:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٠).

(٢) في (ف): «الغائب منها من الحاضر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣١) عن وهب.

أحدها: أنها زائدة، وتقديره: أم هو من الغائبين، كقوله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

والثاني: أم صار، كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

والثالث: أم كان قبل هذه الساعة غائباً فلغيبته لم أره الساعة.

* * *

(٢١) - ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قيل: أي: لأنتفنَّ ريشه ولأطرحنَّه في الشمس، وهو قول ابن عباس ومقاتل بن سليمان[1].

وقال مقاتل بن حيان: لأَطْلِيَنَّه بالقَطِران ولأشمِّسنَّه[2].

وقيل: لأمنعنَّه من خِدمتي.

وقيل: لأفرِّقن بينه وبين إلفه.

وقيل لأغيِّبنَّه عن وطنه.

وقيل: أي: لأضُمَّنه إلى خلافِ جنسه.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾، ثم جعل لنفسه مخرجاً مما توعَّده به فقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: بحجةٍ ظاهرة له فيها عذرٌ ظاهر في غيبته.

وقيل: إنَّ جبريل عليه السلام قال له وبقي شيء لم يقله: أو لأعفون عنه، وهو

---

(١) رواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣)، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٠٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨).

الأليقُ بالكرم[1] والأقرب إلى التقوى، هذا في حق طيرٍ غاب عن خدمة سليمان ساعةً فكيف بالعصاة الهِرَاب من الباب.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾: أي: لبث الهدهد زماناً قليلاً.

وقيل: لبث سليمان وجاء الهدهد ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: أي: علمت ما لم تعلم، وقيل: رأيتُ ما لم ترَ.

وقيل: أدركتُ ما لم تدركْ.

وقيل: أي: شهدتُ ما لم تشهدْ.

ثم فسره فقال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾: وهي قرية بلقيس ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾؛ أي: بخبرٍ متيقَّن، والباء للتعدية، و(سبأ) ينوَّن ويكون مذكَّراً لأنه اسم رجل وهو أصل القبيلة أو اسم المكان، ولا ينوَّن ويكون مؤنَّثاً ويكون اسماً للقبيلة أو للقرية[2].

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: أي: تملك أهلَ سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما تحتاج إليه الملوك: من الرجال والأموال والآلات وصنوف النِّعم.

---

(١) في (ر): «بالكرام».

(٢) في (ر) و(ف): «للعرب».

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: أي: سريرٌ عظيم تجلس عليه كما تجلس الملوك على الأسرَّة تعظُّماً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عرشها ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، طولُه في الهواء ثلاثون ذراعاً(١)، معمول من ذهب قوائمه من لؤلؤ وجوهر(٢).

وقال مقاتل: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً، وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً، مكلَّل بالجواهر والدرِّ واليواقيت(٣).

وعن وهبٍ شرحُه على ما يتبيَّن من بعدُ إن شاء الله تعالى.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿مِن سَبَأَ﴾ غير مصروف(٤)، والباقون مصروفاً.

وقال الزجَّاج: (سبأ) مدينة تُعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فإذا صُرف فعلى البلد، وإذا لم يُصرف فعلى المدينة(٥).

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾: أي: يعبدونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) في (ر) و(ف): «ثمانون ذراعاً»، والمثبت من (أ)، وكذا ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠٣).

(٢) روى هذه القطعة عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٠١).

(٤) وهي رواية البزي عن ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٤).

﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: حبَّب إليهم كفرهم ومعاصيهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾؛ أي: فعدل[1] بهم عن الطريقة المستقيمة، وهي التوحيد وإخلاص العبادة لله.

وأطلق ﴿السَّبِيلِ﴾ لأن السبيل الذي لا يجوز سلوكها ممنوعٌ منه فكأنه ليس بسبيل.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾: لذلك لسبيل الرشد.

* * *

(٢٥) ـ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويسٌ عن يعقوب بالتخفيف[2]، ومعناه: (أَلَا) كلمة تنبيهٍ، و﴿يَسْجُدُوا﴾ بمعنى: يا اسجدوا، (يا) نداء والمنادى مضمر؛ أي: يا هؤلاء اسجدوا لله، قال ذو الرُّمَّة:

أَلَا يا اسْلَمي يا دارَ مَيَّ على البِلَى ولا زالَ مُنْهَلًّا بجَرْعائكِ القَطْرُ[3]

وقرأ الباقون بالتشديد، وله وجوه:

أحدها: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أَلَّا يسجدوا.

والثاني: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أعمالهم لئلا يسجدوا.

والثالث: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ لئلا يسجدوا.

---

(١) في (ر): «فضل»، وفي (ف): «قعد».

(٢) ويقف هؤلاء على (يا)، ويبتدئون: (اسجدوا) على الأمر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧ ـ ١٦٨)، و«النشر» (٢/ ٣٣٧).

(٣) انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ٥٥٩).

والرابع: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أن لا يسجدوا، ومعناه: أن يسجدوا، و(لا) زائدة، كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أن تسجد.

والخامس: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لقُبْحِ أن لا يسجدوا لله، كما قالوا في قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي: كراهة أن تضلوا على الإضمار.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: ينزل المخبوء؛ أي: المستور المكنون الذي في السماوات والأرض، مصدر بمعنى المفعول.

وخَبْءُ السماوات: المطر والريح، وخَبْءُ الأرض: الشجر والنبات.

وقيل: يدخل في ذلك معادن الأرض.

وحقيقته: يُنزل من السماء الغيثَ ويُخرج من الأرض النبات بعد أن كانا مستورين غيرَ ظاهرين؛ أي: خلق ذلك وأوجده بعد أن كان معدوماً إقامةً لأسباب معاش العباد وعمارةِ البلاد.

قوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: قرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص بتاء الخطاب بناء على قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾، والباقون بياء الغائبة[١]؛ بناء على أن الياء في: ﴿يَسْجُدُوا﴾ للمغايبة.

* * *

(٢٦) ـ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩﴾.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: فهو المستحِقُّ للعبادة دون الشمس.

قال ابن زيد: إلى هاهنا كلام الهدهد[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠ ـ ٤٨١)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٤).

وقيل: من قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ كلامُ سليمان بعد تمام كلام الهدهد.

وقيل: هو خطاب الله للمشركين بعد تمام[1] كلام الهدهد[2]، وهو كلام معترِض.

***

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

ثم اتصل به قوله: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: قال سليمان للهدهد سنعرف حقيقة ما أخبرتَ به عن سبأ وملكها وأهلها، هل أخبرتَ بالصدق فتُعذرَ في غيبتك، أو أخبرت بالكذب فتؤدَّبَ على فعلتك؟ وذلك قوله تعالى:

﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: و﴿كُنتَ﴾ بمعنى أنت.

وقيل: معنى ذلك: أم كذبتَ، على الماضي.

قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا﴾: أي: فكتب سليمان كتاباً إلى ملكة سبأ وقال للهدهد: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا﴾ وهو ما ذكر بعده.

قوله: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: اطرحه إليهم؛ لأن الطائر لا يمكنه تبليغ الكتاب مناولةً.

قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: تنحَّ عنهم لئلا تؤخذ، وكن قريباً منهم بحيث تسمع كلامهم ماذا يجيبون، وهو قوله تعالى:

﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: يردُّون من الجواب.

---

(١) «تمام» ليست في (أ).

(٢) بعدها في (أ): «لم يردوا الجواب».

وقيل: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أسرع الرجوع منهم إلينا، وعلى هذا فيه تقديم وتأخير: فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أسرع الانصراف عنهم إلينا.

وقيل: ﴿فَانظُرْ﴾؛ أي: فانتظر، وقوله: ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: يتراجعون بينهم الكلام؛ كما قال: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سبأ: ٣١].

* * *

(٢٩) - ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

ثم هاهنا مضمر: فذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليها ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: أي: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وهو هذا الكتاب، خلت[1] بوزرائها فقالت لهم: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: شريف فاضل.

وقيل: الكريم: الحقيق بأن يؤمَّل فيه كلُّ خير، ورأت آثار ذلك في هذا الكتاب فلذلك قالت ما قالت.

وقيل: سمَّته كريماً لأنه كان مختوماً.

وقيل: كان مكتوباً بالذهب.

وقيل: كان مِن ملكٍ تُطيعه الجنُّ والإنس والطير والوحش.

وقيل: سمَّته كريماً لحُسْن ما فيه: من افتتاحه بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، والدعاءِ فيه إلى الإسلام، ومن وَجازة الخطاب فيه مع إتيانه على المراد.

وقيل: لمَّا وصل إليها الكتاب على خلافِ العادة مع طائرٍ قد اخترق إليها البيوت والأبواب توهَّمَت أنه من السماء فسمَّته كريماً لذلك.

* * *

---

(١) في (ر): «فدعت».

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾: قيل: كان هذا عنوانَ الكتاب ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ هذا مضمونه.

وقيل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ كان في أول السطر في الداخل، وإنما بدأ به لأن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ كان لا يأمن أن تستخِفَّ به بلقيس، فقال: لو ستخَفَّت به بلقيس كان باسمي لا باسم الله، وكان ذلك تعظيماً لاسم الله لا تقديماً لاسمه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾؛ أي: لا تتكبَّروا عليَّ ولا تخالفوني ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ خاضعين لله منقادين له متديِّنين له[1] بالدِّين الحق.

ويحتمل: مستسلِمين منقادين لأمري.

قال وهب بن منبه في قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: كانت غيبةُ الهدهد: أنه ذهب في طلب موضع الماء، فلقيه هدهدٌ من أرض سبأ فقال له: أيَّ شيء تَطلبُ؟ قال: أَطلب الماء لسليمان نبيِّ الله فإني مسخَّر له، فسأله عن سليمان وجنوده، فأخبره الهدهد بخبر سليمان وما سخِّر له من الريح والشياطين والجن والإنس والطير، فأخبره عند ذلك هدهد سبأ عن ملكة سبأ وعن ملكها وجنودها، وكان الهدهد يومئذ مثلَ البطة العظيمة، فانطلق الهدهد حتى أتى أرض سبأ، فنظر إلى بلقيس وملكها ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ثم رجع إلى سليمان فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ وساق ما ذكرنا على نظم الآيات[2].

---

(١) «له» ليست في (أ).

(٢) في (أ): «السياق».

وكان لملكة سبأ اسمان: مقة[١] بنت شراحيل، وبلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها ملكاً من ملوك اليمن إلى أربعين أباً كلهم ملوك، وكانت هي امرأة لها نسب في الجن، وكان رغب شراحيل عن أن يتزوج في الإنس تعظُّماً، وزعم أنه ليس له كفؤ لمكان آبائه الملوك، فخطب إلى الجن فزوَّجوه ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، فكان الجن أخوالَها.

فلما انقرض آباؤها دعت الناس إلى بيعتها فاختلفوا في أمرها، فتركتهم فملَّكوا ملكاً فلعب بنسائهم، فلما أكثر من ذلك وعجزوا عنه أدركتها الغيرة والحمية[٢]، فأرسلت إليه تخطبه لنفسها تختدعُه لتستمكن منه فتقتلَه، فأجابها ثم قال[٣]: لم يمنعني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأسُ منك، وكنت أبصر شرفك[٤] وموضعك، ولكن خشيتُ أن تردِّيني فتُسقِطي قَدْري، فأرسلَتْ إليه: ما عنك رغبةٌ، وإنك لكفؤٌ كريم، فإذا أصبحتَ فاجمع رجال قومك واخطبني إليهم فإني فاعلةٌ ما يَسرُّك.

فلما أصبح فعَل ما أمرته، فقال له القوم: ما هي فاعلة ما تريد، فقال لهم: إنها ابتدأتني بزواجها[٥]، فجاؤوها فقالوا: فعلتِ ما ذكر الملك؟ قالت: نعم، طالت عليَّ الأَيْمة وانقرض أهل بيتي، وأحببتُ الولد والذرية ولم أجد أحداً أشرفَ منه، فقالوا: قد رضينا، فتزوَّجها.

---

(١) في (أ): «معتة». ولم أقف عليه، لكن أخرج ابن عساكر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥١) عن الحسن أن اسمها ليلى.

(٢) «والحمية» ليست في (أ).

(٣) «ثم قال» ليست في (ف).

(٤) في (ر): «لعلمي بشرفك»، بدل: «وكنت أبصر شرفك».

(٥) «بزواجها» ليست في (أ) و(ف).

فلما زُفَّت إليه خرجت في بشرٍ[١] كثير من خدم وحشم حتى مَلَؤوا منزله من كثرتهم، فلما خلا بها سقته الخمر حتى إذا أسكَرَتْه قطعت رأسه، فلما انصرف حشمُها ومَن كان معها خرجت في غمارهم لا يُفطن لها ولا يَظن الناس إلا أنها قد تخلَّفت عند زوجها، فأصبح الملك قتيلاً وأصبح رأسه منصوباً على باب دارها، فلما نظر إليه الناس عرفوا أن فعلتَها كانت حيلةً منها ومكيدة، فأعجبهم ذلك فمالوا إليها وقالوا: ما نعلم اليوم لك مِثلاً، إنك عمَدْتِ إلى ملك الأرض الذي كان يزني وأفسد نساءنا فقتلتيه بأهون أمركِ[٢]، وقد عجز عنه جميع مَن ترَينَ! فلا أحد أحقُّ بهذا الملك منك للَّذي سلف من آبائك، قالت: لولا ما خشيتُ عليَّ وعليكم من العار ما فعلتُ ذلك، ولا كان لي إلى ما في يديه حاجة.

فملَّكوها عليهم، فأمرتهم أن يصنعوا لها منزلاً فاخراً لم يُصنع مثله لملك قط، فوصفت لهم عمله، فعمدوا إلى تلٍّ مشرِف[٣] من صفاءٍ صَلْد، فغرزوا على ظهره خمسَ مئة أسطوانة من رخام، نقروها حتى رسخت[٤] في الصفاء، طولُ كلِّ أسطوانة ثلاثون ذراعاً، وبين كلِّ أسطوانتين خمسة أذرع، ثم جعلوا من فوق الأسطوانة[٥] سطحاً من ألواح الرخام، وضموا بعضَه إلى بعضٍ حتى صارت كأنها لوحٌ واحد، ثم بنوا في السطح بيوتاً من رخام، وقباباً من ذهب وفضةٍ مبوبةً بأبوابٍ مرصَّعة بالجوهر الملوَّن، ثم أحاطوا على السطح بحائطٍ باطنه من رخام وظاهره من نحاس، وله أربع

---

(١) في (أ): «سير».

(٢) بعدها في (ر): «منك».

(٣) في (أ): «إلى تلعة مشرفة».

(٤) في (ف) و(أ): «رسخن».

(٥) في (ف): «فوقها».

زوايا على كل زاوية قبةٌ من ذهب على رأس قبتها ياقوتةٌ حمراء تلتهب، فإذا طلعت الشمس سطع ضوء الياقوتة على القبة فبرَقت، ثم جُعل للقصر حين فرُغ منه أربعُ مَرَاقٍ عن يمينٍ وشمالٍ وشرقيٍّ وغربيٍّ، في كل مرقاةٍ مئةُ درجة من فضة، في أعلاها بابٌ مفضَّضٌ، وفي أسفلها بابٌ من نحاس، ثم جوِّف الصفاء فجُعل جوفه خزائنُ، وجوِّف بعض الأسطوانات حتى أفضى إلى السطح، فكان طريقاً إلى الخزائن التي تحت الصفاء، ثم بُني تحت كلِّ أسطوانةٍ مجلسٌ من رخام للحراس والقوَّاد.

ولم يكن في الأرض مَلِك بعد سليمانَ وذي القرنين وفرعونِ وموسى أكثرَ منها جنوداً، كان لها اثنا عشر قائداً، يقودُ كلُّ واحد منهم اثني عشر ألفَ مقاتل، وكان تحت يدها أربعُ مئةِ ملك من أشراف اليمن، أمَّرت كلَّ واحد منهم على كُورة معلومة، وشرطت عليه أربعةَ آلاف مقاتل متى ما احتاجت.

فلما فرغوا من عمل قصرها ـ وهو عرشها العظيم ـ أمرت بالمدينة والحيطان والأرباض[1] فبُني ذلك كلُّه حول قصرها حتى صارت في وسط ذلك، فأشرف قصرُها على ما حوله[2] حتى كان يُرى من مسيرة يوم، وكانت تكلِّم الناس من وراء الحجاب لا يُرى وجهها، فإذا وقعت حربٌ حسَرت لهم عن ذراعها.

قال وهب: فلما جاء الهدهد إلى سليمان بخبرهم كَتب إليها: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من سليمان بن داود نبي الله إلى بلقيس، أما بعد: فإن كنتِ من الإنس فقد عُبدت لي، وإن كنتِ من الجن فقد سخِّرتِ لي، فأَقْبِلي إليَّ أنت وقومُك و﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «والرياض». والأرباض: جمع ربض، وهو سور المدينة.

(٢) في (أ): «على تلها على ما حولها» بدل: «قصرها على ما حوله».

فأخذ الهدهد هذا الكتاب برجله فانطلق يهوي به حتى اقتحم عليها من كوة البيت، فوضع الكتاب في يمينها وهي قاعدة على عرشها، فمُلئت من ذلك عجباً، ثم ارتفع الهدهد فوقع(١) فوق الحائط، فلما وجدت في الكتاب اسم سليمان خرجت إلى الهدهد فقالت: مَن أرسلك إليَّ؟ فأنطقه الله قال: أرسلني إليك ملكُ الجن والإنس والطير والريح والشياطين، قالت: ما أُراك كذبتَ، لولا أنه كما تقول ما طعتَ له بالرسالة، ثم جمعت قوماً من قوَّادها وأهلِ مشورتها وأسفرت عن وجهها والهدهدُ مكانَه، فقالت لهم: ما كنتُ أحسب أن فوق ملككم ملكاً حتى جاءني رسول ملك الجن والإنس والشياطين والطير والريح، قالوا لها: فأين هو الرسول الذي جاءك قالت: هو هذا، وأشارت إلى الهدهد فأقبلوا عليه يكلمونه فلم يُجبهم، وقرأت عليهم كتاب سليمان، وسألتهم عن الرأي، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾: أي: أشيروا عليَّ فيما حدث لي من هذا الأمر: ماذا أصنع؟

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: أي: منفِّذةً عزماً ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أنتم؛ أي: تحضرون فأشاورَكم وأمضيَه على اتِّفاق منكم، استعطفَتْهم وراعَتْهم فاحترموها، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «فوضع»، ولعل الصواب: فوقف.

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قادرون على القتال إن احتيج إليه؛ لوفور عَدَدِنا وعُدَدِنا ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ في الانقياد لصاحب الكتاب أو محاربته ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ به من الأمرين، فلا نكلِّفك ما لا تريدين ولا نخالفك فيما تأمرين.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: أي: استولَوا على مدينةٍ بالقهر[1] ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ وسعَوا فيها بالفساد والتخريب ليزول تحرُّز[2] أهلها بها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ بسلبِ نعمهم وأموالهم وأعوانهم ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: سليمانُ وقومه بكم إن دخلوا مدينتكم، فكان أولُ الآية على عموم الملوك وآخرُ الآية على خصوص هؤلاء.

وقيل: هذا قول الله ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: كذلك تفعل الملوك كما قالت هي.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: أي: من رأيي أن لا أعجل بالقتال الذي قد يكون علينا، ولكنْ أتعرفُ الحال، فأُرسل هديةً فأنظرُ ما يكون منهم، وبماذا يرجعون من عندهم رسلي؟ فإن رجعوا بردِّ الهدية فالقوم طالِبو دِينٍ لا يكفُّهم عنا إلا الاتِّباع، ولا طاقةَ لنا بقتالهم.

وقال الفراء: ذكروا أنها أرسلت واحداً، ولذلك قال بعده: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾[3].

---

(١) «بالقهر» من (أ).

(٢) في (أ): «لنزوله عذر»، وفي (ف): «لنزول تحرز»، وفي (ر): «ليزول تحرر»، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٣).

وإنما قالت: ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ تعظيماً للرسول، أو هذا من متعارَفِ اللسان؛ يقول الملك: أرسلْ إلى فلان رسلاً، وهو يريد الواحد، ويَجمع للتعظيم، أو لأنه يكون معه أتباع، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ وقال: ﴿ٱرْجِعْ﴾ خطاباً لرأسهم وإخباراً عن كبيرهم.

قال وهب: قالت لهم: لا آمَنُ إنْ هو ظفر بكم أن يُذلَّكم ويتعبَّدَكم ويبيحَ جنوده قراكم وحريمَكم، وسأختبره أيعمل لله أم للدنيا؟ قالوا: بماذا؟ قالت: أعرضُ عليه الدنيا، فإنْ قَبِلها فهو لها وإن حقَرها فهو لله ولا سبيل إليه، فإنْ قَبِل الدنيا قاتلناه عن ملكنا، فكتبت إلى سليمان: إني قد سمعتُ كتابك، وأنا ناظرةٌ في أمرك ومعجِّلة إليك رسلي ليَعلموا عِلمك.

وأهدت إليه ألفَ فرس عربيٍّ سابق ليس فيها إلا ما أَحرز الحلبة، وهي كلُّها على شِيَةٍ واحدة ليس منها إلا أدهمُ أزرقُ أغرُّ محجَّل، مع كلِّ فرس عبدٌ يسوقه، في رأس كلِّ فرسٍ حَكَمةٌ من ذهب، عِذارها مفصَّصٌ بالجوهر، ومِقْوَدها سلسلةٌ من حَلَق الذهب والفضة، حَلْقةٌ من ذهب وحَلْقةٌ من فضة، وعليه سَرجٌ من جَزْعٍ ملبَّسٌ أرجواناً أحمرَ مرصَّعاً باللؤلؤ، نصفُها ذكور ونصفُها إناث.

وأهدت له خمسَ مئة وصيفٍ وخمس مئة وصيفة عربية(١)، في يمين كلِّ وصيفة سوارٌ من ذهب فيه ياقوتة، وفي عنقِ كلِّ وصيفةٍ طوقٌ من ذهب فيه ياقوتة، وفي أذنها قرطان في كلِّ قرط درةٌ، وعلى كل وصيفٍ منطقةٌ منظومة باللؤلؤ، وعهدت إلى رسلها إذا هم عرضوا على سليمان هديتَها أن يحملوا الوصفاء على ذكور الخيل والجواري على إناثها.

وقال زيد بن أسلم: وجَّهت مع هذا كلِّه لَبِناً من ذهب، فأُخبر سليمان بذلك،

---

(١) في (ر) و(ف): «ووصيفة»، بدل: «وخمس مئة وصيفة عربية».

فقال للشياطين: مهدوا لهم الأرض ذهباً إلا موضع لبنة في الطريق، فلما قربوا من بلد[١] سليمان ظنوا أن الأرض مفروشةٌ بلَبِنِ ذهب، فرأوا في الطريق موضعَ لبنةٍ خالياً، فقال رئيسهم: حملنا إلى هذا الرجل لَبِناً من ذهب فإذا أرضه ذهبٌ كلُّها إلا موضعَ لبنة، فسبيلُنا أن نلقيَ[٢] هذه اللبنة في هذا الموضع وإلا نسبنا[٣] إلى السرقة[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنها وجهت غلماناً وجواري، وجعلت الغلمان على زيِّ الجواري في اللباس والشعر، والجواريَ على زيِّ الغلمان في اللباس والشعر[٥]، وقالت للغلمان: إذا كلَّمكم فألينوا الكلام، وقالت للجواري: إذا كلَّمكن فأغلِظن الكلام، وبعثت بحُقَّة فيها جواهرُ فأمَّرت عليهم رجلاً يقال له: المنذر بن عمرو.

وقال أبو القاسم بن حبيب: رأيتُ في بعض التفاسير: كانت في الحقة ثلاثةُ جواهر، أحدها مثقوب والثاني غير مثقوب والثالث ثُقب نصفه ولم ينفذ، وقالت: إن كان نبيًّا ميَّز بين الوصفاء والوصائف، ويخبركم بما في الحُقة، وإن كان غيرَ نبي الْتَبَس أمركم عليه، فميَّز بين الوصفاء والوصائف بالوضوء، وذلك أنه أمرهم أن يتوضؤوا، فجعل الغلمانُ يَحدرون الماء على اليد والرجل حَدْراً، وجعلت الجواري يصببْن من اليد اليسرى على اليد اليمنى ومن اليمنى على اليسرى، فميَّز ذلك بينهم، وأخبرهم أن

---

(١) في (ف): «موضع».

(٢) في (ر): «أن تبقى».

(٣) في (أ): «ولا ينسبونا» بدل: «وإلا نسبنا».

(٤) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٥٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤)، عن ثابت البناني.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣)، ولفظه: (بعثت إليه بوصائف ووصفَاء، وألبستهم لباساً واحداً حتى لا يُعرف ذكر من أنثى، فقالت: إن زيَّل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ثم ردّ الهدية فإنه نبيّ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا، ونتبع دينه، ونلحق به). وإسناده ضعيف جدًّا.

الجواهر ثلاثةٌ: أحدها مثقوب، والثاني[1] صحيح، والثالث مثقوبُ النصف.

* * *

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾: أي: جاء الرسولُ، وقيل: جاء ما أَهدت.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: أتبعثون إليَّ ما لا تقدرون[2] به الزيادة في مالي ونعمي.

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾: أي: فالذي أعطاني الله من الملك والنبوة وسخَّر لي الطير والوحش والجن والإنس ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾؛ أي: أفضلُ وأكثر مما أعطاكم، فلا أفرح به ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

قيل: بل أنتم بهذا المال أهدَيْتُموه إليَّ تفرحون إعظاماً منكم له.

وقيل: معناه: بل أنتم بما يُهْدَى إليكم تفرحون؛ لأنكم أهلُ تفاخُرٍ وتكاثُرٍ بالدنيا.

* * *

(٣٧) - ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: أيها الرسول بهذه الهدية فلا حاجة لي فيها، ولا أمتنعُ عن دعوتكم إلى الإسلام، فإنْ لم تفعلوا ولم تأتوني طائعين ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾؛ أي: لا طاقة لهم بها؛ أي: ولا يمكنُهم دفعُها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾؛ أي:

---

(١) في (أ): «والآخر».

(٢) في (أ): «تعدون».

من قريتهم، وقد سبق ذكر القرية: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ ﴿أَذِلَّةً﴾ أي: قد سلبتُهم العز بالاستيلاء على أموالهم وعيالهم، وقهر أنصارهم.

وقيل: مغلولةً أيديهم إلى أعناقهم.

﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: مُهانون.

* * *

(٣٨) ـ ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: قال وهب: يعني: ملأ الجن ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: قبل أن يرجع إليهم رسلُهم فينذروهم فيأتوني مسلمين، فإذا أسلموا فليس عليهم سبيل، ولا يحلُّ لي حينئذ أن أُجْلِيَهم[1] من بلادهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال سليمان هذا حين جاء الهدهد، فامتَحن ذلك، وجاء آصف بالعرش ثم كتب إليه الكتاب، ولولا ذلك لم يكتب إليها بقول الهدهد من غير ثبوت[2].

وقال وهب بن منبِّهٍ: قال ذلك عند مجيء الرسل بالهدية[3].

وقيل: قال ذلك حين لم يبق بينها وبين سليمان إلا قَدْرُ فرسَخٍ.

وقيل: إنما طلب ذلك ليختبِر عقلها إذا أتته ورأته: أَتُثْبِتُه أم تُنْكِرُه؟ وهذا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[4].

---

(١) في (أ): «أجيبهم» وفي (ر): «أخليهم». ولعل الصواب: (أجلبه)؛ أي: العرش. فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٤) عن قتادة خبراً فيه: (... فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين لم تحلّ لهم أموالهم، فقال للجنّ: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٤).

وقيل: فعل ذلك ليثبتَ عندها أنه رسولٌ وملكُه سماويٌّ، فتُضطرَّ هي وقومُها إلى الإسلام(١).

* * *

(٣٩) ـ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: قيل: داهيةٌ.

وقيل ـ وهو قول الفراء ـ: هو القوي النافذ(٢).

وقال القتبي: هو الشديد الوثيق(٣).

وقيل: هو المارد.

قيل: كان اسمه صخراً. وقيل: كان عَمْراً.

قوله تعالى: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: أي: مجلسِ قضائك، سماه مقاماً لأنه يقوم فيه بالقضاء بين الناس؛ كالمقامات التي تكون للخطباء والرؤساء.

وقيل: أي: من مجلسك، وسماه مقاماً لأن عاقبته القيامُ عنه.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾: أي: قادر(٤) ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من ذهب وجوهر، لا أخون في ذلك.

* * *

---

(١) في (أ): «فستبصر هي وقومها في الإسلام»، وفي (ف): «فتستنصر هي وقومها بالإسلام»، بدل: «فتضطر هي وقومها إلى الإسلام».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٢٤).

(٤) «أي: قادر» ليست في (أ).

(٤٠) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هو آصفُ بن بَرَخيا، وقيل: آصف بن يوسف، وقيل: ضبَّة والدُ بني ضبة من العرب، وقد ادَّعى ذلك بعض بني ضبَّة، وكان آصفُ وزير سليمان.

وقوله: ﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: من الكتب المنزلة.

وقيل: كان يعلم اسمَ الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وكان مستجابَ الدعوة.

وفي «تفسير الصنعاني»: ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جبريل عليه السلام.

قال: لما رجع رسلُ بلقيس إليها، وعلمت أنها لا قبَل لها بجنود سليمان، أقبلت إليه، فأعلمه جبريل بذلك، وأحب سليمان أن يوتَى إليه بعرشها، وقال عفريت من الجن ما قال، قال جبريل: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ بأسرع من ذلك، وصفةُ جبريل بأن عنده علم من الكتاب هو علم إنزال الكتب على الأنبياء.

وقيل: هو علم الكتاب الذي هو أمُّ الكتاب.

قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: قيل: قبل أن يرجع إليك طرفك ببصرك، كأنك تفتح بصرك لتنظر إلى شيء، فتنظر إليه ثم تردُّ بصرك عن النظر.

وقال أبو عبد الله الأزديُّ ـ وهو في معنى هذا ـ : أي: إذا مدَدْتَ طرفك ناظراً إلى أن تردَّ جفنك ردَدْتَه بين هذين.

وقال قتادة والكلبي والفراء: يريد: قبل أن يأتيك الشيء من مدِّ بصرك[1]، ومجازه: من قبل أن يرجع إليك مَن تنظر إليه منتهَى بصرِك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: قيل: فدعا اللهَ آصف، فرفع سليمان طَرْفه ثم ردَّه فإذا هو عنده.

وقال مجاهد: دعا الله فأُخرج له من نفق في الأرض[2] حتى وضع بين يديه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال: يا حيُّ يا قيوم.

وقال عبد الله بن سلَام: قال: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الحيُّ القيوم الطاهرُ المطهَّر، نورُ السماوات والأرض، عالمُ الغيب والشهادة الكبيرُ المتعال.

وروي عن جابر أنه قال في الدعاء: يا اللهُ يا اللهُ يا الله.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٤)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٦٣) عن معمر عن الكلبي بلفظ: (قبل أن يأتيك الشخص..). أما قتادة فذكر هذا القول عنه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١١)، لكن لعل في نسبته لقتادة وهم، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٧٢) عن معمر قال: (قال غير قتادة...) فذكره مثل رواية معمر عن الكلبي بالحرف، فغير قتادة هو الكلبي على الأظهر كما يظهر من رواية عبد الرزاق عن معمر، فلعل من نسبه لقتادة سقطت عنده كلمة (غير) التي في رواية الطبري، أو تحرفت إلى (عن)، وقد وقعت كذلك في بعض نسخ الطبري كما ذكر في حواشيه. ويؤيد ما ذكرناه أنه قد روي عن قتادة غيره كما ذكر الواحدي وغيره، قال الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٤٤): وعلى هذا التفسير (يعني تفسير الكلبي والفراء) يجب أن يكون التقدير: قبل أن يرتد إليك مَن على منتهى طَرْفك؛ وهذا التقدير بعيد، ثم إتيانُ الشخص إليه من مدِّ البصر لا يسمى ارتدادًا إلا أن يكون قد خرج من عنده... ولهذا قال قتادة: هو أن يبعث رسولاً إلى منتهى طرفه، فلا يرجع حتى يؤتى به)، وهذا القول الذي ذكره عن قتادة أورده أيضاً الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٢).

(٢) في (ف): «من شق الأرض».

وقال عمرو بن عديٍّ: دعا فقال: يا ذا الجلال والإكرام والفضلِ العظيم والعزِّ الذي لا يُرام.

وقيل: قال: أَهيا شَرَاهيا(١).

وكان ذلك من كرامة آصف، وكرامةُ الأولياء حقٌّ عند أهل السنَّة والجماعة، وهو في الحقيقة معجزةٌ لذلك الرسول الذي هذا من أمته.

وقال وهب: كان آصف من الجنِّ، وجمعَ عفاريتَ من الجن حتى اقتلعوا منزلها الأعلى الذي فوق الأسطوانات بمساكنه وجميع ما فيه، وهي فيه على فُرُشها لم تقدر أن تتحوَّل عنها(٢) حتى وُضعت بين يدي سليمان(٣)، وكان حليُّها وثيابها وطيبُها مخزوناً معها في منزلها، فأتي بذلك كله، فلما رآه مستقراً عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾؛ أي: إن ما فعله ربي من إلقاء الرعب في قلبها حتى أقبلت إليَّ مع قومها في تلك الرواية، ومن إحضار عرشها في هذه المدة من مسيرة شهرين على هذه الرواية ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾؛ أي: من إفضاله عليَّ من غير استحقاقٍ

(١) ذكره الثعلبي ومكي بن أبي طالب وابن عطية والرازي في تفاسيرهم في تفسير قوله تعالى في سورة يونس: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. وذكره في هذه الآية القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٦٨) قال: وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عنها قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اسم الله الأعظمَ الذي دعا به آصفُ بنُ بَرخيا يا حيُّ يا قيُّومُ»، قيل: وهو بلسانهم، أَهيا شَرَاهيًا. وحديث عائشة المذكور ذكره أيضا الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١١)، ولم أجده مسنداً.

(٢) في (ف): «عنه».

(٣) كذا جاء في هذا الخبر، وهو مخالف لنص القرآن الذي قال: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾، وهذا واضح لا لبس فيه أن العرش وصل قبلها، والعجب من بعض المفسرين كيف يوردون أمثال هذه الأخبار دون التبصر بمعناها؟! وسيأتي للمؤلف كلام في تضعيف هذه الرواية.

مني ليمتحنني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾؛ أي: إنعامَه[١] ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ لم يفعل ذلك بي لأستعين به على معاصيه ولا لأفاخر به.

وقيل: خطر بباله أنه ظهر هذا لآصف، ثم رد الخاطر وقال: إنه من فضل الله عليَّ حيث جعل في أمتي مَن له هذه المنزلةُ، وهو كشكر الأب بما يظهر لابنه من كرامةٍ ينفرد بها ولا يكون ذلك للأب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: لأن المزيد يحصل له به، وحقُّ النعمة يقضي[٢] به.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ لا يعجِّل بعقوبةِ مَن كفر نعمه[٣].

***

(٤١) ـ ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾: أي: غيِّروا، والتنكير: التغيير، والتنكُّر: التغيُّر.

قوله: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾: أتعرفُ ذلك وتعقله أم لا تعقله ولا تعرفه؟

وقيل: ﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾ إلى الإسلام بهذه الآية وهو حملُها إليَّ في هذه المدة اليسيرة، أم لا تهتدي إليه؟ والتغيير يكون بالزيادة والنقصان أو العكس.

---

(١) «أي: إنعامه» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «يفضي».

(٣) في (أ): «النعمة».

قال وهب: قال للجن: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ فنكِّس، وبنت الشياطين فوقه قباباً أخرى هي أعجب من تلك القباب وهو مقلوب قد جُعل أسفلُه أعلاه، وإنما أراد سليمان أن يعلِّمها صغر ملكها عند ملكه.

ونظمُ هذه الآيات يضعف قول وهب: حملوا عرشها وهي عليه؛ لأن التنكير والمجيء والنظر إليه يخالف كونها عليه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾: لما رأته محمولاً على الريح مقلوباً وهو في الهواء لا يقع على الأرض، وقد صُنع فيه ما هو أعجب وأفخر ما كان فيه، أنكرته، فعند ذلك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

قالوا: إن الشياطين خافت أن يتزوجها فيولَدَ له منها ولدٌ وهي جنية[١]، فتطيع الجنُّ ولده منها، فيدوم له الملك ويبقَوا مسخَّرين لآل[٢] سليمان أبداً، فقالوا له: إنها ضعيفة العقل حمقاء، وإن رِجْلها كرِجْل حمار، فأمر بتنكير عرشها ليَمتحن عقلها فقال: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ ففعلوا وقالوا لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ لم تعرف ولم تنكر ذلك لمَّا بَعُدَ عندها أن يكون هو هو[٣]؛ لأنها خلَّفته في منزلها، ثم وكَّلت به مَن وكَّلت، فلم تقل: هو، ولما رأت فيه من التغيير ولم تقطع أيضاً على أنه ليس هو لِمَا رأت فيه من المشابهة فقالت قولاً بين النفي والإثبات تحرُّزاً عن الكذب بالقطع على أحدهما من غير ثبت.

---

(١) في (ف): «حسنة».

(٢) في (ر) و(ف): «لابن».

(٣) «هو» ليست في (ف).

وأمر بإدخالها الصرح لتكشف عن ساقها لِمَا تتوهم أنه لجَّة فيظهرَ حالُها، ففعلت وانكشف عن أحسن ساق وقدم، فزال تلبيس الشياطين.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾: قيل: أي: قالت: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ بالله[1] ﴿مِن قَبْلِهَا﴾: من قبلِ صحبة سليمان[2] ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: أسلمنا قبل أن نجيء.

وقيل: هذا قول سليمان على وجه الشكر آتيناه العلم به من قبل هذه المرأة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: منقادين لله.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾.

﴿وَصَدَّهَا﴾: أي: ومنع المرأة ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في موضع الرفع أي: عبادتها الشمس من دون الله عبادة الله وهو مفعول ثاني.

وقيل: صدها عن العلم والاهتداء.

قوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾: أي: فإنها كانت كذلك.

قيل: هذه الآية قول سليمان.

وقيل: هو قول الله تعالى.

وقيل: ﴿وَصَدَّهَا﴾ أي: ومنعها سليمان.

وقيل: ومنعها الله ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من عبادة غير الله، وهو في موضع المفعول.

* * *

---

(١) «بالله» من (أ).

(٢) في (ف): «صحبته».

(٤٤) ـ ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾: قال أبو عبيدة وقطربٌ: أي: القصر[١].

وقيل: هو عَرصةُ الدار، وهو قول الزجَّاج[٢].

وقيل: هو البنيان[٣] المرتفع.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾: هي موضع الماء.

وقال وهب: وأمر سليمان الشياطين فصنعت له منزلاً من قارورةٍ بيضاء يترجرج كأنه[٤] الماء، وجعل فيها تماثيلَ سَمَك تسبح فيها، ومرِّدت حتى اشتدَّ بريقها[٥]، فجعلت تنظر إلى مثالها[٦] في الزجاجة كأنها المرآة المصقولة[٧]، وعليها حلةٌ من حريرٍ أبيض مُلحمةٌ من الذهب الأحمر، فجعلت تنظر إلى نفسها ولباسها وكلِّ شيء عليها في أرض[٨] تلك القارورة، ثم: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ وهو منزلُك، فظنت أنها مخاضةٌ من ماء حين نظرت إلى تماثيل السمك تسبح فيها، فلما كشفت

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٠٥).

(٢) في (ر) و(ف): «وقال الزجاج: أي: عرصة الدار». ولفظ الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ١٢٢): و(الصَّرْحُ: في اللغة القصرُ، والصَّحْن، يقال: هذه ساحةُ الدار وصحنة الدار وباحة الدار وقاعةُ الدار وقارِعة الدار، هذا كله في معنى الصَّحْن).

(٣) في (أ): «البناء».

(٤) في (أ): «تتزحزح كأنها».

(٥) في (ف): «اشتدت بريقا».

(٦) في (ر) و(ف): «تمثالها».

(٧) في (ف): «الصقيلة».

(٨) في (أ): «عرض».

عن ساقيها وهو قوله: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ قيل لها: إنه ليس بماء، ولكنه: ﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾؛ أي: مملَّسٌ من قوارير، فأسلمت عند ذلك و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بالشرك.

وقيل: ظنت أن سليمان مكر بها ليقتلها.

وقال محمد بن كعب القرظي: لما بصُرت بالصرح قالت: ما وجد ابن داود عذاباً يقتلني به إلا الغرق[1]، فلما وقفت على الحقيقة قالت: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بما أسأت به الظن.

وقيل: أمرُ سليمان بتنكير العرش واتخاذِ الصرح كان لتنظر إلى ذلك فتعلمَ فضلَ ملكه على ملكها، وأن الله هو الذي سخرهم له وهيَّأ ذلك كلَّه له، فإن ذلك لا يكون إلا آيةً لنبوته ورسالته، فتهتدي بذلك إلى الإسلام، ولذلك أسلمت.

وقيل: كان هذا معارضةً[2] له إياها فيما فعلت من أمر الوصفاء والوصائف، وتنكيرِها إياهم، وكذا حال الجواهر، ففعل بها كذلك، فاهتدى هو إليها لنبوته ولم تهتدِ هي إليه، فاستبان لها حاله فأطاعته وأسلمت.

وقيل: الحكمةُ في كتمان حالِ[3] هذه الملكة على سليمان مع قُرب ولايتها منه، ومع أن الدنيا كلَّها كانت مملكةً له؛ ليكون ذلك عند ظهور عذرِ الهدهد عن جنايته، وما ذَكر سليمان في حقه: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ ﴿أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ﴾ كان تأديباً وتهذيباً لا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٨٢).

(٢) في (أ): «معاوضة».

(٣) «حال» من (أ).

عقوبةً وتعذيباً، وذاك جائز كرياضة الدوابّ وضربها عند الحراب، وضرب الكلاب ونحوها للتعليم، وهو التفصِّي[(١)] عن اعتراضِ مَن قال: كيف استجاز[(٢)] ذلك فيما لا يخاطَب ولا يعاتَب ولا يعاقَب؟!

* * *

(٤٥) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: وهذه قصةٌ أخرى في معنى ما مضى ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ليقول لهم: وحِّدوا الله.

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾: فصدَّقه بعضهم وكذَّبه بعضهم فصاروا فريقين.

وقال: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ على الجمع لأن الفريقين جمعان، معناه: يخاصم كلُّ فريقٍ الآخرَ في مخالفته ومحاجَّته في إثبات قول نفسه، وهو ما قال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ [الأعراف: ٧٥] الآيات.

* * *

(٤٦) - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: وكان من عادة الأمم المكذِّبة استعجالُ العذاب كقولهم: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٧] ونحوِ ذلك.

وقيل: معناه: لمَ تفعلون ما تستحقُّون به أن تعاجَلوا بالعذاب من الكفر والمعاصي، ولم يُرد به السؤال.

---

(١) في (أ): «التعصي»، وفي (ر) و(ف): «التقضي». والصواب المثبت، والتفصِّي: التخلص.

(٢) في (أ): «استحار»، وفي (ر) و(ف): «استحال». والصواب المثبت.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾: أي: هلا تتوبون إلى الله من الكفر، فيكونَ ذلك سؤالَ المغفرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: راجين رحمة الله.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: أي: تشاءمنا بكم فلا نتَّبعكم لئلا تصيبَنا المكارهُ في أنفسنا وأولادنا وأهالينا وأموالنا، آيَسوه عن إيمانهم.

وقيل: قُحِطوا فقالوا: هذا بشؤمكم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: ما أصابكم من مكروهٍ أو محبوب فمن الله لا مني.

وكان الكفار إذا أصابتهم شدة في زمن النبي ﷺ قالوا: هذه من شؤمه، وإذا أصابتهم نعمة قالوا: هذه باستحقاقنا، كما ذكر الله ذلك عن قوم موسى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقال المشركون لنبينا عليه السلام ما ذكر عنهم: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨].

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما ينزل بكم من العذاب في الآخرة إنما يصيبكم بتكذيبكم إياي في الدنيا.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جزاء تطيُّركم عند الله، هو يجزيكم به بعذاب الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: أي: تُمتحنون مرةً بالشدة ومرةً بالرخاء.

وقيل: أي: بل الكفار يَفتنونكم بالدعوة إلى الثبات على الكفر والتطيُّر فيَّ[1].

---

(١) «فيَّ» ليست في (أ) و(ف).

وقيل: معناه: بل أنتم قوم تعذَّبون بذلك في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]؛ أي: يعذَّبون.

* * *

(٤٨) - ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا من أولاد الأشراف وكانوا فسَّاقاً[١].

وقيل: هم قُدَار بن سالفٍ، ومِصْدعُ بن دهر[٢]، وأسلم، ورهمي ورُهيم، ورعمي ورعيم، وقبال وصداف[٣]، عقروا الناقة[٤] يوم الأربعاء فأهلكهم الله يوم السبت.

* * *

(٤٩) - ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٢٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢١٩).

(٢) في (أ): «زهر». وقد تقدم في قصة صالح في سورة الأعراف ان اسمه: مصدع بن مَهْرَج.

(٣) في (أ): «ورغمي ورغيم وقبال وصداق». وقد وقع في أسمائهم اختلاف كثير في النسخ والمصادر، ولا ينضبط ذلك بضابط، قال السهيلي في «التعريف والإعلام» (ص: ١٢٩): (ذكر النقاش التسعة وسماهم بأسمائهم، وذلك لا ينضبط برواية، غير أني أذكره على وجه الاجتهاد والتخمين...) إلى آخر ما قال. وانظر أسماءهم على الاختلاف فيها في «المحبر» لابن حبيب (ص: ٣٥٧)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢١٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٢١٩)، و«الكشاف» (٣/ ٣٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٨٣). وانظر كذلك ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٠٠) عن ابن عباس في تعداد أسمائهم.

(٤) في (ر) و(ف): «قتلوا الناقة أي: عقروها».

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾: قرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب على الجمع[1]؛ أي: قال بعضهم: ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ على الأمر؛ أي: احلِفوا لتأتُنَّه ليلاً فتقتلوه، و﴿لتقولُن لوليِّه﴾؛ أي: لأوليائه وهو جنس يصلح للجمع، وهو كقوله: ﴿فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقرأ الباقون بالنون إخباراً عن أنفسهم؛ أي: احلفوا فقولوا كذا. ويجوز أن يكون ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ فعلاً ماضياً، ويكون تفسيراً لقوله: ﴿قَالُواْ﴾، ويكون بمعنى الحال؛ أي: متقاسمين.

﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾: وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿مَهْلَكَ﴾ بفتح الميم واللام، ومعناه: الهلاك؛ أي: موضع الهلاك.

وفي رواية حفصٍ بفتح الميم وكسر اللام وهو كذلك.

وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام، وهو الإهلاك وموضع الإهلاك[2].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فيما قلنا.

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾: قصدوا قتلَ صالح وأهله في خفيةٍ ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾: جازيناهم جزاء مكرهم وأهلكناهم في خفيةٍ ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنهم حين قصدوا ذلك أنه يعود قصدهم عليه[3].

---

(١) أي: ﴿لـتُـبـيِّـتُـنَّـه وأهلَه ثم لتَقولُنَّ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٣) في (ف) و(أ): «عليه».

﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي [وعاصم]: ﴿أنا﴾ بالفتح؛ أي: كان عاقبةُ مكرهم تدميرَهم، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف وتمامِ الأول(١).

﴿دَمَّرْنَٰهُمْ﴾؛ أي: أهلكناهم؛ أي: التسعة ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: سائرَ قوم صالح.

واختلفت الآثار في كيفية هلاك هؤلاء:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله ملائكة ليلاً فامتلأت بهم دار صالح، فأتى(٢) التسعةُ الدارَ شاهرينَ سيوفهم ليقتلوا صالحاً، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث لا يَرَون الملائكة فقتلتْهم(٣).

وقيل: خرجوا نهاراً من المدينة يُظهرون أنهم يسافرون وعادوا ليلاً خفيةً ونقَبوا الجدران ليدخلوا داره فيقتلوه، فرمتهم الملائكة من السطح فقتلوهم.

وقال مقاتل: نزلوا في سفح من الجبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم(٤).

وقال السدِّي: خرجوا ليأتوا دار صالح فنزلوا خرقاً من الأرض ليكتمنوا فيه فانهار عليهم(٥).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣ ـ ٤٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٦٨)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) في (أ): «فأتت».

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٢٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٧٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٧٠).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٦٥)، والقرطبي في =

وقال قتادة: خرجوا مسرعين إلى صالح، فسلط الله عليهم صخرةً[1] فقتلتهم[2].

وفيهم يقول الشاعر:

كمـا بتسـعةِ رَهْـطٍ فـي مَساكنِهِمْ ... قـد نـكَّل الله إذ أغواهُـمُ رجـلُ

يدعَـى قـدارٌ فلمَّـا أن هُـمُ عقـروا ... لربِّهم ناقـةً والدِّيـنَ[3] مـا قبِلـوا[4]

أتاهـمُ ربُّهـم مـن حيـث مـا عمِـلوا ... يجزيهمُ[5] فأراهـمْ غـبَّ مـا عملـوا

* * *

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾: أي: خاليةً، وقيل: ساقطةً، وهي نصبٌ على القطع لأنه نعتُ نكرةٌ لاسمٍ معرفةٍ.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾: أي: بظلمهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: يتأمَّلون فيعرفون فيتَّعظون.

= «تفسيره» (١٦/ ١٨٥). وقوله: «خرقاً» كذا في النسخ و«تفسير الثعلبي»، وفي «البسيط»: (جرف)، ومثله عند القرطبي: (على جرف). والجُرُف: ما ينجرف بالسيول من الأودية.

(١) في (ف): «قروداً» وفي (ر): «قروداً صخراً». والمثبت من (أ) والمصادر.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٠٢).

(٣) في (أ) و(ر): «والذين».

(٤) في (ر): «قتلوا».

(٥) في (ف): «يخزيهم».

قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: فميَّزنا بين المحسنين والمسيئين.

***

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾: عطف على ﴿صَالِحًا﴾؛ أي: وأرسلنا لوطاً إلى قومه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: أي: الفعلةَ القبيحةَ، وهي إتيان الذكران.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: ترون قبحها بقلوبكم وهو العلم.

وقيل: يبصر[1] بعضكم بعضاً على ذلك.

وقيل: ﴿تُبْصِرُونَ﴾ آياتي، وتعلمون صدقي، ولا تنتهون بنهيي.

قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾: استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، وكذلك الأول وهو قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: أي: ليس ذلك منكم لوجود الشهوة في الرجال وعدَمِها في النساء، بل لفرط جهالتكم تفعلون ذلك.

***

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: أي: لوطاً ومتَّبِعيه ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

(١) في (ر) و(ف): «ينظر».

وقيل: أرادوا به الاستهزاء؛ كما في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وقيل: أي: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ عند أنفسهم وفي زعمهم.

وقيل: أي: يتنزَّهون عن مثلِ عملنا ويخالفوننا.

قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر بالتخفيف، والباقون بالتشديد[1]، وهما بمعنًى واحدٍ، قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

و﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: الباقين في الهلاك.

* * *

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: أي حجارةً من سجِّيلٍ من السماء[2] ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: ﴿قُلِ﴾ يا محمدُ: الشكرُ لله على إهلاك الأعداء وإنجاء الأولياء.

وقيل: أي: على بيان آيات[3] الوحدانية وإبطالِ الكُفر والكَفرة.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: أي: الأنبياءِ والمؤمنين.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) «من السماء» ليس في (أ) و(ف).

(٣) «آيات» ليس من (أ).

وقيل: أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى هذا أمَره بالحمد على إعطاء الرسالة، والسلامِ على الصحابة، ثم علمه محاجة المشركين فقال:

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: استفهامٌ للتقرير؛ أي: آلله القادر على الإهلاك والإنجاء وعلى كلِّ شيء خيرٌ، أم الأصنام التي تشركونها بالله وهي عاجزة جماد؛ أي: بل[1] الله هو المستحق للعبادة دونها.

* * *

(٦٠) - ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: له وجهان:

أحدهما: ابتداء سؤال على معنى التقرير؛ كما في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ فإنهم إذا سئلوا عن هذا اعترفوا فلزمهم[2] وجوب العبادة له دون غيره.

والثاني: بإضمار آخر الآية الأولى: أمَّا تشركون خير أمَّن خلق السماوات والأرض.

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾: صرف الكلام عن المغايبة وهو قوله: ﴿وَأَنزَلَ﴾ إلى الإخبار عن نفسه، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾، وهو من أقسام البلاغة.

﴿حَدَآئِقَ﴾: بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: أي: حُسن وزينة.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾: أي: ليس من صفتكم القدرةُ على إنباتها.

---

(١) في (أ): «قل».

(٢) في (ر): «بلزمهم»، وفي (ف): «يلزمهم».

وقيل: ما يمكنكم أن تنبتوها إلا بالماء، وأنزلنا الماء لقضاء حوائجكم.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا إله مع الله، وهو المنفرد بالألوهية والربوبية وكمال القدرة.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: أي: الكفار يميلون عن الحق.

وقيل: أي: يَعدِلون بالله غيرَه؛ أي: ينسبون الأصنام به بالإشراك(١).

* * *

(٦١) - ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مستقرًّا للخلق، وله وجهان كالأول.

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾: أي: أوساطَها ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت لتسكينها عن الاضطراب ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذبِ والـمِلْحِ ﴿حَاجِزًا﴾؛ أي مانعاً عن الاختلاط، وقد فسرناه في سورة الفرقان.

قوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يَفعل كذلك، وهو بمعنى النفي.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكناية عن قوم النبي ﷺ، وأقلُّهم علموا وآمنوا، وأكثرهم لم يعلموا بترك التأمُّل في الدلائل فأصرُّوا على الكفر.

* * *

(٦٢) - ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «أي يسرون الأصنام بالإشراك». والمثبت من باقي النسخ، والمعنى والله أعلم: يشركون بالله الأصنام ويجعلونها مثله في استحقاق العبادة.

قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾: له وجهان أيضاً كما مر.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي: ساكنيها بعد ذهاب السَّلَف، وكانوا مُقِرِّين بذلك كلِّه، فكانوا إذا اضطُروا وأصابهم سوءٌ لا يفزعون في إزالة ذلك إلا إليه.

وقال القشيري: الإجابة بالقول وكشف السوء بالطَّول، الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام، وما دام العبد يتوهَّم من نفسه شيئاً من الحول والقوة، أو شيئاً[1] [من الأسباب] يعتمد عليه أو يستند إليه، فليس بمضطرٍّ، إلى أن يرى نفسه كالغريق في البحر، والضالةِ في المتاهة، والميتِ في يد الغاسل، لا يرى لنفسه استحقاقاً للإجابة[2].

قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: فسَّرناه ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: ما يتَّعظون بمواعظ الله.

* * *

(٦٣) ـ ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: أي: يرشدكم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ للطرق إلى المقاصد، وله وجهان كما مر.

ومعناه: هو الذي يهديكم إليها بالنجوم والعلامات المجعولة لها والاستدلال بالدلائل.

قوله: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾: بينَّا معناه والقراءةَ فيه في سورة الفرقان.

---

(١) في (أ): «سبباً»، والمثبت من باقي النسخ، ومثله في مطبوع «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٤ ـ ٤٥)، وما بين معكوفتين منه.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: وهذا ظاهر.

* * *

(٦٤) ـ ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾: كانوا مقرِّين بأن الله تعالى هو الذي يبدأ الخلق، فأما قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فهم وإن جحدوه فهم محجوجون بالنشأة الأولى، فلزمهم الأمران، و﴿ٱلْخَلْقَ﴾ بمعنى المخلوق، وهو واحدٌ، فلذلك قال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: من الأرض بالنبات.

قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: فسَّرناه ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حُجَّتكم على ما تقولون من أن الأصنام شركاءُ لله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في هذه الدعوى، فإنا قد أقمنا البرهان على قدرة الله وربوبيته وإلاهيته[1] ووحدانيته.

وقيل: قل لهم إن قالوا: إنه يفعل ذلك معه غيره: هاتوا حجتكم على ذلك، ولا يجدون فيلزمهم الانقياد للحق.

* * *

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: سأل هؤلاء المشركون رسول الله ﷺ عن القيامة: متى هي؟ فكان يُوْعدهم بذلك، فقال الله

(١) في (أ): «وألوهيته».

تعالى له: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: لا تعلم ملائكة السماء ولا الجنُّ والإنس في الأرض غيباً، وهو مما استأثر الله بعلمه، وهذا من الغيب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: ما تعلم أهل السماء والأرض ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ متى يحشرون.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾[1]: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿بل أَدْرَكَ عِلْمُهم في الآخرة﴾، والباقون: ﴿ادَّارَكَ﴾[2]، ومعناه: تدارك، وأُدغمت التاء في الدال وسكِّنت فأُدخلت في أولها الألف ليُبتدأ بها[3].

فمَن قرأ: ﴿أَدْرَكَ﴾ فمعناه عند بعضهم: بَلَغ علمهم في الآخرة؛ أي: خطر على قلوبهم أن البعث كائنٌ ثم الْتَبَس وقته.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾: أنه يكون أو لا يكون ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: جاهلون لا يعلمون كونَها ولا يعتقدون ذلك.

وقيل: هذه الصفات الثلاث لفرقٍ ثلاث[4]: منهم فرقة علمت بها، وفرقة شكَّت، وفرقة أنكرت.

ومَن قرأ ﴿ادَّارَكَ﴾ فمعناه: تتابع واجتمع[5]، ثم له وجوه:

---

(١) في (ف): «بل أدرك... ».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

(٣) في (ف): «لابتدائها» بدل: «ليبتدأ بها».

(٤) في (أ): «بل».

(٥) «واجتمع» ليست في (ف)، وهذا المعنى ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠) في معاني قراءة: (ادَّارك) فقال: ويقال: اجتمع علمهم في الآخرة أنّها كائنة وهم في شكٍّ من وقتها. وقد تقدم عند المؤلف نحوه في القراءة المذكورة، لكنها مرادة له هنا في هذه القراءة كما سيأتي في بعض معانيها.

أحدها: تتابع زعمُهم الذي هو علمٌ عندهم في الآخرة أنها لا تكون، وهذا في ابتداء القول ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾: أنها تكون أو لا تكون، بعد التأمُّل[1] ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: باقون على الجهالة غيرُ مُـمْعِنين[2] النظرَ حتى يعرفوا كونها.

وقيل: ﴿ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾؛ أي: تتابع علمُ المؤمنين على كونها، ﴿بَلْ هُم﴾؛ أي: المنافقون ﴿فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم﴾؛ أي: المشركون ﴿مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

وقيل: ﴿ادَّارَكَ﴾ ماضٍ بمعنى المستقبل كسائرِ ما ذكر من أحوال القيامة: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٤٨] ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]؛ أي: يدَّارك[3] علمُهم في الآخرة، يعني: يتتابع[4] يومئذ علمهم[5] ويجتمع على التيقُّن بها وهم في شك وعمًى في الدنيا، وهو كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨].

وبعضهم قالوا: ألف الاستفهام في أوله مقدَّرة، فتكون بمعنى النفي مع أن ظاهره إثبات، وألفاظ السلف على هذه الأقاويل دالة.

وقال السدي: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾[6]؛ أي: ما عَمِي عليهم من ذلك في الدنيا علِموه في الآخرة[7].

---

(١) في (ر) و(ف): «التأويل».

(٢) في (ف) و(أ): «منعمين».

(٣) في النسخ: «تدارك»، والصواب المثبت.

(٤) في النسخ: «تتابع»، والصواب المثبت.

(٥) في (ف) و(أ): «عليهم».

(٦) في (ف): «بل أدرك...»، وانظر التعليق الآتي.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٥) بلفظ: (﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: اجتَمع عليهم =

وقال مجاهد: يدرك علمهم في الآخرة إذا عاينوها[١].

وفي[٢] رواية: لم يدرك علمهم في الآخرة[٣].

وقال القتبي: ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: ظنٌّ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ يقولون تارةً: يكون، وتارةً: لا يكون[٤].

* * *

(٦٧ ـ ٧٠) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾: أي: من القبور أحياءً.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قبل هذا ﴿إِنْ هَذَا﴾؛ أي: ما هذا ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبُ سطرها الأولون.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: في البلاد ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: المكذِّبين.

= يومَ القيامةِ ﴿بَلْ هُمْ﴾ منها اليومَ ﴿فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾). وذكره الأزهري في «معاني القراءات» (٢/ ٢٤٣) في معنى قراءة: (ادَّارك) بلفظ: (اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يَشُكوا ولم يختلفوا).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣١٣) (ط: دار التفسير) بلفظ: (يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لأنّهم كانوا في الدنيا مكذِّبين). ورواه ابن وهب كما في «تفسير القرآن من الجامع» (٩٩) بلفظ: (ما جهلوه في الدنيا علموه في الآخرة).

(٢) في (ر) و(ف): «وقال مجاهد في».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٥).

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٠).

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد أن يهلكوا فإنهم مستحِقُّون لذلك ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾؛ أي: لا يَضيقنَّ عليك أمرُك ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: من مكرهم؛ أي: لا تظنَّ ظفرهم بك، فإن الله ناصرُك ومهلكُهم.

* * *

(٧١ ـ ٧٣) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾: أي: العذاب الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في إخباركم عنه، يخاطبون به النبيَّ ﷺ وأصحابه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾؛ أي: دنا منكم، فهو آتيكم من ورائكم، وهذا فعلٌ يُعدَّى باللام وغيرِ اللام، وما رَدِفَ الشيءَ فقد قَرُبَ منه.

﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب في الدنيا: الأسرِ والقتل، وقيل: القحط. وقيل: عذاب القبر وباقيه[1] في الآخرة من عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: على الكفار بتأخير العذاب عنهم، وقيل: ببعث الرسول.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يؤدون شكر نعمه بالإيمان.

* * *

(٧٤ ـ ٧٦) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٧٥) إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «وما فيه».

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: أي: تُسرُّ[1] وتكتُم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: يظهرون بالقول والفعل، فليس تأخيرُ العذاب لخفاءِ ما يُضمرونه ويُظهرونه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾: أي: خصلةٍ غائبةٍ عن رؤيتكم أو علمكم ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: مُثْبتةٌ في اللوح المحفوظ.

وقيل: معلومةٌ عند الله محفوظة.

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختلفوا فصاروا أحزاباً، فأُنزل القرآن ببيان ذلك[2].

واختلفوا أيضاً في النَّسخ، وفي صفة عيسى، وفي تعيين المبشَّرِ به في الكتاب أنه نبيُّ آخِرِ الزمان، وأشياءَ كثيرةٍ.

وإنما قال: ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ لأنه بقي اختلافٌ كثير لم يبيِّنه الله تعالى، وإنما بيَّن كثيراً من ذلك، وهذا تحريكٌ للمشركين على اتِّباع القرآن، فإنه لمَّا كان فيه بيانٌ لأهل الكتاب، وأنتم ترجعون إليهم في كثير من أموركم، فلمَ تركتم أنتم هذا الكتاب وهو منزلٌ على نبيِّكم بياناً لكم؟

* * *

(٧٧ ـ ٧٩) ـ ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.

﴿وَإِنَّهُ﴾: أي: القرآن ﴿لَهُدًى﴾؛ أي: إرشاد ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما اتَّبعوه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلفوا فيه ﴿بِحُكْمِهِ﴾ الحقِّ في الآخرة،

---

(١) في (ر): «تستر».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٩٥) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

بمجـازاةِ كلِّ أحدٍ علـى وَفق عمله، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾[1] فـلا يُعارَض حكمُه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فـلا يخفى عليـه المطيـعُ مـن العاصي.

وقيل: يقضي بينهم في الدنيا بحكمه فيما حرَّفوه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يردُّ بأسه عمَّن خالف حكمَه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يخفَى عليه الصواب.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يا محمد فإنه ناصرُك على مَن خالفك ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾؛ أي: الظاهرِ لمن نظَر إليه بعينِ قلبه.

* * *

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أي: ليس[2] في طاقتك إدخالُ الإيمان في قلبِ من لا يتدبر القرآن[3].

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ أي: الذين تصامُّوا[4] عن سماع الحق وولَّوا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾: وقرأ حمزة: ﴿تَهْدي العُمْيَ﴾ خطاباً له بالفعل[5]، و﴿العُمْيَ﴾ نصب لأنه مفعول.

---

(١) في جميع النسخ: «إنه هو العزيز»، والمثبت موافق للفظ الآية.

(٢) في (ر): «ما».

(٣) في (أ): «الإيمان».

(٤) في (ف): «صموا».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

﴿إِن تُسۡمِعُ﴾: أي: ما تُسمع ﴿إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: يصدِّق بها ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾: منقادون للحق، فالميت هو الكافر، والأصم والأعمى: هو المعرِض عن رؤية الحق وسماعِه.

وليس في وسع النبي عليه السلام هدايةُ الكافر، وهو إثبات فعل الاهتداء له، والله تعالى هو معطي الاهتداءِ وموصلُ العبدِ إلى سماع الحق ورؤيته، وإنما يعطيه مَن عَلِم منه اختيارَ الحق، فأما مَن علم منه اختيارَه الباطل فإنه يخذله ويدَعه وما يختاره.

* * *

(٨٢) ـ ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: وجب العقابُ عليهم ونزولُ العذابِ الموعودِ بهم، ومعناه: قرُب قيامُ الساعة، وظهرت الأيام التي لا يُقبل معها الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: علَماً من أعلام الساعة ﴿تُكَلِّمُهُمۡ﴾؛ أي: تخبرهم وتقول: ﴿إن الناس﴾ على قراءة الكسر، ومَن فتَح فعلى وقوع الفعل عليه[1].

﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: أي: الكفار الذين حقَّ عليهم القول كانوا بآياتنا لا يصدِّقون ويشكُّون، فقد أتى ما أزال الشكوك عنهم، وأَشرفوا على العقاب الذي كانوا يُوعدون.

وقال مقاتل: ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من أرض مكة، وهي دابة لها زغبٌ وريشٌ وجَناح[2].

---

(١) قرأ الكوفيون بفتح الهمزة والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٧).

وقال قتادة: تخرج من وادٍ من أودية تِهَامة[١].

وقال علي: تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون إليها[٢] فلا يخرج إلا ثلثُها[٣].

وقال مقاتل بن حيان: لا يخرج إلا رأسها، ورأسُها يبلغ عنان السماء[٤].

وقال الحسن: لا يتمُّ خروجها إلا بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون، وهي تسير سيرَ الشمس.

وقال السدِّي: ثم تعود إلى ما كانت عليه قبل خروجها.

قال عبد الله بن عمرٍو: لو شئتُ لتنعَّلْتُ بنعلي هذه ثم قمتُ فأَرَيْتُكم الموضعَ الذي تخرج منه الدابة، وهو يومئذ بمكة[٥].

وقيل: تخرج من بين الصفا والمروة.

وقال وهب: تخرج ومعها عصا موسى وخاتمُ سليمان، فتمسح وجه المؤمن

---

(١) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٦). ورواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٦٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥)، من طريق قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «إليها» من (أ).

(٣) ذكره عن علي رضي الله عنه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٣٨٤). ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٥٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٢٨٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٧٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢١ ـ ١٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً، وانظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٧)، وليس فيه سوى قوله: (فإذا خرجت بلغ رأسها السحاب).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٤).

بعصا موسى فيَبْيضُّ، وتختم بين عيني الكافر بخاتم سليمان فيَسْودُّ وجهه، فلا يبقى إلا مسودُّ الوجه ومبيضُّه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تنكُت في وجه المؤمن فيبيضُّ وجهه، وفي وجه الكافر فيسودُّ وجهه[٢].

ولا يكون حينئذ إلا كافر ومؤمن، فيقول المؤمن: يا كافر اقْضِني حقِّي، ويقول الكافر للمؤمن: يا مؤمن اقض حقِّي[٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «لها ثلاث خرجات، تخرج أولاً من أقصى اليمن، فيفشو ذكرُها في أهل البوادي ولا يدخل ذكرُها مكة، ثم تكمُن دهراً طويلاً[٤] فبينا الناس في أعظم المساجد حرمةً وأكرمها عند الله ـ يعني: المسجدِ الحرام ـ فما يَهولُهم إلا

---

(١) في (ر) و(ف): «وأبيضه». وهذا الخبر رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٣٧)، والترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٤٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جُدْعان. وقال الترمذي: حسن غريب!

(٢) جزء من خبر رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، وعنه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٢)، من طريق قتادة عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، والقطعة المذكورة هي من قول ابن عمرو. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٦) ووقع فيه: قتادة عن عبد الله بن عمر.

(٣) هذه قطعة من حديث رواه الطيالسي في «مسنده» (١٠٦٩)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٣)، عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنه مرفوعاً. وللحديث فيهما إسنادان: الأول فيه إبهام الراوي عن حذيفة، والثاني فيه طلحة بن عمرو وهو متروك. ورواه بالإسناد الثاني الطبراني في «الكبير» (٣٠٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩٠) وقال: صحيح الإسناد! وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧): فيه طلحة بن عمرو وهو متروك.

(٤) بعدها في (ر): «ثم تخرج في البادية فيفشو ذكرها في مكة ثم تكمن دهراً طويلًا»، وليس في (أ) و(ف).

خروجها من بين الركن الأسود حذاءَ دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد، فيتفرَّق الناس، فقوم يهربون وقوم يبقون للنظارة...»[١].

وقال أبو الجوزاء: سألتُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: تكلِّمهم أو تَكْلِمهم؟ فقال: كل ذلك تفعل تكلِّم المؤمن وتَكْلِم الكافر[٢].

وقال كعب: صورتُها صورة الحمار.

وقال وهب[٣]: وجهُها وجهُ رجلٍ، وسائرُ خَلقِها كخَلْقِ الطير، فتُخبر مَن رآها أن أهل مكة كانوا بمحمدٍ والقرآنِ لا يوقنون[٤].

---

(١) قطعة من حديث حذيفة بن أسيد السابق وإسناده ضعيف كما تقدم. ورواه بنحوه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٧٥)، ونعيم في «الفتن» (١٨٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩١) وصححه، عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) ذكره عن أبي الجوزاء الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٧٧)، وأبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٦) لكن السائل فيه أبو داود نفيع الأعمى، وهو متروك كما في «التقريب».

(٣) «وهب» من (أ)، وفي (ف): «وقيل».

(٤) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٨٠). وهذا وما سبقه وأمثالهما من الأخبار كله من الإسرائيليات، وفيها اختلاف وتناقض، حتى قال أبو حيان في «البحر» (١٦/ ٤٨٦): (اختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحلِّ خروجها وعددِ خروجها ومقدارِ ما يخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافا مضطرباً معارِضاً بعضه بعضاً، ويكذِّب بعضه بعضاً، فاطَّرحنا ذكره لأن نقله تسويدٌ للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله).
ووافقه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ٦٦) فقال تعقيباً على كلام أبي حيان: (وهو كلام حق، وأنا إنما نقلت بعض ذلك دفعاً لشهوة مَن يحب الاطلاع على شيء من أخبارها صدقاً كان أو كذباً، وقد تصدى السفاريني في كتابه «البحور الزاخرة» للجمع بين بعض هذه الأخبار المتعارضة ولا أظنه أتى بشيء، ثم إن الأخبار المذكورة أقربها للقبول الخبر الذي حسنه الترمذي، ومن الأخبار في =

(٨٣) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: ثم ذكر قيام الساعة بعد ذكر هذه الأعلام فقال: واذكر يوم نجمعُ من كلِّ أمة من أمم الأنبياء زمرةً ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المنزلةِ على أنبيائنا[1]، وبالآيات الدالة على وحدانيتنا في الآفاق ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُحبس أولُهم على آخرهم ليجتمعوا، ثم يساقون إلى موضع الحساب، وهي تقاربُ قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

***

(٨٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾: أي: اجتمعوا وتلاحقوا ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾؛ أي: قال الله عز وجل موبخاً: أكذَّبتم بآياتي المنزلةِ على رسلي ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾ الألف المذكورة في الأول مقدَّرةٌ في الثاني، منقولةٌ عن الأول معنًى: أكذَّبتم بآياتي ألم[2] تحيطوا بها علماً أنها من عندي، وهو كقوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الألف مقدَّرة في الثاني منقولةٌ عن الأول معنًى.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في تكذيب آياتي.

وقيل: معناه: لـمَ عملتُم ما عملتُم من الكفر والمعاصي.

= هذا الباب ما صححه الحاكم، وتصحيحه محكوم عليه بين المحدثين بعدم الاعتبار، وقصارى ما أقول في هذه الدابة: إنها دابة عظيمة ذات قوائم ليست من نوع الإنسان أصلاً يخرجها الله تعالى آخر الزمان من الأرض...).

(١) في (ر) و(ف): «الأنبياء».

(٢) في (أ): «كذبتم بأياتي ألم»، وفي (ف): «كذبتم بآياتي أي لم»، وفي (ر): «أكذبتم بآياتي أي لم». والصواب المثبت.

(٨٥ ـ ٨٦) ـ ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم ﴾: أي: حقَّ وعيدُ العذاب عليهم ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم ﴾؛ أي: أشركوا ﴿ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ ولا يؤذَن لهم في التكلُّم بالعذر.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾: وهذه الآية ظاهرة بيِّنة[1] لا يتهيَّأ لهم جحدُها والاختلافُ فيها والتكذيبُ بها، فكيف كذبوا بآياتي وهي بهذه الحالة؟

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: أي: لمن كان همُّه الإيمان.

وقيل: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾؛ أي: ألم يعلموا العلمَ والفهمَ[2] الذي يقوم مقام العِيَان ﴿ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ قِواماً لمعاشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم نجعله[3] عبثاً بل محنة وابتلاء، ولا بد عند ذلك من ثوابٍ وعقاب، فإذا لم يكن في هذه الدار فلا بدَّ من دارٍ أخرى، وفي ذلك صحة البعث.

* * *

(٨٧) ـ ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾.

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾: قيل: النفخةُ الأولى ﴿ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فزعاً يموتون منه؛ كما قال: ﴿ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٦٨].

---

(١) «بينة» ليست في (أ).

(٢) «والفهم» ليست في (أ).

(٣) في (ف) و(أ): «يجعل».

وفي تفسير ابن حبيب: يُنفخ ثلاث نفخات: الأولى نفخةُ الفزع، ثم بعده بأربعين يوماً نفخةُ الصَّعق، ثم نفخة البعث.

وقال: ﴿فَفَزِعَ﴾ بعد قوله: ﴿يُنفَخُ﴾، والأول مستقبل وهذا ماضي لأن تقديره: فإذا نفخ في الصور.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: هم الشهداء لأنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون.

وقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وقيل: هو إدريس النبيُّ عليه السلام.

وقيل: هم الحور العين في الجنة، وخزَنتُها وخزنةُ أهل النار في النار.

وقيل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: هو يومُ القيامة، وهي النفخة الثانية، وقوله: ﴿فَفَزِعَ﴾ هو من هيبتهم من أهوالها، كما قال: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ الآية [الحج: ٢] ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هم المؤمنون المطيعون؛ كما قال في آخر هذه السورة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

وقيل: هم الشهداء.

وفي «تأويلات» الإمام أبي منصور عن النبي ﷺ: «ما أعطي آدميٌّ بعد النبوة أفضلَ من الشهادة، لا يسمع الشهداء الفزعَ يوم القيامة إلا كرجلٍ قال لصاحبه: أتسمع؟ قال: أسمع كتأذين الصلاة»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾: قرأ حمزة وعاصمٌ في رواية حفصٍ مقصوراً على أنه فعل، والباقون ممدوداً على أنه نعتُ الفاعل[2]، وإنما جمع لأنه أراد به الجمع.

---

(١) في (ف): «وتأويلات أهل السنة» (٨/ ١٤١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

وقال في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾ [مريم: ٩٥] على الانفراد؛ لأنه أراد به: وكلُّ واحدٍ منهم، فإن الكلمة عامةٌ عمومَ الانفراد.

﴿دَٰخِرِينَ﴾: أي: صاغرين منقادين، والفعلُ من بابِ صنع.

***

(٨٨) ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: أي: واقفةً[١] في مرأى العين لكبرها[٢] ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: تسيرُ سيرها، فقد[٣] قال تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧].

وكلُّ كبير متكاثفٍ إذا تحرَّك لم تتبيَّن حركتُه، قال الشاعر يصف جيشاً:

بأرعَنَ مِثْلِ الطَّودِ تَحْسَبُ أنهم ... وقوفٌ لحاجٍ والرِّكاب تُهَمْلِجُ[٤]

وقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ﴾: أي: هذا من صنع الله، وهو ما حدَث بالجبال ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: أي: أحكم.

---

(١) في (ر): «واقعة».

(٢) في (ف) و(أ): «لكثرتها».

(٣) في (ر): «بعدما»، وليست في (ف).

(٤) البيت للنابغة الجعدي، وهو في «ديوانه» (ص: ١٨٧)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٨٩١).
قال ابن قتيبة: أرعن: جيش كثير مثل رعن الجبل، والرعن: أنف يتقدم من الجبل فينسلُّ في الأرض، والطَّود: الجبل؛ أي: من كثرتهم تحسب أنهم وقوف وركابهم تسير.

يقول: هو الله الذي[١] خلق الأشياء فأَحْكم خَلْقها على ما ينبغي، ويبقيها إلى الوقت الذي شاء ثم يفنيها ويزيلها عن هيأتها، فيفعل في كلِّ حين بكلِّ شيء ما يشاء.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾: أي: عالم بما يفعله مَن في السموات ومَن في الأرض.

* * *

(٨٩) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾: أي: مَن جاء يوم القيامة بالحسنة، أكثر المفسرين على[٢] أن الحسنة هنا: كلمة الإخلاص، والسيئةَ ضدُّها وهو الشرك؛ لأنه قال في حقها: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾.

﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾: قال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير: فله منها خير[٣]؛ أي: لا يريد به التفضيل، فلا شيء أفضلُ من الإيمان، لكن المراد به: له منها[٤] نفعٌ وخير؛ أي: ثوابٌ وكرامة، بخلافِ قوله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية [القصص: ٨٤] هناك معناه: فله أفضل منها؛ أي: التضعيفُ بالعشر والزيادة؛ كما قال: ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقيل: الحسنة عامة الحسنات، ورأسها كلمةُ الإخلاص؛ أي: مَن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة فله من ثواب الله أفضل من عمله، فإن الثواب فعلُ الله، والإيمانَ والعملَ الصالح فعلُ العبد، وهو سبحانه يُثيب العبد بأفضل من عمله تفضُّلاً منه.

---

(١) في (أ): «هذا هو الذي».

(٢) في (أ): «قال أكثر المفسرين» بدل: «أكثر المفسرين على».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٨).

(٤) في (ر): «المراد به له منها» بدل: «لكن أراد به له فيها».

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بفتح الميم، وقرأ الباقون بغيرِ التنوين وخفضِ الميم على الإضافة[1].

وهذا الوعدُ في حقِّ المؤمن المطيع على الإطلاق، وفي حقِّ المؤمن العاصي: هو الأمن من الفزع الأكبر، وهو نداء القطيعة والإخبارُ بالتخليد في النار.

* * *

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: أي: بالشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقول لهم الملائكة يومئذ هذا.

وقيل: هو خطاب الله لهم في الدنيا؛ أي: هل تُجزون يومئذ إلا على وَفق عملكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾: أي: قل يا محمد: إنما أمرني الله ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾؛ أي: مالكَ هذه البلدة، وهي مكةُ التي بها تفخَر العرب على سائر الناس، وبها يسمَّون أهلَ الله وسكانَ بيته، فأنتم أولى بموافقته على ذلك.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة الرب ﴿حَرَّمَهَا﴾: جعل لها حرمةً ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: هو مالك كلِّ شيء غيرِ البلدة، فإنه مالك الدنيا والآخرة وربُّ العالمين.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين له والمتديِّنين بدينه الحقِّ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٠). وقراءة نافع المشهورة عنه بفتح الميم في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾: لأعرفَ الحلالَ والحرام، وسائرَ الأحكام، وما يقتضيه الإسلام، وأعرِّفكم ذلك.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾: إلى الحق ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾: فله نفعُه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الحق ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾: ما عندي إلا النذارةُ[1]، وليس لي إكراهُه على الحق وإجباره.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على هدايتنا ونصبِ الدلالات على الحقِّ في حقِّ الكل ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ في المستقبل مع ما أراكم[2] منها في الماضي.

وقيل: هي الآيات التي هي أشراط الساعة.

وقيل: أي: سيُريكم أعلامَه الدالةَ على سخطه عليكم ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ وتعلمون صدقي فيما كنت أَعِدُكم منها.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3]: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء المغايبة، والباقون بتاء المخاطبة[4]، وهي لأهل مكة.

والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) في (أ): «إنذاره».

(٢) في (ف): «أريتكم».

(٣) في (ف): «يعملون».

(٤) القراءة بتاء المخاطبة هي قراءة نافع وابن عامر وحفص، والباقون بياء المغايبة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

سُورَةُ القَصَصِ

سُورَةُ القَصَصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي منَّ على الذين استُضعفوا في الأرض فجعلهم أئمَّة، الرحمنِ الذي جعل للعرب حرماً آمناً يُجبى إليه ثمراتُ كلِّ شيء تفضُّلاً[1] منه ونعمَة، الرحيمِ الذي ابتَعث محمداً ﷺ بالرسالة وما كان يرجو أن يُلقى إليه الكتاب إلا رحمة.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ (طسم القصص) كان له من الأجر عشرُ حسنات بعدَدِ مَن صدق بموسى وكذَّب به، ولا يبقى ملَك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً بأن كلَّ شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون»[2].

وسورة القصص مكية إلا قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] الآيات فإنها جُحْفيَّة ليست بمكيةٍ ولا مدنية[3].

---

(١) في (أ): «فضلًا».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩٤)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) وردت فيه أخبار منقطعة، منها ما رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١٣) فقال: (بَلَغني أنَّ النَّبيَّ ﷺ وهو مُوَجِّهٌ من مكة إلى المدينة حين هاجَرَ نَزَل عليه جبريلُ وهو بالجحْفَةِ فقال: أتشتاقُ يا =

وهي ثمانٍ وثمانون آيةً، وألفٌ وأربعُ مئة وثلاثون كلمة[1]، وخمسة آلاف وثماني مئة حرف.

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه بيَّن في آخر تلك السورة استحقاقَه الحمدَ بالقدرة والعلم، وأثنى على نفسه في أول هذه السورة بالطَّول والسَّناء[2] والملك.

وانتظامُ السورتين: أنهما جميعاً في الاحتجاج على المشركين، والوعظِ لهم، وبيانِ وحدانية الله تعالى[3]، وحُسن العاقبة للمؤمنين، ووقوعِ الهلاك بالكافرين وإيضاحِ ذلك بقصص الماضين.

ثم هذه السورةُ فيها قصصُ موسى وفرعون وقارون.

ومعنى وصله قصةَ قارون بقصة موسى: أنه مع قُرب قرابته بموسى لمَّا بغى

= محمدُ إلى بلادك التي وُلدْتَ بها؟ فقال: نَعم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] إلى مولدِكَ الذي خرجْتَ منه ظاهِرًا على أهلِه). وهكذا رواه الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠١) عن يحيى، وكذا ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩) دون سند أيضاً. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٦) من طريق مقاتل عن الضحاك قال: لَمَّا خَرَج النَّبيُّ ﷺ مِن مكة فبلغ الجُحْفَةَ اشتاق إلى مكة، فأَنزَل اللهُ تباركَ وتعالى عليه القرآنَ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مكةَ. وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٧) على السند السابق ابن عباس فقال: قال مقاتل: قال الضحاك: قال ابن عباس: (إنّما نزلت بالجحفة ليس بمكة ولا المدينة)، وهذا منقطع.

(١) في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠١): (وكلمها ألف وأربع مئة وإحدى وأربعون) ووافقه في عدد الحروف.

(٢) في (ر) و(ف): «والثناء». والسناء: الرفعة.

(٣) في (ر) و(ف): «وحدانيته».

عليه انتقم الله منه، فكذا العربُ مع قرب قرابتهم من رسول الله ﷺ إذا[1] كذَّبوه وآذَوه استحَقُّوا ذلك.

وقيل: مدارُ هذه السورة على الحثِّ والإصلاح في الأرض وتركِ العلوِّ والفساد فيها، فإنه قال في أولها: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. وقال في آخرها: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾.

***

(١ ـ ٣) ـ ﴿طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿طسم﴾ فسَّرناه ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ كذلك.

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾: أي: يقرأ عليك جبريل بأمرنا ووحينا ﴿مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾؛ أي: من خبرهما، و﴿مِنْ﴾ للتبعيض، فإن المذكور هاهنا بعضُ خبرهما.

﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بالصدق.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: من أجلهم؛ ليَعْلموه وينتفِعوا به.

وقيل: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لقوم همَّتُهم الإيمانُ والتصديق بما يتَّضح بيانه ليتدبَّروه فيعلموه.

وعلى الأول بشارةٌ وتعرفةٌ[2] للَّذين قد آمنوا إذا تأمَّلوا في هذه القصة، وعلى الثاني تنبيه للَّذين همتُهم ذلك في المستقبل لتتَّضح لهم الحجة.

---

(١) في (ر): «لما».

(٢) في (أ): «وتعزية»، وفي (ف): «ومعرفة».

(٤) ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: وهذا ابتداء القصة؛ أي: إن فرعون علا في زمانه في أرض مصر لأن ملكه لم يَعْدُ مصر؛ أي: ارتفع وغلب مَن تحتَ يده بكثرة أمواله وأتباعه.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: أي: فرقاً.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾: أي: يستذل، ومضمونه ويكرم طائفةً منهم[١].

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾: أي: الصغارَ من الذكور.

﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: أي: يستبقي الصغائرَ من إناثهم، وقيل: أي: يسترقُّ.

وقيل: أي: يأمر بتفتيش حياء النساء ـ أي: فروجِهن ـ: هل بهن ولد.

وقد أوضحنا الكلمتين[٢] في سورة البقرة.

وقيل: (يُذبِّح ويَستحيي) تفسيرُ الاستضعاف، فليس بينهما حرفُ عطف.

وقيل: بل الاستضعاف: الاستعبادُ والاستسخارُ والاستعمالُ في الأعمال الشاقَّة القذرة[٣]، وهو في حقِّ كلِّ بني إسرائيل منه، و(يُذبِّح ويَستحيي) فعلان آخران منه بالصِّغار والصَّغائر[٤] منهم.

وقيل: ﴿طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم كلُّ بني إسرائيل، والطائفةُ الأخرى هم القِبْط، وكان الإكرام لهم.

---

(١) «منهم» من (أ).

(٢) في (ر): «الكلام»، وفي (ف): «الكلامين».

(٣) في (ر): «في القدرة».

(٤) «والصغائر» من (أ).

وقيل: بل الطائفتان من بني إسرائيل.

قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: في الأرض: بإظهار الكفر والمعاصي، واستعبادِ الأحرار، وقتل الأبناء والتسخير[1].

* * *

(٥) ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: كان فرعون يفعل بهم ذلك ونحن نريد أن نتفضَّل[2] على بني إسرائيل الذين استُضعفوا[3] في الأرض؛ أي: في بلاد مصر.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: أي: قادةً في الخير، ودعاةً إلى الدِّين يُقتدَى بهم.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: ونُوْرِثهم أرض مصر، وقد قال: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

* * *

(٦) ـ ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: ونجعلَهم مقتدِرين على الأرض وعلى أهلها حتى يستولوا عليها، وهي أرض الشام.

---

(١) في (أ): «والتجبر».

(٢) بعدها في (ف): «﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾»

(٣) في (ر) و(ف): «المستضعفين» بدل: «الذين استضعفوا».

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾: أي: يخافونه من بني إسرائيل من سلْبهم مُلكَهم واستيلائهم على بلادهم على ما قال كهنتُهم ومنجِّموهم أنه يصير كذلك، حتى دعاهم ذلك إلى قتل أبنائهم واستحياء نسائهم[1] على ما مر بيانه في سورة البقرة وسورة الأعراف.

***

(٧) ـ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: قيل: كان اسمها نوخابد[2] بنت لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: أي: ألهمناها وقذفنا في قلبها، وهو قول الحسن وقتادة رحمهم الله، وليس هذا وحي رسالةٍ[3].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويجوز أن يكون برسالةِ رسولٍ إليها أخبرها به ولا تكون هي رسولاً؛ كإرسال جبريل إلى مريم ولم تَصِرْ مريم بذلك رسولاً[4].

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: أي: اسقيه اللبن.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: أن يُعلَمَ به فيقتلَ ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: فاطرحيه في

---

(١) في (ف): «بناتهم».

(٢) في (ر): «يوحنا»، وفي (ف): «يوخاند». وفي اسمها اختلاف بين المصادر، ولا ضابط. انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٣٣)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٣٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٩١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، عن قتادة.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (/ ١٤٩).

النيل، وهو بحر مصر، وبيَّن كيفيةَ الإلقاء في سورة طه، وهو قوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩](١).

﴿وَلَا تَخَافِى﴾ عليه الضيعة والهلكة(٢) ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾: ولا تهتمِّي لفراقه.

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أي: فإني أردُّه إليك سالماً وأبلِّغه مبلغاً يصلح للرسالة، فأجعلُه رسولاً إلى فرعون وقومه فيكون رئيساً عليهم، وإن لم ينقادوا له أهلكتُهم.

وبيَّن الزيادة عليه في تلك السورة: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩].

* * *

(٨) ـ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾: وهاهنا مضمَر: فأرضعَتْه وخافت عليه فألقَتْه في اليم ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: أخذوه وقد وجدوه من غيرِ طلبٍ، هو معنى الالتقاط، وكذلك أخذُ اللُّقَطة واللقيط.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: قال الكوفيون: هي لام (كي)، وقال البصريون: هي لام الصيرورة، وقيل: لام العاقبة؛ أي: صاروا في العاقبة كذلك، وحقيقته: كان في علم الله ذلك، فالتقطوه فكان ﴿لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، ﴿عَدُوًّا﴾ لمخالفتهم في الدين ﴿وَحَزَنًا﴾ لِمَا يجري من المكاره بسببه عليهم أجمعين، وهو كما يقال:

---

(١) بعدها في (ف): «أي فاطرحيه في النيل».

(٢) في (أ) و(ف): «والهلاك».

لِـدُوا للمـوت وابنُـوا للخـراب[١]

قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: أي: آثمين بالكفر والمعاصي، فعوقبوا على ذلك بما جرى[٢] عليهم بسببه.

قال وهب: لمَّا حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميعَ الناس ولم يطَّلع على حملها أحد، وكان فرعون بعث القوابل يفتِّشن النساء، ولم تنتفخ بطن أم موسى ولم يتغيَّر لونها، وكنَّ لا يعترضن لها، فولدته ليلاً ولا رقيب عليها، فلم يطَّلع عليها أحد إلا ابنتُها مريم، وكانت أسنَّ من هارون، وهارونُ أكبر من موسى بثلاث سنين، وكانت مريم تحت كالب بن يوقنا، وأوحى الله إليها: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية. فكتمَتْه أمُّه ثلاثة أشهر ترضعه في حِجرها لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت على نفسها وعليه[٣] عملت له تابوتاً على عمل سفن البحر خمسةَ أشبار في خمسةِ أشبار، فأقبل التابوت يطفو على الماء، فألقى البحرُ التابوت في الساحل في جوف الليل، فلما أصبح فرعون وجلس في مجلسه على شاطئ النيل فبصر بالتابوت، فقال لمن حوله من خدمه: ائتوني بهذا التابوت، فأتوه به.

وقال مقاتل: كانت أمُّه تَتْبع التابوت وترمقه ببصرها وتخاف عليه الغرقَ، وكان

---

(١) صدر بيت لأبي العتاهية كما في «الحماسة البصرية» (٢/ ٤٢٧)، وعجزه:

فكلكـم يصيـر إلـى ذهـاب

وهو في الديوان المنسوب لعلي رضي الله عنه كما في «الخزانة» للبغدادي (٩/ ٥٣١) عجز، وصدره:

لـه ملـك ينـادي كل يـوم

(٢) في (أ): «يجري».

(٣) في (أ): «خافت عليها وعليه».

الماء يرفعه مرةً ويَخفضه أخرى(١)، وإن جواريَ فرعون خرجن يستقين من النهر فرأين تابوتاً يجري به(٢) الماء فأخذنه.

وقال كعب: كان فرعون وامرأتُه قاعدَيْن على شطِّ بِرْكته(٣) فإذا هما بالتابوت، فأمر بأخذه، ففتح رأسه فإذا هما بغلام كأحسن ما يكون وأتمِّه، فلما رأياه لم تتمالك آسية حبًّا له.

وقال وهب: لمَّا نظر إليه فرعون قال: عبرانيٌّ من الأعداء، وغاظه ذلك وقال: كيف أخطأ هذا الغلامُ الذبح، وكانت امرأته آسيةُ بنتُ مزاحم من بني إسرائيل، وهي من خيار النساء ومن بنات الأنبياء، وكانت أمًّا للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم، فقالت لفرعون: إن هذا الولد أكبر من ابن سنة، وإنما أمرت بذبح الولدان في هذه السنة، فدَعْه يكون قرةَ عينٍ لي ولك، فذلك قوله تعالى:

* * *

(٩) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾: أي: هو قرةُ عين لي ولك، رقَّ قلبها له، ولعلها رأت من فرعون ما وقع عندها أن قلبه صار كذلك فقالت ذلك؛ أي: نرجو أن يكون لنا كالولد تقرُّ به أعينُنا.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: أي: لا تذبحوه كما تذبحون أبناء بني إسرائيل ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ كما ينفعُ الخادم ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾؛ أي: نتبنَّاه، ولم يكن لفرعون ابن.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٧).

(٢) في (ر) و(ف): «يجريه».

(٣) بعدها في (أ): «في الباغ» وفي (ر): «في الباع».

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ما ينالُهم من المكروه من جهة موسى.

وقيل: لا يشعرون بكرامته على الله.

وقيل: وهم لا يشعرون أنه من بني إسرائيل، فقد قالت آسية: إنما جاء التابوت من غير مصر، فليس هو من بني إسرائيل.

وقيل: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: بنو إسرائيل لا يعلمون أن آل فرعون التقطوه.

وقيل: هو تمام[1] كلام آسية؛ أي: نتخذه ولداً والناسُ لا يشعرون أنه ملتقَطٌ، بل يظنون أنه مولودنا.

قال وهب: فومِقَه[2] فرعون واستَحْياه، وألقى الله عليه محبته ورأفته، وقال لآسية: عسى أن ينفعك، وأما أنا فلا أريد نَفْعه.

قال ابن عباس: لو أن فرعون قال في موسى كما قالت آسية لنفعه الله به؛ ولكنه أبى ذلك للشقاء الذي كتبه الله عليه[3].

* * *

(١٠) ـ ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾: قيل: خالياً عن الصبر؛ كما قال: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

---

(١) «تمام» ليست في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «ووقفه». ومعنى «ومقه»: أحبه.

(٣) قطعة من حديث الفتون، وهو خبر طويل جدًّا رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: فارغاً عن كلِّ شيء إلا همَّ موسى.

وقيل: فرغ قلبُها حين علمت أنه حيٌّ في يد آل فرعون لا يقتلونه.

قوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾: أي: ما كادت إلا تُبدي به؛ أي: قَرُبتْ أن تُظهر ذلك، و(تُبدي به) بمعنى: تُبديه؛ كما قال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]؛ أي: المودةَ، والباءُ صلةٌ زائدة.

وقيل: أي: لتُبدي[1] القولَ به؛ أي: عجزت عن الاحتمال وقاربت من الإظهار.

وقيل: لفراغ قلبها وزوالِ خوفها أرادت أن تُظهر.

وقيل: ﴿فَٰرِغًا﴾ بوعدِ الله، وهو قوله[2]: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وكادت تبدي هذه البشارة.

وقيل: كادت تُبدي أنه ابنها حين أَخذ بثَدْيها.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: أي: شدَدْنا قلبَها وثبَّتْناه بالصبر، وحفظناها عن الإظهار، وفيه دليلُ خلقِ اللهِ أفعالَ العباد.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المصدِّقين بوعدنا.

* * *

(١١) ـ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ﴾: أي: أمُّ موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾؛ أي: لأخت موسى وهي مريم، وقيل: كلثم.

---

(١) في (أ): «التبدي» بدل من «أي: لتبدي».

(٢) «وهو قوله» ليس في (أ) و(ف).

﴿قُصِّيهِ﴾: أي: اتَّبعي أثره وامشي خلف التابوت على الشط.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: أي: رأته ﴿عَن جُنُبٍ﴾؛ أي: بُعْدٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: آلُ فرعون لا يعلمون أن أختَه تَقصُّه.

وقيل: رأوها ولم يعلموا أنها أختُه وأنها تتعرَّف أمره.

وقال وهب: لمَّا سمعت بأن آل فرعون التقطوا التابوت قالت لأخته: ﴿قُصِّيهِ﴾: تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا يفعلون به، فخرجت تقصُّه ودخلت مع القوابل على آسية، فلما رأت وَجْدَهم بموسى وحبَّهم إياه ورقَّتَهم عليه، وقد دعَوا بالمراضع، وكان لا يقبل الرضاع ولا يسكت بكاهُ ولا ينام، حتى شقَّ ذلك على فرعون وأحزنه، وذلك بسبب ما أراد الله تعالى بموسى وذلك قوله تعالى:

* * *

(١٢) ـ ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾: أي: منعناه من أن يَرضع، وليس هو تحريمَ نهي وتكليفٍ، و﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ يصلح جمعَ مرضعةٍ ومُرضعٍ بضم الميم: وهي المرأة، ويحتمِل أن يكون جمعَ مَرْضَعٍ بفتح الميم وهو الثديُ.

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ أن تأتيَه أمُّه.

وقيل: قبل حضور أخته.

وقيل: أي: قبل وجوده بالقضاء[1] السابق.

---

(١) في (ر) و(ف): «للقضاء».

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ﴾: أي: هل لكم حاجةٌ إلى أن أُرشِدَكم إلى أهل بيتٍ يكفُلون بموسى يضمنون[1] إمساكَه ويضمُّونه إلى أنفسهم للتربية والإرضاع.

﴿لَكُمْ﴾: أي من أجلكم وبسببكم ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾؛ أي: للصبيِّ ناصحون لا يمنعونه ما ينفعُه في تربيته وغذائه لا يخونونكم فيه.

وقال وهب: قالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ أي: ينصحون الملك في كفالته ويحرصون على مسرَّته؟ قالت لها آسية: نعم، قالت: إن حنَّةَ امرأةَ عمران قد ولدت غلاماً وأمر الملكُ بذبحه، وهي غزيرة اللبن طيبةُ النفس بأنْ تُرضع لكم هذا الغلامَ لحزنها على ابنها، فدلَّتهم على أم موسى، فبعث إليها فرعون، فلما دخلت عليه ناولها الابنَ فسكن بكاؤه، فلما وضعته في حِجرها ووجد ريحها الْتَقف ثديَها فرضع حتى رَوِي ونام، فمكث موسى عند أمه بعدما كفَلَتْه حتى فطمَتْه ثم ردَّته إليه.

* * *

(١٣) - ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: فالمحبُّ لا تَقَرُّ عينه إلا بلقاء المحبوب ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ عِلْمَ عِيانٍ، فقد كانت علمَتْ ذلك علمَ خبر، وهو ما قال لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: الكفار يتوهَّمون خُلفَ الوعد.

---

(١) في (ر): «موسى يضمنون».

وقال وهب: وكان من لُطف الله أن عطَّف الله فرعون على موسى، فنشأ[1] موسى في حجر فرعون وآسية يربِّيانه بأيديهما[2] وقد اتَّخذاه ولداً فأكرماه ونعَّماه، فبينا هو يلعب بين يدي فرعون يوماً وبيده قضيبٌ خفيف صغير يلعب به، إذ رفع القضيب فضرب رأس فرعون، فغضب فرعون وتطيَّر من ضربه، وقال لامرأته: ألَا تَرَيْن إلى هذا الغلام كيف تناولني بالقضيب، وقد كنتُ قلتُ لكم: إنه من الأعداء، فأراد قتله، فقالت امرأة فرعون: أيها الملك، لا تغضب ولا يشقَّنَّ عليك هذا، فإنه صبيٌّ صغير لا يَعقل شيئاً، وليس[3] ينبغي لملكٍ أن يغضب من مثل هذا، فجربه إن شئت فاجعل في هذا الطست جمرةً وذهباً فانظر إلى أيهما يقبض، فأمر فرعون بجمرةٍ وذهبٍ فوضعهما في طستٍ بين يدي موسى، فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكَّل به على يده فردها إلى الجمرة، فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها، فقالت آسية لفرعون لعنه الله: ألم أقل لك إنه لا يعقل شيئاً؟ فكف عنه فرعون وصدَّقها وترك قتله، فيقال: إن العقدة التي كانت في لسانه أثر تلك الجمرة[4]، وهي التي قال موسى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

* * *

(١) في (ر): «فأقام».

(٢) «بأيديهما» ليست في (ف).

(٣) في (أ): «ولا».

(٤) قطعة من خبر طويل رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٧) من طريق عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. وعبد المنعم بن إدريس قال عنه أحمد بن حنبل كما في «الميزان»: كان يكذب على وهب بن منبه، وقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره.

(١٤) ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي: شدةَ بدنه وقوَّته ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: تناهى شبابه وتم خلقه.

وقيل: الأشُدُّ: جمع شَدٍّ بالفتح؛ كالبَحْر والأَبْحُر.

وقيل: شُدٍّ بالضم؛ كالنُّعْم والأَنْعُم.

وقيل: جمعُ شِدَّة بالخفض[1] كالنِّعمة والأَنْعُم.

وقيل: لا واحدَ له من لفظه استعمالاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: بلغ مبلغ الرجال[2].

وقيل: هو اثنتا عشرةَ سنةً، وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

وقال قتادة: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾؛ أي: بلغ أربعين سنة[3].

وقيل: بلوغُ الأشُدِّ من ثماني عشرةَ إلى الثلاثين، ثم منها إلى الأربعين الاستواءُ.

وقالوا: خرج موسى من مصر إلى مدين وهو ابن اثنتي عشرةَ سنة، وكان عند شعيبٍ ثماني وعشرين سنة، وخرج بأهله إلى مصر وهو ابنُ أربعين سنة حين أوحى الله إليه وقد رأى النار من جانب الطور.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: قال محمد بن إسحاق: فقهاً في دينه وعلماً بشرائع دينه،

---

(١) «بالخفض» من (ف)، وفي (ر): «بالضم»، وليست في (أ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٠) عن ابن وهب في تفسير سورة يوسف، ولم أجده عن ابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٩٨) و(٢٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٢).

فكانت له من بني إسرائيل شيعةٌ[(١)] يستمعون منه ويقتدون به ويطيعونه، فلما عرف ذلك رأى أن مفارقة فرعون وقومِه حقٌّ عليه في دينه، فتكلَّم وعابهم على ذلك حتى ذكر ذلك[(٢)] منه، فأخافوه وخاف حتى كان لا يدخل مدينة فرعون إلا خائفاً مستخفياً[(٣)].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: أي: وكذلك نجزي من الأنبياء كلَّ مَن أحسنَ عمله لنا وصبر على طاعتنا؛ كما فعل موسى من مفارقتهم وعَيبِ آلهتهم، لما[(٤)] فعل ذلك فآتيناه ما آتيناه جزاء له على إحسانه.

* * *

(١٥) - ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾: أي: ودخل موسى مدينة فرعون ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ قال أكثر المفسرين: نصفُ النهار، ووقتُ القائلة وخلوِّ الطريق.

وقيل: بين المغرب والعشاء.

وقيل: كان يومَ عيد لهم وقد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم.

قوله: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾: يعني: يتشاجران ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾؛ أي:

---

(١) في (ر) و(ف): «وكان له... سبعة».

(٢) في (ر): «حتى تكرر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٢و١٨٤).

(٤) «لما» من (ف).

أحدهما من شيعة موسى؛ أي: مشايعيهِ، وهم بنو إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: والآخر من أعدائه، وهم قوم فرعون.

قال مجاهد: هذا سِبْطيٌّ وهذا قِبْطيٌّ[١].

وقال ابن إسحاق: هذا مسلم وهذا كافر[٢].

قيل: كان القِبْطيُّ قد تسخَّر الإسرائيليَّ.

وقيل: كانا كافرين، ولكن أحدُهما إسرائيليٌّ وكان من شيعة موسى بذلك لا بالدِّين، قاله قتادة[٣].

وقيل: ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾: يختصمان في الدِّين، أحدهما إسرائيليٌّ وكان من شيعة موسى يَدِين بدين التوحيد[٤] والنبوة، والثاني لا يدين بهما.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: أي: سأله الإسرائيليُّ أن يُغيثه[٥] بالخلاص من يد القبطيِّ.

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾: أي: وكزه موسى في صدره بجُمْعِ كفِّه وهو غيرُ عامدٍ لقتله ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: أي: فقتله وفرغ منه.

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ﴾: أي: قال موسى: إنما أغواني[٦] بهذا الفعل الشيطانُ وهيَّج غضبي حتى ضربتُ هذا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٧ ـ ١٨٨) عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٧).

(٤) في (أ) و(ر): «وكان بدين التوحيد»، بدل: «وكان من شيعة موسى يَدِين بدين التوحيد».

(٥) في (ر): «يعينه».

(٦) في (أ): «أغراني».

﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾: أي: إن هذا الشيطان عدوٌّ ﴿مُّضِلٌّ﴾: قاصدٌ إلى الإضلال والإفساد ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر، ثم استغفر منه فقال:

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بفعل صار قتلاً ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ زلَّتي، فاستجاب له ربه ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ زلته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالمغفرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: معيناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ المذنبين[1]، وإذا لم يكن مُعيناً للمذنب لا يذنب بنفسه.

وقيل: أي: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من القوة، وكان له قوة أربعين رجلاً، قال: لا أصرف هذه القوة إلى عون المجرمين.

وقيل: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من كلِّ النعم، وقلتَ: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فشكري لك أن لا أُعِين المجرمين.

وقيل: أراد به: أني لا أُعِين بعد هذا إسرائيليًّا أيضاً، وكانوا يومئذ كفاراً، ومعنى ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾؛ أي: نسباً لا ديناً، وهو قول قتادة كما مر.

وقوله[2]: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قيل: هو باء سببٍ، وقيل: هو باء قسم.

---

(١) في (ف): «للمذنبين».

(٢) في جميع النسخ: «وقيل» والصواب المثبت.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ قيل: هو وعدٌ من نفسه[١]، وقيل: هو دعاءٌ وسؤال من ربه[٢].

﴿ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: للمشركين، وقيل: هو عام في كل الظالمين.

* * *

(١٨) ـ ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾: على نفسه من أن يُعلم بما جرى على يديه.

---

(١) في (أ): «هو عدو من نفسه»، وهو تحريف ظاهر، وسقطت الجملة من باقي النسخ. وانظر التعليق الآتي.

(٢) قوله: «هو وعدٌ من نفسه، وقيل: هو دعاءٌ وسؤال من ربه» من (أ). وهذان الوجهان ذكرهما الفراء وتبعه المفسرون، وملخصهما: أن هذا القول من موسى عليه السلام إما أن يكون خبراً أو دعاء، والأول عزاه الفراء لابن عباس رضي الله عنهما، قال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠٤): (وقوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عباس: لَمْ يستثن فابتُلِي، فجَعل (لن) خبرًا لموسى، وفي قراءة عبد الله: (فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا) فقد تكون (لَنْ أَكُونَ) على هذا المعنى دُعاءً من موسى: اللَّهُمَّ لن أكون لهم ظهيرًا فيكون دعاءً). قلت: وذهب الأكثر إلى اختيار كونه خبراً على ما ذكر عن ابن عباس، قال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٥٨): (وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبه بنسق الكلام). وقال الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣٥٠): (ومذهب المفسرين أن هذا خبر وليس بدعاء؛ أخبر عن نفسه أنه لا يكون ظهيرًا للمجرمين بعد ذلك).

قلت: والقول بأن (لن) هنا على حقيقتها للإخبار وليست دعاء رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٠٤) عن قتادة، ويؤيده أنه وقع في الأمر مرة أخرى كما أشار إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما. والله أعلم.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾: أي: ينتظر[١] ويتوقَّع مكروهاً يقع به.

وقيل: ينظر هل عَلِم به أحد.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾: أي: ذلك الإسرائيلي ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾؛ أي: يستغيثه على قبطيٍّ آخر يشاجره[٢].

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾: أي: ضالٌّ عن الرشد ظاهرُ الغيِّ، تُبِين عن نفسك، فقد قاتلت بالأمس رجلاً منهم فتفعل اليوم كذلك، وأوقَعْتني أنت فيما أوقَعْتَني، وهذا لا يفعله رشيد في تدبيره؛ لأنك بذلك[٣] تستدعي البلاء إلى نفسك وإلى مَن يريد نصرتك.

* * *

(١٩) ـ ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: أي: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَن يَبْطِشَ﴾ بالقبطيِّ الذي هو عدوٌّ لموسى وللإسرائيلي، فوثب[٤] عليه ليمنعه من أخذ الإسرائيلي وتسخيره.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾: أي: قال الإسرائيلي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾[٥]، وتوهَّم أنه إنما أراد أخذه

(١) في (ر) و(ف): «يتذكر».

(٢) في (ر): «يسخره».

(٣) في (ف): «لذلك» بدل: «لأنك بذلك».

(٤) في (أ): «فيثيب».

(٥) في (أ): «لموسى» بدل: «﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾».

لا أخذَ القبطي؛ إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، ورأى ندمه على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، ثم [لمَّا][(١)] رآه قصد نحوه ونحو صاحبه ظنَّ أنه إنما يقصده.

قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾: أي: القبطيَّ ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما تريد إلا أن تكون قتَّالاً، وقيل: متجبِّراً.

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ في الأرض.

وقيل: أي[(٢)]: مَن أصلح بين متشاجرَين فإنما يدفع أحدهما عن الآخر، لا أن يقتل أحدهما.

وكان أمر قتل القبطي بالأمس قد شاع لكن خفيَ قاتلُه، فلما سمع القبطي في اليوم الثاني ذلك من السِّبطي لموسى عليه السلام [علم][(٣)] أن موسى هو قاتل القبطي بالأمس، فذهب فأخبر فرعون وطلبوه ليقتلوه، وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة[(٤)].

وقال الحسن: قوله: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي﴾ قولُ القبطي[(٥)].

* * *

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (ف): «إن».

(٣) ما بين معكوفتين من «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٩٣ ـ ١٩٦) عن ابن عباس وقتادة والسدي. وهو قطعة من حديث الفتون الطويل، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٣٧).

(٢٠) - ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: قال محمد بن إسحاق: هو حزقيل بن سورا[١] ابن عم فرعون، وهو مؤمن[٢] آل فرعون.

﴿يَسْعَى﴾: أي: يسرع ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾: أي: أشراف القوم ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾؛ أي: يتشاورون ويرتؤون[٣] فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ بالقبطي الذي قتلته ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

* * *

(٢١) - ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: أي خائفاً[٤] على نفسه منهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: خائفاً أن يضلَّ[٥] الطريق[٦].

---

(١) في (أ): «خريقيل بن صيورا» وفي (ف): «حزقيل بن صورا» وفي (ر) «خرقيل بن سورا». وهذا شيء يكثر الاختلاف فيه، ولا فائدة في استقصائه. على أنه قد روي عن ابن إسحاق خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٥٩)، عن ابن إسحاق أن اسم هذا الرجل: سمعان.

(٢) بعدها في (أ): «من».

(٣) «ويرتؤون» من (أ). وهو مذكور في معنى ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾. انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٠١).

(٤) «أي خائفاً» زيادة من (ف).

(٥) «عن» ليس من (أ).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٠)، ولفظه: (فخرج منها متوجِّهًا نحو مدينَ لَمْ يَلْقَ رجلًا قَبْل ذلك، وليس له بالطريق عِلْمٌ إلا حُسْنُ ظنِّه بربِّه).

﴿يَتَرَقَّبُ﴾: أي: ينتظرُ هل يلحقُه طلب فيؤخَذَ؟

ثـم التجـأ إلـى الله تعالـى: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: احفَظْنـي فـلا يَلحقَنـي الطلـب، فإنهـم ظالمـون بقتلي.

وقال الإمام أبو منصور: دل هذا على صحة قول أبي حنيفة رحمه الله: أن القتل بالمثقَّل لا يوجِب القِصاص، فإن موسى جعلهم ظالمين بطلب القصاص بقتله بالوكزة، والوكزة من موسى ـ وله قوة أربعين رجلاً ـ كانت مفضيةً إلى القتل ولم تكن موجبة للقصاص، حتى عدَّه موسى عليه السلام ظلماً[(١)].

وفي «تفسير مالك بن سليمان الهروي»[(٢)]: أن الرجلين المقتتِلَين[(٣)] كان أحدهما السامريَّ واسمُه ميحا[(٤)]، والآخرُ طباخَ فرعون واسمه فليتون[(٥)]، فسخَّر السامريَّ بحمل الحطب إلى المطبخ، وكذلك قال وهب في «المبتدأ»؛ قال: فخرج[(٦)] موسى من مصر لا يدري إلى أي وجه يسلك ﴿خَآئِفًا﴾ ليس معه زاد ولا حمولة ولا صاحبٌ[(٧)] متوجِّهاً تلقاء مدين، وهو قوله تعالى:

***

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٥٦).

(٢) مالك بن سليمان الهَرَويّ، أبو عبد الرحمن السَّعديّ المفسر، توفي سنة (٢١٤هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٤٥٧).

(٣) «المقتتلين» ليست في (أ).

(٤) في (ف): «منجا».

(٥) في (ر): «فليقون».

(٦) في (ف): «خرج» بدل: «قال: فخرج».

(٧) في (أ): «صاحبة».

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: أرجو أن يرشدني إلى وسط الطريق، فسار موسى من مصر إلى مدينَ ثماني[1] ليالٍ وقد تفطَّرت قدماه دماً وقَرِحَ شِدْقاه من أكل ورق الشجر.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾: قيل: كان قصدُه مدين وهو لا يعرف جهتها، فتوجَّه وجهاً على رجاء أن يصل إليها.

وقيل: لم يقصد مدين، لكن أخذ طريقاً يرجو أن تؤديه إلى مأمنٍ.

ولما وصل إلى ماء مدين وهو بئرٌ لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾: أي: جماعةً يسقون مواشيَهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾: أي: أسفلَ من الجماعة ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ قال السدي: أي: تَحْبِسان غنمَهما[2].

وقال قتادة: أي: تطردان الناس عن شائهما[3].

وقد ذاد يَذُود ذَوْداً وذِيَاداً؛ أي: حبَس إبلَه أو غنمه أو نحوَ ذلك عن الشيء يمنعها منه[4]. قال الشاعر:

---

(١) في (ر) و(ف): «ثلاث».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٩) بلفظ: (تذودان الناس..).

(٤) في (ر) و(ف): «عنه».

عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومن ذيادي الطيرَ عن أرزاقها
في سنةٍ قد كشفت عن ساقها حمراءَ تُبدي اللحمَ عن عُراقها[١]

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: أي: ما شأنكما واقفتين لا تسقيان كسائر الناس؟

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾: أي: نحن لا نسقي غنمنا ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا قوةَ لنا على الاستقاء، وإنما ننتظر فضولَ الماء في الحوض[٢]. وكذا قال ابن إسحاق وقتادة[٣].

وقيل: كان تأخُّرهما لمنع الناس.

وقيل: لحيائهما من[٤] مزاحمة الناس، ولتجنُّبهما عن مخالطة الناس.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر: ﴿حَتَّىٰ يَصْدُرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ بفتح الياء وضم الدال؛ أي: يرجع، وهو لازم.

وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال من الإصدار[٥]، وهو متعدٍّ.

---

(١) الرجز نسبه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٢/ ٣٨٤) لأبي البلاد خليفة بن بلاد، وذكره الراغب في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢١٢) وقال: الأبيات لرؤبة قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له. وهو دون نسبة في «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٢٦٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٧١)، و«البصائر والذخائر» للتوحيدي (٩/ ١١٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٩)، و«اللامع العزي شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٢٩٩). وجاء في جميع المصادر: (وعن طرادي الطير...)، فلا شاهد فيه. وفيها أيضاً (تبري) مكان: (تبدي).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٤).

(٣) رواه عن ابن إسحاق الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٢)، وعن قتادة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٣).

(٤) في (ف): «عن».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١)، و«النشر» (٢/ ٣٤١).

والرِّعاء: جمع راعٍ؛ كالقيام جمع قائم.

والرعـاء: هـم الذيـن يرعَـون المواشـي، والرعـاة: هـم الذيـن يرعَـون الناس وهم الـولاة.

ومعنى الأول: حتى ينصرف الراعون فيَصْدُروا عن وُرودٍ.

ومعنى الثاني: حتى يردُّوا ماشيتَهم إصداراً عن إيرادٍ.

وقوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: لا يستطيع حضور الماء فيسقيَ غنمه بنفسه، وليس له عون غيرَنا.

***

(٢٤) ـ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: أي: فسقى موسى غنمهما لأجلهما قبل صدور الرعاء ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾؛ أي: توجه إلى ظلِّ شجرة.

وقيل: كانت سَمُرةً[1].

وقيل: كان ظلَّ حائط.

ودلَّ على أن البئر كانت في الشمس، ودلَّ أنه لا بأس بالجلوس تحت الظل.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾: أي: يا رب إني إلى ما[2] تُنزل إليَّ من رزقٍ محتاج.

---

(١) السمر من شجرة الطلح: شجر صغير الورق قصير الشوك، له برمة صفراء وخشبه جيد للسقوف. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: سمر).

(٢) في (ف): «إني لما».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل ما يسدُّ به جَوعتَه[١]، فقد كان جائعاً ثمانية أيام.

و(اللام) بمعنى (إلى) كما قال: ﴿أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]؛ أي: إليها، ويقال: هداه الله لكذا، أو إلى كذا.

وقيل: معناه: مع ما ﴿أَنزَلۡتَ إِلَيَّ﴾؛ أي: أعطيتني من الخير؛ أي: من كل خير ﴿فَقِيرٌ﴾ إلى خيرٍ آخر وهو الطعام.

وقيل: سأل خبزَ الشعير، شكر أولاً لِمَا سَلَف وسأل في المؤتنَف.

والشيخ الكبير هو شعيبُ بن ثويبِ بنِ مدين بنِ إبراهيم عليه السلام[٢]، وسميت تلك البلدة[٣] ﴿مَدۡيَنَ﴾ باسم جده مدين بن إبراهيم، وكان لإبراهيم أربعة بنين: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدائن، وإليهما نسبت البلدتان مدين ومدائن.

هذا قول ابن عباس ومقاتل والضحاك ومجاهد والسدِّي: أنه شعيب[٤].

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦١). وانظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٢) هذا أحد الأقوال في اسم نبي الله شعيب عليه السلام، وقيل في نسبه غير ذلك، وقد تقدم تفصيل ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقيل في صاحب القصة أقوال غير هذا أيضاً، منها أنه ابن أخي شعيب كما سيأتي، ومنها أنه أجنبي عنه، وقد جمع ذلك ونقل ما فيه من أقوال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) في (أ) و(ف): «الولاية».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤) عن مجاهد والضحاك والسدي والحسن. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٥)، عن الحسن. وعقبه الطبري بقوله: وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه.

وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ١٤٨): والأخبار التي وقفنا عليها في هذا المطلب مختلفة، =

وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير: هو يثرون[١] ابن أخي شعيب، [وكان شعيب قد] مات قبل[٢] ذلك بعد ما كُفَّ بصرُه فدفن بين المقام وزمزم[٣].

وقال محمد بن إسحاق: المرأتان أكبرهما صَفُوراء والأخرى ليا[٤].

وقيل: الكبرى صَفْراء والصغرى[٥] صُفَيراء.

وقال وهب: الكبرى صَفُوراء والصغرى حنوفا[٦].

= ولم يتميز عندنا ما هو الأرجح فيما بينها، وكأني بك تعول على المشهور الذي عليه أكثر المفسرين، وهو أن أباهما على الحقيقة شعيب عليه السلام إلى أن يظهر لك ما يوجب العدول عنه.

(١) في (أ): «نيرون»، وفي (ر): «تبرون»، وفي (ف): «شرون». والمثبت من «تفسير البغوي»، وانظر ما سيأتي بعد تعليق.

(٢) في (ر): «بعد»، والصواب المثبت. وانظر التعليق الآتي.

(٣) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠)، وما بين معكوفتين منهما. ووقع اسمه عند الثعلبي: (بثرون)، وعند البغوي: (يثرون) كما ذكرنا، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٣) عن أبي عبيد بن عبد الله بن مسعود قال: الذي استأجر موسى يثرون ابنُ أخي شعيب عليه السلام. وهكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٤) عن أبي عبيدة، وكذا رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٦) لكنه سماه: (أثرون)، ثم أعقبه بقول أبي زرعة: (الصحيح: يثرون)، وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٤) عن الحسن: هو ابن أخي شعيب واسمه ثروان. وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٣) عن ابن عباس: الذي استأجر موسى: يثرى صاحب مدين. والبحث في هذا طويل لا ينتهي لكثرة الاختلاف بين المصادر والنسخ فيه، وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٩).

(٥) في (ر): «وقيل صفرى والأخرى».

(٦) في (أ): «حيوتا».

وقوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: قال شريحٌ: رفع لهما حجراً لا يَقدر على رفعه إلا عشرة رجال[1].

وقيل: أربعون رجلاً.

وقال مجاهد: مئة رجل، وكان الدلو لا ينزعها إلا أربعون رجلاً، فرفع الحجر بنفسه، ونزع الدلو بنفسه، وكان له قوة أربعين رجلاً[2].

وقال محمد ابن إسحاق: زاحم[3] القوم حتى نحَّاهم عن رأس البئر ثم سقى لهما[4].

وقال القشيري: لمَّا أحس موسى من نفسه قوةَ مئة رجل خاف العُجب على نفسه، فقال: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فرأى فقرَه وفاقته؛ أي: وإن تعاطيتُ ما تعاطيتُ بما بي من القوة فإني فقير إليك وإلى رحمتك؛ أي: لم أعمل إلا بقوَّتك[5].

ولمَّا سقى موسى غنمهما قبل سقي الناس أسرعتا الرجوع إلى أبيهما، فقال: ما لكما أسرعتُما الرجوع؟! فحكيا له ذلك، فأمر إحداهما أن تدعوه ليجزيه أجر ما سقى لهما.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٣) عن شريح وابن جريج.

(٢) لم أجده، وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٣) عن مجاهد قال: فتح لهما عن بئر حجراً على فيها، فسقى لهما منها.

(٣) في (أ) و(ف): «زحم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٤).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٦٣).

(٢٥) - ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قوله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: مستترة بكمِّ درعها[١].

وقيل: جاءت الكبرى ساترةً وجهها.

وقال سعيد بن المسيب: كانت حَيِيَّةً لم تكن خرَّاجة ولَّاجة[٢].

وقيل: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى﴾ هاهنا وقف، ثم قال: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾ فكان الحياء في[٣] الكلام.

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: أي: ليعطيك ثوابَ ما عملتَ لنا، وفيه دليلٌ على أن المكافأة على الصنيعة لازمةٌ، ويُستحب للمصطَنِع أن لا يطلبَ مكافأة وأن لا يقبل؛ ليبقى[٤] له الفضل، ولو قبِل عند الحاجة فلا بأس به؛ لأن موسى قبل ذلك لحاجته.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: ليس لفرعون سلطان بأرضنا[٥]، وهو إجابةٌ لدعوته: ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) لم أجده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٨) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) لم أجده عن سعيد بن المسيب، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٩)، من قول عمر رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «على استحياء فكان ابتداء».

(٤) في (ف): «أن لا يطلب مكافأة ولا يطلب لسقي بل له».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢١). وهو قطعة من حديث الفتون الطويل، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال وهبٌ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ أهلَ[1] شاءٍ ونَعَمٍ ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ غنمَهما عن الماء، فرقَّ لهما موسى حين نظر إليهما ورآهما ضعيفتين لا تصلان إلى الماء لكثرةِ مَن عليه من الناس، فـ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ لا يقدر على أن يليَ سقيَ ماشيته بنفسه لضعفه وكِبَر سنِّه ـ ويقال: إنه كان ضريرَ البصر ـ فنحن ننتظر الرعاء، فإذا فرغوا من سقي مواشيهم تقدَّمنا فسقينا مواشيَنا ثم انصرفنا إلى أبينا، فلمَّا سمع موسى مقالتهما رقَّ لهما فأخذ دلوهما ثم تقدَّم فزاحم القوم[2] حتى أفرجوا له فرجة ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ ماشيتَهما، وكان رجلاً قويًّا كأقوى الرجال، فلما فرغ من سقيهما ﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى﴾ ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ وأمنيتُه يومَه[3] شبعةٌ من طعام، وكان على رأس البئر صخرةٌ لا يزيلها أقلُّ من ثلاثين رجلاً، فرفعها وحده.

فانصرفتا إلى أبيهما في ساعةٍ لم تكونا تنصرفان إليه فيها، فسألهما فأخبرتاه الخبر، وكيف سقى لهما موسى، وكيف زاحم الرجال على الماء، فقال شعيب لصفوراء ابنته وهي إحداهما: انطلقي فأتي بهذا الرجل، فجاءته ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ فوجدته قاعداً في الظل، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ فقام موسى معها وقال لها: امشي أمامي وأنا خلفك إلى أهلك، فجاءت الريحُ فوصفته[4] ثيابها وموسى منكِّس لا ينظر إليها،.............................

---

(١) في (ف): «أي».

(٢) في (أ): «فزحم القوم»، وفي (ف): «فزاحم الناس».

(٣) في (ف): «قوته».

(٤) في (ر) و(ف): «فرفعت»، والمثبت من (أ)، والمعنى عليه: فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته. انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٠٢).

فخشي[١] أن تحين[٢] منه نظرة، فقال لها: امشي خلفي فإنَّا لا ننظر في ظهور النساء وهذا يومُ ريح، فنعتت له الطريق ومشت خلفه، فلما دخل على شعيب سأله عن حاله فأخبره موسى بخبره، فقال له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وأخبرت أباها بذلك[٣].

* * *

(٢٦) - ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾: أي: لرعي أغنامنا وسقيها والقيام بمصالحها.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾: أي: خيرَ مَن استأجرته، وهذا قويٌّ أمين.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا بنية، ما أمانتُه وما قوته؟ قالت: أما قوتُه فرفَع الحجر ولا يطيقه إلا جماعة، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي وصِفي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصفَ[٤] لي جسدك، قال[٥]: فزاده فيه رغبة[٦].

* * *

---

(١) في (ر): «يخشى».

(٢) في (أ): «تحير».

(٣) «وأخبرت أباها بذلك» من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «فيظهر».

(٥) «قال» ليس من (أ).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٤٢) من قول عمر رضي الله عنه. وورد ضمن حديث الفتون الطويل، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى هذه القطعة عنه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٥).

(٢٧) ـ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾: يعني: على أن تأجُرني نفسَك فتكونَ أجيري ثماني سنين[1] ترعى غنمي، والحجة: السنة؛ لأن في كل سنةٍ حَجةً، فسمَّوها بها لتضمُّنها إياها تعظيماً لها.

﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ﴾: أي: فإن زدت على الثمانية فأتممت السنين عشراً فذلك تطوُّع من عندك لا يَلزمك ذلك لي بعقد الإجارة.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾: أي: أحملَ عليك ما يشتد عليك.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: ممن يَفي بالشرط فلا يتعدَّى ولا يطالب بما وراء الشرط، ومَن فعَل ذلك فهو صالح.

* * *

(٢٨) ـ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾: أي: هذا شرطٌ بيننا على كلِّ واحد منا الوفاءُ به لصاحبه.

﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾: أي: أيَّ المدتين وَفَيْتُك العملَ فيها ﴿**فلا عدوان علي**﴾؛ أي: فليس لك أن تُلزمني أكثر منه متعدِّياً عليَّ.

---

(١) في (أ): «حجج».

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أي: ما ذكرتَ من الأجلين فهو أمرٌ بيني وبينك أفعلُ منه ما أحببتَ لا شرطَ عليَّ فيه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: أي: على ما نعقد عليه حفيظ.

وقال وهب: رعى موسى لشعيب ثمانيَ حجج، فأدخل عليه ابنته وفوَّض إليه أمره، ثم رعى موسى أيضاً[1] بعد ذلك سنتين وأتمَّها عشراً فقضى أوفى الأجلين وأتمهما.

وعن وهب: أنه لما قضى الأجل أنكحه أكبرَهما[2].

وعن النبيِّ ﷺ أنه سئل: أيَّ الأجلين قضى موسى، وأيَّ الابنتين تزوج؟ قال: «تزوج صغراهما[3] وقضى أوفاهما»[4].

وقيل: خيَّره شعيبٌ فيهما، فقال: أختار التي مدحَتْني، فكيف بمن مدَح الله تعالى بكلِّ حال؟

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أفرسُ الناس ثلاثة: ابنةُ شعيب في قولها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ الآية، والذي تفرَّس في

---

(١) «أيضاً» ليست في (ر).

(٢) في (أ): «كبراهما».

(٣) في (ر) و(ف): «صغراهما».

(٤) قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٢٦): (أخرجه الطبراني [في «الأوسط» (٥٤٣٠)] والبزار [في «مسنده» (٣٩٦٤)] من طريق عوبد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر: أن النبي ﷺ سئل: أيَّ الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما وأبرهما»، قال: وسئل: أيَّ المرأتين تزوج؟ قال: «الصغرى منهما»، وعويد ضعيف). ثم ذكر عن ابن مردويه نحوه من حديث أبي هريرة رفعه وقال: (وفي إسناده سليمان الشاذكوني وهو ضعيف).

يوسف عليه السلام: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ وأبو بكر حين تفرَّس في عمر رضي الله عنه فاستخلفه[1].

وروي: أن شعيباً قال لموسى صلوات الله عليهما حين جنَّ الليل: ادخل ذلك البيتَ فأَخْرِج عصاً من تلك العصيِّ، فدخل فأخرَج عصاً كان آدمُ أخرجها من الجنة، فلما نظر شعيب إليها ضرَبها في العصي فقال[2]: أَخْرِج غيرها، فأخرجها بعدما ألقاها في العصي، حتى فعل ذلك سبعَ مرات، فعلم شعيب أن لموسى شأناً، فلما أصبح قال له: سُقْ هذه الأغنامَ إلى مفرق الطريق، ثم خذ عن يمينك وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك وفيها عشب كثير لكن فيها تنين يقتل المواشي، فساق موسى المواشي إلى مفرق الطريق، فأخذن نحو اليسار ولم يقدر على ضبطهن وانسرحنَ في الكلأ، فنام موسى فخرج التنِّين، فقامت العصا فصارت شعبتاها حديداً وحاربت التنين حتى قتلته وعادت إلى موسى، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبةً بالدم والتنينَ مقتولاً، فارتاح لذلك وعاد إلى شعيب، فمسَّ الأغنام فإذا هي أمثلُ حالاً، فسأله عن العصا[3] فأخبره بها، ففرح بذلك شعيب وأراد أن يجزي موسى عليها، فقال له: كلُّ ما ولدت الأغنام في هذه السنة من أولاد سود فهو لك، فكانت الأولاد في تلك السنة كلُّها سوداً، فحازها كلَّها، وفي السنة الثانية شرَط ذلك في البِيض

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٣)، وسعيد بن منصور في «سننه» (١١١٣) (التفسير)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٥٥٥) وابن أبي شيبة (٣٧٠٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٢٩)، والحاكم (٣٣٢٠) عن ابن مسعود موقوفاً. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) في (أ) و(ر): «حلي بها فقال»، بدل: «ضربها في العصي وقال».

(٣) في (أ): «القصة».

فولدت كلُّها بيضاً فحازها، وفي السنة الثالثة قال: كلُّ ولدٍ وُلد[١] له لونان سوادٌ وبياض فهو لك، فكان الكلُّ كذلك فحازها كلَّها، وعلم شعيب أن له عند الله منزلة.

* * *

(٢٩) ـ ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: قيل: عشر سنين ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: وخرج بإذن شعيب مع امرأته وأولاده وعبيده يريد مصر وأخاه وأختَه وقرابتَه وهم بها.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾: أي: أَبصر ناراً ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾؛ أي: الْبَثوا مكانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ في الدلالة على الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: قطعةٍ غليظة من الحطب فيها النار، وفيها ثلاث لغات: فتح الجيم وضمها وكسرها، والفتح قراءة عاصم، والضم قراءة حمزة، والكسر قراءة الباقين[٢].

وقال قتادة: الجذوة: الشعلة من النار[٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: أي: تستدفئون، وكانت ليلةً شاتيةً ذاتَ بردٍ ومطر.

---

(١) «ولد» ليست في (أ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) هذا القول رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٢) عن معمر عن الكلبي، أما قتادة فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٤٠)، عن معمر عنه أنه قال في معنى الجذوة: (أصل الشجرة في طرفها النار)، وروى الطبري نحوه من طريق سعيد عن قتادة، ثم روى عن معمر قال: (قال غير قتادة...) فذكر مثل رواية معمر عن الكلبي بالحرف، فغير قتادة هو الكلبي على الأظهر كما يظهر من رواية عبد الرزاق عن معمر، فلعل من نسبه لقتادة سقطت عنده كلمة (غير) التي في رواية الطبري، أو تحرفت إلى (عن).

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: أي: جانبه الأيمنِ، نعتٌ للشاطئ، وهو عن يمين المتوجِّه إليه.

﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: أي: في القطعة المفردة من ذلك الوادي، و﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ صفتُها على ما مر في قوله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٨]، والوادي هو الوادي المقدسُ طُوى.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: أي: ونودي: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾: أي: فألقاها ـ وهذا مضمر ـ فلما رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾؛ أي: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾؛ أي: حيةٌ خفيفةٌ في سعيها، وهي ثعبانٌ عظيمةٌ في جثَّتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أي: لم يرجع.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ﴾: أي: قيل له: يا موسى لا تخفْ مِن الذي تهرب منه ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ مما تخاف.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾: أي: أدخلها ﴿فِى جَيْبِكَ﴾؛ أي: في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾: متلألئةً لها شعاعٌ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أي: آفةٍ من البرص ونحوه.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: أي: يدك، واليدان للآدمي كالجناحين للطير.

وقيل: كان بسَطَها اتقاءً عن الحية، فقيل له: ضُمَّها ولا تفتحها(١).

وقال الضحاك والفرَّاء: ﴿جَنَاحَكَ﴾؛ أي: عصاك(٢).

وقيل: أي: اضمُمْ يدك إلى صدرك تسكيناً للقلب.

وقيل: أي: تعظيماً للرب، فإنه من الخشوع والتواضع.

قوله: ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿من الرَّهَب﴾ بفتح الراء والهاء، وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ وحمزةُ والكسائيُّ بضم الراء وجزمِ الهاء، وروى حفصٌ عن عاصم بفتح الراء وجزمِ الهاء(٣)، وهي لغاتٌ في الرَّهب(٤).

وقيل: هو متَّصل بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾.

وقيل: الرهب: الكُمُّ بلغة بني حنيفة، حكاه مقاتلُ بن سليمان(٥).

﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتشديد، وذلك للتأكيد، والباقون بالتخفيف(٦).

---

(١) في (أ) و(ف): «تخفها».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٦).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١). قال ابن مجاهد: (وروى هُبَيْرَة عن حفص عن عاصم: (من الرَّهَب) بفتح الرَّاء والهاء وهو غلط).

(٤) في (أ): «قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر وسهل ويعقوب والخزاز عن هبيرة عن حفص من الرهب بفتح الراء والهاء وروى حفص عن الخزاز عن عاصم بفتح الراء وجزم الهاء وقرأ الباقون بضم الراء وجزم الهاء وهي لغات في الرهب».

(٥) ذكره عن مقاتل الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ١٥٦)، ولفظه: (الرَّهَب كمُّ مِدْرعته).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١). وقراءة يعقوب من رواية رويس عنه. انظر: «النشر» (٢/ ٢٤٨).

قوله: ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾؛ أي: حجَّتان ﴿مِن رَّبِّكَ﴾[١] على صدق نبوتك.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾: أي: على إرسالك إلى فرعون وأشرافِ قومه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾: متقادمين في[٢] الفسق، وهو الخروج عن طاعة الله.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: أي: القبطيَّ الذي مرَّ ذكره ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به، وهو خوف الطبع.

﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾: أي: أَبْيَنُ كلاماً ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ﴾؛ أي: اجعله رسولاً إليهم معي ﴿رِدْءًا﴾ أي: عوناً على تبليغ الرسالة.

﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾: قرأ عاصم وحمزة برفع القاف على الصفة، وقرأ الباقون بالجزم على الجزاء[٣].

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: فإذا كان معي أخي قمنا بمحاجَّتهم.

* * *

(٣٥) ـ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: أي: سنقوِّيك به، وهو مجاز.

---

(١) في (ر): «من ذلك»، وفي (ف): «من ذانك».

(٢) في (أ): «متقادمي» بدل: «متقادمين في».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾: أي: حجةً، وقيل: قوة وقدرة ومنعة.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾: أي: فلا يصيبونكما بمكروهٍ.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: قيل: هو متصل بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا... بِآيَاتِنَا﴾.

وقيل: هو متأخر، وتقديره: (أنتما ومَن اتَّبعكُما الغالبون بآياتنا) وهي المعجزات.

ويجوز أن تكون ﴿بِآيَاتِنَا﴾ مقرَّرةً في موضعها: فلا يَصلُون إليكما بسبب آياتنا، وكان له ثلاثة أوجهٍ، وقد مرت القصة مرات.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: أي: بمعجزاتنا ﴿بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: واضحاتٍ ﴿قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾؛ أي: مختلَقٌ لا حقيقةَ له ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾: ما دعونا إلى التوحيد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: أجملَ الكلامَ تلطُّفاً في الخطاب، ومعناه: ما جئتُكم به حقٌّ وهدًى وليس بسحرٍ، وربي عالمٌ بذلك، وأنتم ظالمون، وحُسنُ العاقبة لي في الدنيا والآخرة ولمَن اتَّبعني لا لكم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾: فلا تسمعوا قول موسى ولا تجيبوه إلى التوحيد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ أربعون سنة[1].

وقال الحسن: لقد أملى الله لفرعون بعد هاتين[2] الكلمتين أربعين سنة.

وقيل في قوله: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: أي: الكلمةِ الآخرةِ والكلمةِ الأولى وهما هاتان.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ﴾: هو وزيرُه ﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾؛ أي: فاطبخه فاجعله آجُرًّا.

قال قتادة: هو أولُ مَن طبَخَ الآجرَّ وبنى به[3].

﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾: أي: اتخِذْ لي منه قصراً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾؛ أي: واجعل لي مراقيَ أَرْقاها فأرى إلهَ موسى، أو قال: فأصِلَ إلى إله موسى، ظنَّ اللعين أن موسى يقول: إن الله في السماء؛ لإظهاره نزول الوحي عليه من السماء، فقال: أصعدُ فأنظرُ إليه.

وقد ناقض اللعين في كلامه من وجوه؛ قال أولاً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ثم أقر فقال: ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾، ثم ذكر من نفسه الظنَّ فقال:

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: أي: أظنُّ موسى يكذِبُ في دعواه أن له إلهاً، وأنه أرسله إلينا رسولاً يدعونا إلى توحيده وعبادته.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨٤ ـ ٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والشعبي.

(٢) في (ر) و(ف): «بهاتين» بدل: «بعد هاتين».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٥).

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾: أي: تعظَّم عن الاستسلام والإسلام ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أرضِ مصر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالباطل ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا﴾؛ أي: إلى حسابنا وجزائنا ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، وليس هذا بعذرٍ لهم، بل ذمٌّ[1] بالجهل وتركِ التأمُّل في الآيات حتى يعلموا.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾: أي: عاقبناهم ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: فألقيناهم في البحر فأغرقناهم، على ما مرت قصتُه.

﴿فَٱنظُرْ﴾: يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فليَحْذرْ قومك أن يجري عليهم مثلَ ذلك.

***

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: أي: قادةً في الشر والضلال ليقتديَ بهم فيها أمثالهم ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وفيه دلالةُ خلقِ الله تعالى أفعالَ العباد ودلالةُ الإرادة[2].

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾: أي: لا يَمنع العذابَ عنهم مانعٌ.

---

(١) بعدها في (أ): «لهم».

(٢) في (أ): «العذر».

﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: أي: ألزمناهم طرداً وتبعيداً عن كلِّ خير، وقيل: هو ما يَلحقهم من لعنِ الناس إياهم بعدهم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾: قال ابن كيسان: أي: من المهلكين.

وقال الخليل: قبَّحه الله؛ أي: نحَّاه من كلِّ خير[1].

وقيل: من المشوَّهين، والتشويه: تقبيحُ الخِلقة.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: التوراةَ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: بعد أممٍ قد مضت أهلكناها بكفرها ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: حججاً للناس وهم بنو إسرائيل، والتوراةُ جعلت بصائرَ لهم يبصرون بها الرشد.

﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعها وعمل بها ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: ليتَّعظوا بها.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ أي: بجانب الجبل الغربي، وقيل: أي: الوادي الغربي.

وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه، فإن الغربي هو الجانب، وهو كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩].

---

(١) انظر: «العين» (٣/ ٥٣).

قولـه: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: أي: كلَّمنـاه وقرَّبنـاه نجيًّـا، وأتممنـا تعريفه وأمـره به.

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أي: من الحاضرين ذلك.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: أي: لم تكن هناك ولا حضرْتَ ما جرى من الأمر فيكونَ إخبارك قومَك به عن مشاهدةٍ، ولكنَّا أنشأنا قروناً ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ وفتَرتِ النبوة، وكادت الأخبار تخفى والشرائعُ تَدْرُس، ولحقَ كثيراً منها التحريف.

ثم هاهنا مضمر: فأرسلناك مجدِّداً[1] لها، مبيِّناً ما وقع التحريف فيه[2]، رحمةً وهدًى وتبصيراً لعلهم يتذكَّرون، كما فعلنا ذلك بموسى.

ومنهم مَن قال: ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليه؛ لأن الحضور مستفادٌ بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾.

ومنهم مَن حقَّق الأول وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾[3] عبارةٌ عن الوجود ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عبارةٌ عن الشهود، فلم يتكرر.

ثم إخبارُه عن ذلك ولم يَشهده دليلٌ على صحة دعواه الرسالةَ كما عُرف.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾: أي: ولم تكن أيضاً مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ

---

(١) في (ر): «محرراً».

(٢) في (ر): «ما وقع فيها من التحريف».

(٣) «ومنهم مَن حقق الأول وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾» ليس في (أ).

مَدْيَنَ﴾؛ أي: لم تكن أنت الرسول إلى أهلها ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ في كل زمانٍ رسولاً، فأرسلنا فيهم شعيباً، وأرسلناك في آخر الزمان لتكون خاتم الأنبياء.

وقال الفراء: معناه: وما كنت ثاوياً في أهل مدين [و]مع موسى مقيماً تراه وتسمعه، وها أنت تتلو عليهم آياتنا[1]، فهو منقطع عن الأول إثباتاً للحال لا نفياً في الماضي.

***

(٤٦) ـ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾: أي: وما كنتَ أيضاً بجانب الطور إذ نادينا[2] موسى إذ جاء لميقاتنا مع السبعين، فكلَّمناه وأعطيناه الألواح.

﴿وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: ولكن عرَّفناك ذلك[3] رحمة منا إظهاراً لنبوتك.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: وهم العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعظون[4].

وقد روي في قوله: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ أنه قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآيات.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٣)، وما بين معكوفتين مستفاد منه، ولفظه: (أي: إنك تتلو على أهل مكة قصص مدين وموسى ولم تكن هنالك ثاويًا مقيمًا فتراه وتسمعه).

(٢) «أي: وما كنت أيضاً بجانب الطور إذ نادينا» ليس في (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «ربك».

(٤) في (ر) و(ف): «يتيقظون».

وقال أبو زرعة: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ قال: نودوا أن يا أمة محمد أعطيتُكم قبل أن تسألوني، واستجبتُ لكم قبل أن تدعوني[١].

وقال مقاتل بن حيان: أي: نادينا أمتك وهم في أصلاب آبائهم[٢].

وقال وهب: قال موسى: يا رب، أرني محمداً، قال: إنك لن تصل إليه، وإن شئتَناديتُ أمتَه فأسمعتُك صوتَهم[٣].

وقيل في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: معناه: إن قومك يا محمد حدَثوا في الدنيا بعد موسى وسائر الأنبياء بدهر طويل، فلم يَعرفوا إرسال الرسل إليهم فأنكروا.

وقيل: كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسَ مئةٍ وخمسين سنةً.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) رواه من قول أبي زرعةَ يحيى بنُ سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٢). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٩)، وفيه: (عن أبي زرعة رفع الحديث). وقد روي من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٣١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. لكن قال الدارقطني في «العلل» (٨/ ٢٩١) عن الموقوف: وهو أصح.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٠٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٢)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢١١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: لو لا أنَّا لو[1] عاجلناهم بالعقوبة بما ارتكبوه من المعاصي لقالوا: هلَّا أرسلت إلينا رسولاً فكنا نؤمنُ به ونتَّبع القرآن الذي أنزلته ونصدِّقُ به، لما أرسلنا إليهم رسولاً، هذا الجواب محذوفٌ لدلالة ظاهر الكلام عليه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: النبيُّ المرسل، وهو محمد ﷺ، والكتاب المنزل وهو القرآن، تحكَّموا على الله ﴿قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ﴾؛ أي: محمد ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات كفَلْق البحر ونحوه.

وقيل: هلَّا أنزل عليه القرآن جملةً واحدةً كالتوراة.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾: أي: أوليس هؤلاء المشركون كافرين بما أوتي موسى من قبلِ محمد.

وقيل: من قبلِ هذا القول.

﴿قالوا ساحران تظاهَرا﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿سِحْرَانِ﴾ بغير ألفٍ؛ أي: التوراةُ والقرآن سحران تعاوَنا على خديعة الناس وصَرْفهم عن دين آبائهم[2].

---

(١) «أنا لو» من (أ).

(٢) في هامش (أ): «وقيل: وصفا بالسحر مبالغة كما يقال: فلان أسد».

وقرأ الباقون: ﴿ساحران تظاهرا﴾[(١)]؛ أي: موسى ومحمدٌ خادعان[(٢)] الناس تعاوَنا على ذلك؛ أي: فما معنى قولهم: ﴿لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ وهم بموسى كافرون ككفرهم بمحمد.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾: أي: بكلٍّ من السِّحرين؛ أو: الساحرين.

وقيل: هذا إشارةٌ إلى مَن كفر بموسى من القوم الذين بُعث إليهم، والمعنى: أن نزول التوراة على موسى جملةً واحدةً لم يمنع كثيراً من أولئك من الكفر به، حتى قالوا: موسى وهارون ساحران تظاهرا ـ أو: كلامهما سحران تظاهرا ـ فكفرُ مشركي العرب كذلك.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أي: فإذ كذَّبتم يا معشر العرب بهذين الكتابين ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ فيكونَ ذلك عذراً لكم في الكفر بهما ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنهما سحران لا هدايةَ فيهما، ويَلزمني بذلك أيضاً اتِّباعُ ذلك الأهدى وتركُ ما أنزله الله عليَّ وعلى موسى، وهذا دليلٌ على أن أولى القراءتين: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾[(٣)].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٧٢).

(٢) في (ر) و(ف): «موسى وهارون خادعا».

(٣) في (ر) و(ف): «ساحران تظاهرا».

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾: أي: فإن لم يُجيبوك إلى الإيمان بالكتابين مع عجزهم عن الإتيان بأهدى منهما.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾: وليس بهم طلبُ الحق وتعرُّفُه واتِّباعُه.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا أضلُّ منه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: وهم هؤلاء.

***

(٥١) ـ ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: ولقد تابعْنا، والتوصيل: تكثيرُ الوَصْل وتكريره؛ أي: أَتْبعنا لهم الوعد والوعيد والإخبارَ عن الأمم الماضين[١] بعضَه بعضاً ليتذكَّروا؛ أي: فعلنا ذلك لينفعَهم لا ليزداد شيءٌ في ملكنا.

وقوله: ﴿لَهُمُ﴾؛ أي: لمشركي العرب.

وقال نِفْطويه: ﴿وَصَّلْنَا﴾؛ أي: أنزلناه شيئاً بعد شيء ليكون لهم أَدْعَى، وهذا[٢] جواب قولهم: ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من التوراة جملةً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَصَّلْنَا﴾: بيَّنَّا[٣].

وقال قطرب: أتممنا.

---

(١) في (أ) و(ف): «السالفة».

(٢) في (أ): «ليكونوا له أدعى وهو».

(٣) ذكره عن ابن عباس البغوي في «تفسيره» (٦/ ٢١٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٤) عن سفيان بن عيينة، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٧) عن السدي.

وقال الفرَّاء: أنزلناه يَتْبعُ بعضُه بعضاً[١].

وقال ابن زيد: ﴿ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي[٢]: الخبر عن أمر الدنيا والآخرة[٣].

***

(٥٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراة من بني إسرائيل ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: من قبل القرآن، وقيل: قبل محمد.

﴿هُم بِهِۦ﴾: أي: بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يصدِّقون، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه ومَن آمَن من أهل الكتاب.

وقيل: هم أربعون نفراً؛ اثنان وثلاثون منهم جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة فآمنوا، وثمانيةُ نفرٍ من الشام: بَحيرا وأبرهةُ والأشرفُ وتمَّامٌ وإدريسُ وأيمنُ ونافعٌ وتميمٌ[٤].

وهؤلاء حجةٌ على مَن خالفهم ممن كانوا يرجعون إليهم ويعتمدون على قولهم، وفي تكذيبهم إياهم بيانُ أنهم معاندون.

***

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٧).

(٢) في (ر): «يعني».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٥٧).

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي: القرآن ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ أي: صدَّقناه.

﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾: أي: مِن قبلِ مجيء محمدٍ ﷺ ونزولِ القرآن عليه ﴿مُسْلِمِينَ﴾: دائنينَ بدينِ الإسلام منقادِينَ له عالمين بصحته؛ لِمَا كان مِن ذكره في كتابنا(١).

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: أي: هؤلاء الذين كانوا(٢) آمَنوا بالكتاب الأول والرسولِ الأول ثم آمنوا بك وبكتابك يُعطون ثوابهم مرتين ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: ثبتوا على الحق فلم يبدِّلوه.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: أي: يدفعون ما ينالُهم ممن يخالفُهم في الدِّين ـ من مكروهٍ وشتمٍ وسخرية ـ بالحسنة؛ أي: الاحتمالِ والصبرِ والقولِ الجميل.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في وجوه الطاعات ولا يبخلون؛ ثقةً بوعدِ الخُلفِ والثواب، لا كالمشركين.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾: أي: الباطل من المشركين.

﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾: فلم يُصغوا إليه ولم يجيبوا عنه.

﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾: رضينا بما نحن عليه من الدِّين.

﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: التي رضيتُم بها.

---

(١) في (أ): «كتابهم».

(٢) «كانوا» ليست في (أ).

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي: أمانٌ منَّا لكم أن نقابل لغوَكم بمثله.

﴿لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾: لا نرضى بمجاورة الجاهلين ومُعاشَرتهم والتخلُّقِ بأخلاقهم.

***

(٥٦) ـ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾: أي: لا يجري[1] اهتداءُ الناس على محبتك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾: يخلُق فعل الاهتداء فيمَن يشاء.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾: أي: سبق علمُه بمن يختار الهداية فيهديه، والآيةُ عامةُ الصيغة.

وقيل: إنها نزلت في حقِّ أبي طالب على الخصوص، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ حريصاً على إسلامه لتكفُّله إياه في صباه وذبِّه عنه في كبره، حتى قال أبو طالب لقريش حين همُّوا بقتله[2]:

كذبتُم وبيتِ الله لا تقتلونه ... ولـمَّا نطاعنْ حوله ونقاتلِ

ونسلمُه حتى نصرَّعَ حوله ... ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائلِ[3]

---

(١) في (ر): «تملك».

(٢) في (ف): «به».

(٣) لم أجده عن ابن عباس هكذا، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٤١) عن أنس، وورد الشعر أيضاً عن أبي طالب في «مغازي الواقدي» (١/ ٧٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٤)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٣٥٧) وفيه: (ولما نُجالد دونه ونُضارِبِ). وصدر الأول في أكثر المصادر: =

وكان يقول لقريش: صدِّقوا ابنَ أخي وآمِنوا به تَرْشُدوا وتُفلِحوا، وكان النبي ﷺ يقول له: «أتأمرهم بالنصيحة وتتركها لنفسك؟!»، وحضره عند موته فقال أبو طالب: ما تريد يا ابن أخي؟ قال: «أريد أن تشهد بشهادة الحق أشفع لك بها عند الله»، وكان عنده أبو جهل وجماعةٌ من كفار قريش فقالوا له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ أترغب عن ملة آبائك؟ فما زالوا به حتى كان آخرَ ما قال أبو طالب: يا ابن أخي، إني أعلم أنك صادق، ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا ذلك لأقرَرْتُ عينَك به، ولكن أموت على ملة أشياخي عبد المطلب وهاشم وعبد مناف، وقصى، وقام عليه السلام من عنده باكياً ونزلت هذه الآية[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾؛ أي: لا تقدر على أن[2] تنوِّر قلبَ مَن أحببتَ، ولكن الله يفعل ذلك.

وقيل له: إنك شفيعُ الجناية لا شريكُ الهداية.

***

= كذَبْتُـم وبيــتِ الله يُبْــزَى محمــدٌ

ورواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن على أن القائل هو عمر لا أبو طالب.

(١) ذكره دون سند مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٠)، وابن إسحاق في «سيرته» (٣٢٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٨١)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٢٢). قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٢٦): (لم أجده، وقصة وفاة أبي طالب في الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه بغير هذا السياق أو أخصر منه). قلت: رواه بنحو ما ذكر من قصة الوفاة البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه. ومسلم (٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) «على أن» من (أ)، وفي (ف): «أن».

(٥٧) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾: أي[1]: وقال المشركون: يا محمد، إنْ نتَّبع الهدى فنكونَ معك؛ أي: نتَّبع الهدى الذي معك ـ وهو القرآن ـ يجتمع العرب على محاربتنا ليُخرجونا من أرضنا.

والتخطُّف: الاستلاب بسرعة.

وهو تعلُّلٌ فاسد منهم تعلَّقوا به عند عجزهم عن معارضة حقِّه وردِّه.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾: أولم نجعل مكانهم في حرمٍ آمنٍ؛ أي: مأمونٍ فيه، و(آمِنٌ) في معنى: ذي أمنٍ لا يُسْبَون فيه ولا يُغار عليهم، ولا يُتعرَّض لهم بمكروهٍ، ثم هذا الحرمُ في موضعٍ لا ضرعَ فيه ولا زرع.

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: يُجمع[2] ويُجلبُ إليه ثمراتُ كلِّ بلدة.

وقيل: أي يُحمل إليه من كلِّ شيء أرفعُه وأنفعُه؛ كما يقال: ثمرةُ الكلام.

﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾: أي: عطيةً مِن عندنا؛ أي: تفضُّلاً منا؛ أي: فمَن فعَل ذلك بكم في حالِ كفركم فهو قادرٌ على أن يحفظكم[3] حالَ إسلامكم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتأمَّلون فيعلمون هذا.

وقيل: نزلت في شأن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ، قال لرسول الله

---

(١) في (ر): «أي حولنا»

(٢) «أي يجمع» من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «يمنعكم»، والمثبت من (أ)، والمعنى واحد.

ﷺ: إنَّا لنعلمُ إنك لصادق، ولكن العرب فيهم كثرةٌ ونحن في جنبهم أَكَلةُ رأسٍ، فإن آمنَّا بك آذَوْنا وأخرجونا، فنزلت الآية[1].

***

(٥٨) - ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾: أي: من أهل بلدةٍ ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ أي: طغَتْ في معيشتها وأغفلت شكرَها.

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي: فتلك منازلهم في البلاد باقيةُ الآثار، يشهدونها في الأسفار؛ كبلاد ثمودَ وقومِ شعيبٍ وغيرهم، قد خَرِبت من[2] بعدهم ولم يسكنها أحدٌ لخرابها ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منها لم يخرب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافر ومارُّ الطريق يوماً أو ساعة[3].

---

(١) رواه بنحوه مختصرا النسائي في «الكبرى» (١١٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره بهذا اللفظ مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٥٨)، لكن في نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٣٣] وقال مقاتل: نظيرها في القصص: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾. وقوله: «أكلة رأس»: جمع آكل، وهو مثَل في القلة، وأصله: ناسٌ قليلون يكفيهم إذا أكلوا رأسٌ واحدة من رؤس الحيوان المطبوخة، ويصح أن يراد بالرأس حيوان واحد.

(٢) «من» ليست في (أ) و(ف).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢١٦).

وقيل: لم يسكنها إلا الخُطَّاف والهَوَامُّ[1].

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: أي: صار أمر تلك البلاد وأهلها إلينا وزال عنها سلطانهم؛ أي: إني قادر على أن أفعل بكم كذلك ولا ينفعكم تحرُّزكم من أن يتخطَّفوكم.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: أي: لم يكن الله ليُهلِكَ البلادَ التي حول مكة ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ وهي مكةُ؛ لأنها أم القرى؛ لأنها أصل البلاد فإنها أولُ ما خلق منها.

وقيل: لأن الأرض دُحيت من تحتها.

﴿رَسُولًا﴾: وهو محمد ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: القرآنَ؛ أي: وما كنتُ لأُهلك العرب مع كفرهم حتى أُلزم الحجة عليهم بالرسول والكتاب.

وقيل: هي عامة؛ أي: لم يكن الله ليهلك القرى فيما مضى حتى يبعث في سرَّة تلك البلاد ـ أي: معظمها ـ نبيًّا فيَعلمَ به مَن سواهم.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾: أي: وما أهلكناهم بالانتقام إلا وأهلها مستحِقُّون العذابَ بظلمهم، وهو إصرارُهم على كفرهم بعد الإعذار إليهم.

* * *

(١) في (أ): «الخطاب والهام»، وفي (ف): «الخطاف والهام».

(٦٠) ـ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾: أي: وما أُعطيتُم في الدنيا من شيءٍ من الأموال ونحوها فتراءَيتم به على الضَّعَفة وتركتُم به الإيمان ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾: أي: فهو شيء يُنتفع به في الحياة القريبة التي تنقضي قريباً وينقضي المتاع بانقضاء الحياة الدنيا، وهو زينةٌ من زِيَن[1] الدنيا.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: ما أعدَّه للمؤمنين ﴿خَيْرٌ﴾ من متاع الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰٓۚ﴾.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفليست لكم عقول تعلمون بها الأَوْلى بالاختيار.

* * *

(٦١) ـ ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: أي: هل مَن وعدناه على الإيمان والطاعة وعداً حسناً وهو الجنةُ وما فيها من الثواب ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾؛ أي رائيه، فوَثِق بوعدنا[2] واجتهد في طاعتنا فصيَّرناه إليها ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فاغترَّ به واشتغل به عن طاعتنا، واستعان بما أعطيناه على مخالفتنا ثم انقطع ذلك.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: للعرض والحساب والعقاب؛ أي: ليسا[3] سواءً، وما ينبغي لمن عقلَ أن يشتغل بمتاع الدنيا ويفارقَ الهدى[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «زينة في زمن».

(٢) في (أ): «بعهدنا».

(٣) في (ر) و(ف): «ليسوا».

(٤) في (ر): «ويقارب العداء»، وسقطت من (ف).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾؛ أي: مدركُه ومصيبُه، هو النبي عليه السلام[1].

وقال السدي: بلغني عن ابن عباس أنه قال: هو عمار بن ياسر[2].

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في عليٍّ وحمزة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ يعني: أبا جهل[3]. ويقال: الوليد بن المغيرة[4].

* * *

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: أي: يخاطبُهم، وهو عطفٌ على قوله: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أي: أين الذين كنتم تدَّعون أنهم شركائي فينصروكم ويشفعوا لكم ويجازوكم على عبادتكم إياهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: أي: وجب عليهم العذاب الذي أوعَد[5] الله

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٤) عن ابن جريج. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٦١) عن الضحاك.

(٢) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٩) عن السدي أنه قال: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة. وليس فيه ذكر البلاغ عن ابن عباس.

(٣) ذكره عن محمد بن كعب القرظيِّ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٥٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٣٣) عن القرظي ومجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٥) عن مجاهد.

(٤) انظر ما تقدم عن السدي قريباً.

(٥) في (ف): «وعدهم».

به: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ أي: هؤلاء الذين أغويناهم؛ أي: دعوناهم إلى الشرك واتَّبعونا.

﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾: إنما دعوناهم إلى ما كنا عليه نحن من الكفر.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾: من أن يكونوا لنا أولياءَ أو نحن نكون لهم أولياء أو من أن ننصرهم.

﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾: ما كانوا يعبدوننا.

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: أي: قيل للأتباع: ادعوا شركاءكم؛ أي: استنصِروهم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: أي لم يجيبوهم بالنصرة. ثم لهذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن الذين حقَّ عليهم القول هم الشركاء المعبودون وهم الشياطين، فإذا قيل للمشركين: أين شركائي بزعمكم، قال الشياطين: ربنا أَغْوَينا هؤلاء المشركين كما غَوَينا، لم نأمرهم بعبادتنا لكنْ زينًّا لهم الشركَ فأشركوا ولم نأمرهم بعبادتنا، فلا نصرة لهم عندنا ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ قصدوا اتِّباع أهوائهم لا عبادتَنا.

وقيل: ما كانوا يعبدوننا بإكراهنا إياهم عليها لكن بالوسوسة؛ كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

والثاني: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾؛ أي: الدعاةُ إلى الشرك، و﴿شُرَكَائِيَ﴾ غيرُهم وهي الأصنام، فيقال لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾؛ أي: الأصنام، فتقول الشياطين عند هذا خوفاً على أنفسهم أنْ يُزاد في عذابهم بإغوائهم: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ إنا ما أمرناهم بعبادتنا وما عبدونا، ومثل هذا ما

يقول مَن يكون منه سببٌ في جنايةِ غيره، فيقول: أما أنا فلمْ أَجْنِ هذه الجنايةَ ولا أمرتُ بها، إنما كان[١] مني كذا، إشفاقاً أن ينزل به جزاءُ تلك الجناية.

وقوله تعالى: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾: قيل: هاهنا مضمر: فوَدُّوا لو كانوا مهتدين إلى الإسلام في الدنيا.

وقيل: الإضمار في آخره: لو أنهم كانوا يهتدون لخرجوا من[٢] العذاب الذي رَأَوا.

وقيل: بل المضمر في آخره: لو كانوا يهتدون لَمَا رأوا ذلك العذاب.

* * *

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: عطف أيضاً على الأول ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين أُرسلوا إليكم.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾: أي: خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون؛ إذ لم يكن عندهم جواب يعتذرون[٣] به.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي: فلا يسأل بعضهم بعضاً عن [الحجة التي يحتجُّ بها؛ إذ يعلم أنه لا يجد ذلك عند أحد.

وقيل: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ أي: لا يسأل بعضُهم بعضاً عن حاله لأنه مشغول بأمر نفسه.

---

(١) في (ف): «إنما كانت» وفي (ر): «وما كانت».

(٢) في (أ): «لما أروا ذلك»، بدل: «لخرجوا من».

(٣) في (أ) و(ف): «يعذرون».

وقال مجاهد: أي: لا يتساءلون بالأنساب[1]؛ أي: لا يمكنُه أن يقول لآخر: انصرني لقرابتك مني[2].

***

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾: أي: مِن شِركه ﴿وَءَامَنَ﴾ بربِّه وبما جاء مِن عنده ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ في دينه ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ و(عسى) من الله إيجابٌ لأنه إطماع، وإطماعُ الكريم إيجابٌ، وهذا ترغيب للكفار في الإسلام، وبشارةٌ للمسلمين على الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾: أما قوله: ﴿يخلق ما يشاء﴾ فهو على العموم، ودل على خلق الأعيان والأفعال كلِّها، وكان حجةً لنا على المعتزلة،

وقوله تعالى: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ منهم مَن وقف هاهنا، ووجهه: ويختار ما يشاء، ثم قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ أي: ليس الاختيار إليهم، وهو ردٌّ على الذين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وعلى الذين اتخذوا الأصنام شركاء وشفعاء، فيقول: ليس لهم أن يختاروا شيئاً من ذلك للعبادة والشفاعة[3].

وقيل: هو بمعنى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٨).

(٢) «مني» ليس من (أ).

(٣) في (أ): «وللشفاعة».

لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٦]؛ أي: الأمر ملزِمٌ ولا اختيارَ للمأمور أن يفعله أو لا يفعله.

ومنهم مَن وقف عند قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ثم يقول: ﴿وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ ويكون ﴿مَا﴾ اسماً؛ أي: ويختار للعباد[1] ما هو مختارٌ في نفسه حسنٌ مَرْضي.

وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: أي: تَنزَّه الله تعالى وتقدَّس عن إشراك المشركين.

* * *

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾: أي: تُسِرُّ ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ بالقول والفعل، وهو وعد ووعيد.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾: أي: هو المحمود وحده في الدارين، إليه[2] مرجعُ شكرِ كلِّ شاكرٍ، ومدحِ كلِّ مادحٍ؛ لأن إحسان المحسنين بتوفيقه، فهو المنعِمُ على الحقيقة دون خلقه.

﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: وحده لا شريك له، ولا يشرك في حكمه أحداً.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: في الآخرة فيجازي كلًّا على وَفْق عمله.

* * *

---

(١) في (أ): «للعبادة».

(٢) في (ر) و(ف): «في الدارين وإليه مرجعكم أي».

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾[1]: دائماً لا نهار بعده ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هل إلهٌ غير الله ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: بنهار مضيء، فإذ كنتم مقرِّين أنه لا يقدر على ذلك غيرُه فلمَ تشركون به ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: أصمٌّ أنتم، فإن فعلَكم هذا فعلُ مَن لا يسمع.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: دائماً.

﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: من تعب أشغالكم بالنهار.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: أعُميٌ أنتم لا تبصرون الليلَ والنهار وما فيهما فتعتبِروا بذلك.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: أي: في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: في النهار.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولتشكروا له على هذه النعمة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: عاد الكلام إلى التخويف بيوم القيامة.

---

(١) «سرمداً» من (ف).

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: فسرناه، ومعنى التكرار ـ والله أعلم ـ: أنه يأمرهم بدعائهم أوّلاً، فيدعون فلا يستجيبون، فيظهر حُبوط عملهم وخيبة أملهم، ثم يخاطبهم به فيسكتون، وهو توبيخ لهم وزيادة في خزيهم.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أي: وأخرجنا من كل أمة شاهداً عليهم بما أجابوا به رسلهم؛ كما قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وقال: ﴿وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: أي: هلمُّوا أيها المشركون[1] حجّتكم على كفركم.

﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾: أي: أن الحق هو ما كان الله أرسل به أنبياءه إليهم، وأن الصدق هو ما كان أخبرهم به.

وقيل: ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: الإلهية لله وحده.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ باطلاً[2] ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ بشركهم[3] الذي كانوا يفترون به على الله.

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ

---

(١) بعدها في (ف): «هاتوا».

(٢) «باطلًا» من (ر) و(ف).

(٣) في (ر): «من شركهم».

مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾: هو قارون بن ضافر[1] بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكان ابنَ عم موسى، فإنه موسى بنُ عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وانتظام هذه القصة بما قبلها ما مر في أول هذه السورة.

ووجه آخر: أن هذا يتصل بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَا﴾.

ووجهٌ آخرُ: أن أغلب مَن كان يخالف أنبياءَهم[2] الأغنياءُ الذين بَطِروا بغناهم، وكذلك في عصرِ كلِّ نبيٍّ ومنهم قارون في زمن موسى.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: طلب الفضل عليهم وأن يكون فوقهم.

وقيل: بغى عليهم بكُفره، وقيل: بكِبْره.

وقيل: كان عاملاً لفرعون فبغى على الناس بأخذ أموالهم حتى صار أغناهم.

وقيل: استخف بالفقراء وازدرى بالناس ومنع الحقوق المالية.

---

(١) كذا في جميع النسخ، والذي في التفاسير: (يصهر). انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٣٥) و(١٨/ ٣٠٩)، و«البسيط» للواحدي (١٧/ ٤٤٦)، و«تفسير البغوي» (٦/ ٢٢٠)، و«الكشاف» (٣/ ٤٢٩)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٣١٢)، و«روح المعاني» (٢٠/ ٢٤٩). وقيده الشهاب الخفاجي في «عناية القاضي وكفاية الراضي» (٧/ ٨٤) وعنه الآلوسي بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة.

(٢) في (أ): «نبينا هم».

وقيل: زاد في ثيابه[١] قَدْراً من الطول.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: أي: أعطيناه من كنوز الأموال.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾: قيل: هو جمع مَفتح بفتح الميم، وهو بيت المال أو الصندوقُ الذي فيه المال، وهو موضع الفتح.

وقيل: هو جمع المِفتح بكسر الميم؛ أي: المفتاح الذي يُفتح به بيت المال أو الصندوق.

﴿لَتَنُوٓأُ﴾: يقال: ناء ينوء نَوْءاً؛ أي: حمل على ثقلٍ ونهض به على مشقَّةٍ، وهو لازمٌ، وصار هنا متعدِّياً بالباء الذي في قوله: ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾، والعصبة: جماعة، وهي من عشرة إلى أربعين.

وقال الفراء: العصبةُ هاهنا: أربعون رجلاً[٢].

فمَن جعل المفاتح جمعَ مَفتح ـ بالفتح ـ فمعناه: وأعطيناه من الأموال ما كانت خزائنُه وصناديقه التي فيها أموالُه ما بلغ مقداره أن العصبة وهي الجماعة الأقوياء إذا حملوها عجزوا عن حملها فأمالتهم لثقلها؛ كالرجل الذي يحمل الشيء فيعجز عن حمله فيميل تحته، وكان قارون وقومُ موسى غيرَ متمكِّنين في بلد، بمنزلةِ السيارة ينتقلون من بلد إلى بلد، فكانت أموالهم في صناديق ونحوها تُحمل من مكان إلى مكان.

ومَن جعلها من الـمِفتح الذي هو المفتاح. قال: كانت أقفال خزائنه ومفاتيحُها التي يُفتح بها بيوتُ أمواله وصناديقِه في الكثرة بحيث يعجز عن حملها الجماعةُ الكثيرة.

---

(١) في (ر): «شأنه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٠).

وقال مجاهد: كانت مفاتيحُه من جلود الإبل، كلُّ مفتاحٍ على قَدْرِ إصبعٍ، وكلُّ مفتاح يفتح به خزانة[١].

وعن خيثمة قال: كان يحمِلُ مفاتيحَ خزائنِ قارون ستُّون بغلاً محجَّلاً[٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾: قال مجاهد: أي: لا تَبْطَر[٣]، وهو سوءُ احتمالِ الغنى والطغيانُ بالدنيا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: أي: اكتسِبْ بها ثوابَ الآخرة دون التجمُّل والتكثُّر بالدنيا والتكبُّر على أهلها.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: خذ مع هذا من دنياك ما لا بدَّ لك منه في معاشك، فإنك غيرُ مَلُوم على ذلك.

وقيل: خذ بنصيبك[٤] في الدنيا من العمل الصالح الذي يوصلك إلى ثواب الآخرة، فهو نصيب المؤمن من الدنيا.

﴿وَأَحْسِن﴾ بمالك [٥]إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما وسَّع عليك وبسَطه لك.

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: هذا ظاهر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٠٧)، بلفظ: (كانت المفاتح من جلود الإبل). وروياه بتمامه لكن عن خيثمة، وخيثمة: هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وهو تابعي ثقة.

(٢) قطعة من خبر خيثمة السابق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٠).

(٤) في (أ): «أي خذ نصيبك» بدل من «خذ بنصيبك».

(٥) في (ر) و(ف): «من مالك».

(٧٨) - ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾: قال: إنما أُعطيتُ هذا المالَ لفضلي على غيري بعلمي، وكان علمُه حفظَ التوراة، وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للميقات، وكان أحدَ العلماء المذكورين يومئذ.

وقيل: أي: آتاني الله على علمٍ منه بفضلي ورضًا منه عني ورؤيتِه استحقاقي ذلك، وقوله: ﴿عِندِىٓ﴾؛ أي: عندي هو كذلك و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ هو علمُ الله هذا القول.

وقيل: أي: أوتيتُه على علم عندي، وهو علم الكيمياء، وبه اكتسبتُه ليس هو من إنعام الله عليَّ بل هو كسبي، وكفر بهذا.

وعن[1] سعيد بن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء، فعلَّم يوشعَ بنَ نون ثُلث ذلك العلم، وعلَّم كالب بن يوقنَّا ثلثه، وعلَّم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه[2].

وكان يأخذ الرصاص فيجعله فضةً، ويأخذ[3] النحاس فيجعله ذهباً[4].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الماضية ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾؛ أي: بالأنصار والأعوان والآلات المحصنة ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال مثلَ نمرود،

---

(١) في (أ): «قال».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٢)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٢)، وعزاه الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٦٨) للنقاش. ورده ابن كثير عند تفسير هذه الآية بقوله: وهذا القول ضعيف؛ لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل؛ لأن قلب الأعيان لا يقدر عليها أحد إلا الله عز وجل.

(٣) «يأخذ» ليست في (ر).

(٤) وهذا أيضا باطل. انظر التعليق السابق.

ولو كان إعطاء ذلك للفضل والعلم والاستحقاق لم يُعطهم ذلك، ولأن ذلك لم يدفع عنهم بأس الله فكذا قارون.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أي: والله عالم بهم لا يَحتاج إلى السؤال عنهم، فيهلكُهم في الدنيا ويعاقبُهم بالنار في الآخرة.

وقيل: لا يُسألون عن ذنوبهم يوم القيامة بل يدخلون النار بغير حساب.

وقيل: الملائكة لا تسألهم عن ذنوبهم بل تعرفهم بسيماهم؛ كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ [الرحمن: ٣٩] ثم قال: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾.

وقيل: معناه: ولا يُسأل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة.

* * *

(٧٩) - ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾: التي يتعظَّم بها؛ من اللباس والمركب والخدم ونحوهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج على بغلةٍ شهباء عليها سرجٌ من ذهبٍ وقطيفةُ أرجوانٍ[1].

وقال وهب: خرج في أربعة آلاف غلام على بغال شهب ثيابُهم الأرجوان.

وقال كعب: خرج في ثلاث مئة غلام عن يمينه وثلاث مئة جارية عن يساره عليهم ألوان الثياب.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٩) عن ابن جريج.

وقال الحسن: ﴿فِي زِينَتِهِۦ﴾ يعني: الحمرة والصفرة[1].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: يريدون زينةَ الحياة الدنيا الفانيةِ، ولا يرغبون في الحياة الباقية في الجنان العالية.

وقال قتادة: يعني ناساً من أهل التوحيد قالوا غبطة وتمنِّياً: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾[2] من الأموال لنُنفقها في طاعة الله.

﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: أي: جليلٍ يقدر معه على ما يريد من الدنيا.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: بالله وصفاته وأسمائه[3] وأحكامه: ﴿وَيْلَكُمْ﴾؛ أي: قالوا للأوَّلينَ الذين تمنَّوا ذلك ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ وأبقى؛ لأنه أفضل من أعراض الدنيا ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾؛ أي: لا يُلقَّى هذه الكلمة ولا يوفَّقُ للعمل بها إلا الصابرون عن الدنيا، الحابسون أنفسهم على طاعة الله تعالى؛ أي: لا يلقِّيها الله إلا هؤلاء.

وقال مجاهد: لا يُلقَّى الجنةَ وثوابها؛ أي: لا يؤتاها إلا الصابرون على طاعة الله.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٩) بلفظ: (في ثياب حمر وصفر).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٥).

(٣) في (أ): «بالله وبدينه وأقسامه» وفي (ف): «بالله وبربوبيته وأقسامه» بدل من «وصفاته وأسمائه».

(٨١) ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: أي: غيَّبناه في الأرض يغوص فيها ويَسُوخ وفعلنا بداره كذلك.

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾: أي: جماعةٍ ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعون عنه عذابَ الله.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ هو بنفسه وقوته.

وقيل: بداره وبأهل داره.

وقيل: بعين داره؛ لأنه كان زيَّنها بصفائح الذهب.

وقيل: بما فيها من الكنوز والأموال، ولمَّا خسف بقارون قال منافقون من بني إسرائيل: دعا موسى على قارون فخُسف به[1] ليرث موسى خزائنه، فدعا موسى على خزائنه[2] فخسف الله بداره وبصامت ماله بعد ثالثة[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أتى موسى قومَه بالزكاة جمعهم قارون وقال: هذا جاءكم بالصلاة[4] وبأشياء تحتملونها[5]، أفتحتملون أن تعطوه[6]

---

(١) «فخسف به» ليست في (ف).

(٢) في (أ): «على ماله».

(٣) في هامش (أ): «الصامت: المال الذي سوى الحيوان».

(٤) في (ر): «بالصاعرة»، وفي (ف): «بالصاغرة»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٥) في (ف): «لا تحتملونها». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر، فقد جاء في بعضها: (فاحتملتموها)، وفي أخرى: (تطيقونها).

(٦) بعدها في (أ): «من»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

أموالكم؟! فقالوا: ما نحتمل أن نعطيه أموالنا، فما ترى؟ قال: أرى أن أرسل إلى بغيٍّ بني إسرائيل فنرسلَها إليه ونأمرَها أن ترميه بأنه أرادها على نفسها، ففعلوا فرمت موسى على رؤوس الناس أنه أرادها على نفسها، فدعا الله عليهم فأمر الله الأرض أن تطيعه[1].

وقال السدي: كانت امرأة من بني إسرائيل تسمى سيرا[2] أرسل إليها قارون فقال لها: إنك تَزْنينَ بالدرهم والدينار والثوب، فهل لك أن أعطيك[3] ألف دينار على أني إذا أرسلتُ إليك تخبرين أن موسى زنى بك؟ قالت: نعم، فوزن لها قارون ألفَ دينار، فلما أصبحوا واجتمع بنو إسرائيل قال قارون: يا موسى كيف أنزل الله في الزنا؟ قال: الرجم، قال: انظر ما قِبَلك، ودعا سيرا، فلما جاءت قال: يا سيرا أخبري بني إسرائيل ما صنع بك موسى، قالت: دعاني قارون فأعطاني ألف دينار فهذا خاتمه عليها على أن أفتري على نبيِّ الله موسى، فأعوذ بالله من ذلك، فغضب موسى فدعا الله عليه[4].

وفي حديث وهب قال: نافق قارون حسداً لموسى كما نافق السامريُّ، فدعا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٦) وصححه، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه.

(٢) في (أ): «سنبرا»، وفي (ف): «سبيرا». والمثبت من (ر)، ومثل هذا الخلاف على اسمها في النسخ وقع في الموضعين الآتيين، وكذا وقع ذلك في المصادر كما سنبين.

(٣) في (ف): «فهل لك في».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٧)، واسم البغي في مطبوعه: (شيرتا)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٥) وفي مطبوعه: (شجرتا)، وفي «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣١٤): (سبرتا).

مومسةً وبين يديه طستٌ من ذهب مملوءٌ دنانير وقال لها: هل لك في هذا كله؟ قالت: كيف؟ قال: تقومين غداً وأنا مع موسى على السرير فتقولين للناس: إن موسى دعاني البارحة ليفسق بي، حتى تذهبي بمائه وجاهه، ولك هذا كله، فكانت الليلة مجمِعةً على ذلك، فلما أصبحت أدركتها رحمة الله، فقامت وبنو إسرائيل حضور فقالت: يا موسى! احذر هذا فإنه دعاني أمسِ..، وذكرت القصةَ، فقام قارون متشوراً، وأتى جبريلُ موسى وقال: إن الله جعل الأرض مطيعة لك، فقال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم فقالوا: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم، فأخذتهم إلى حُجَزهم، ثم كذلك إلى أعناقهم، ثم غيَّبتهم فيها، فأوحى الله إلى موسى: سألك عبادي وتضرَّعوا إليك فلم تُجبهم، أمَا وعزتي وجلالي لو أنهم دعوني لأجبتهم[1].

* * *

(٨٢) - ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾: أي: وصار الذين يتمنون أن يكون لهم من الأموال ما لَهُ ﴿يَقُولُونَ﴾ متندمين على ما كان منهم:

﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ﴾: قيل: (ويكأن) كلمة واحدة معناها: أما ترى أما تعلم[2].

وقيل: هما كلمتان: (ويك) بمعنى: ويلك بحذف اللام، قال عنترة:

---

(١) لم أجده عن وهب، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٦) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه. وقد تقدمت قطعة منه قريباً.

(٢) قاله الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٢).

ولقد شَفَى نفسِي وأَبْرَأ سُقْمَها قولُ الفوارسِ وَيْكَ عنترَ أَقْدِمِ[١]

وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال.

وقيل: (وي) كلمة يُتعجب بها وبعدها (كأن) التي هي للتشبيه.

وهي هاهنا بمعنى الظن والحسبان.

قال تعالى[٢]: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: أي: صاروا يقول بعضهم لبعض: ألم تعلموا أن ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ لا لكرامةِ مَن يَبسط عليه، ولا لهوان من يقدر عليه؛ أي: يضيق.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: فصرَف عنا ما كنَّا نتمناه بالأمس ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما خسف به.

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: ألم تروا أنه لا يفلح مَن كفر بالله.

وقوله: ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ معناه: الوقت المتقدِّم، لا الوقتُ[٣] بعينه.

وقال مقاتل: قال بعض بني إسرائيل: إنما أهلك موسى قارونَ طمعاً في ماله وداره، فخسف الله بماله وبداره بعد ثلاثة أيام، فهو يتلجلج[٤] في الأرض كلَّ يوم قامةَ رجل، حتى إذا بلغ قعر الأرض السفلى نفخ إسرافيل في الصور[٥].

* * *

---

(١) البيت في «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ١٥٢)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٢٤٩).

(٢) في (ر) و(ف): «والحساب ويك أن الله»، بدل: «والحسبان قال تعالى».

(٣) في (ر): «لا الأمس».

(٤) في (أ): «يتجلجل»، وفي (ف): «يتخلخل».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٧). وليس فيه: «حتى إذا بلغ قعر... ».

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: تعظُّماً على الناس ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ في الأرض كما علا فرعون وأفسد في الأرض وكذا قارون.

﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة الجميلة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالتوحيد[1].

﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: أي: فله منها خيرٌ؛ أي: ثواب[2].

وقيل: مَن جاء بالإيمان والطاعة فله عند الله من الثواب ما هو أكبرُ وأفضل من عمله؛ لأن ثواب الله يَفضُل عملَ العامل.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: أي: بالشرك والمعاصي.

﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: لا يُجزى المسيء إلا جزاءَ عمله السيِّئ لا يزاد عليه، وإنما أعيد ذكر الفاعل في قوله: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ تنبيهاً على المعنى الموجب للتمييز بين الفريقين.

* * *

(٨٥) ـ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٤٠) في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩] قال: مَن جاء بلا إله إلَّا اللهُ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٤ ـ ٢٩٣٥) عند تفسير الآية السابقة في سورة النمل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: ثم ختم السورة ببشارة نبيِّه عليه السلام بردِّه إلى مكة ظاهراً قاهراً لأعدائه المشركين هؤلاء، الذين حاجَّهم في هذه السورة، ووصلها بمواعظ تتصل بمعناها فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

قال محمد بن كعب: أي: فرض عليك تبليغه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: أنزله عليك(١) شيئاً بعد شيء، وأَوجب عليك العملَ بما فيه من شرائع الهدى ومحاسنِ الأخلاق.

وقال عطاء: أعطاك(٢).

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: أي: لراجعُك إلى وطنك بمكةَ مفتوحاً عليك عاليَ اليد على أهله، وكان كما ذَكر فدلَّ على صدق دعواه النبوَّة.

وقال مقاتل: خرج النبيُّ ﷺ من مكة ومعه أبو بكر رضي الله عنه متوجهاً إلى المدينة، فعدل عن الطريق مخافةَ الطلب، فلما أَمِن عاد إلى الطريق فنزل الجحفة، واشتاق إلى مولده ومولد آبائه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: أتشتاق إلى مولدك ومولد آبائك ومسقط رأسك؟ قال: «نعم»، قال: فإن الله تعالى أنزل عليك ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني: إلى مكة ظاهراً من غير خوفٍ(٣).

وقال الحسن: يعني: القيامة(٤)؛ لأنها مرجع الخلق.

---

(١) هذا القدر من الخبر ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الواحدي في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) عن مجاهد. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٦٦)، وفيه: (وقال عطاء بن أبي رباح: فرض عليك العمل بالقرآن).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٩)، وقد تقدم في أول السورة ما روي في سبب نزول هذه الآية.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٧ و٣٤٨).

وقال الزهري: يعني: الجنة[1]، قالوا: لأنه كان عليه السلام فيها في صُلب آدم، وأيضاً ليلةَ المعراج، ويجوز أن يسمى معاداً من غير أن كان فيها مرةً؛ كما قال في الكفار: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: يعني: الموت[2]، وإليه يعود الخلق، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ﴾: يصلح في ﴿مَن﴾ النصبُ بكونه مفعولاً، والرفعُ بكونه مبتدأ على الاستفهام.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: فيفتح على المهتدي ويقهر الضالَّ، فيُدخل المهتديَ الجنة والضالَّ النارَ، فيثيب المهتدي ويعاقب الضالَّ، فيَسعد المهتدي ويشقى الضالُّ، على اختلافهم في تفسير المعاد.

***

(٨٦) ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ﴾: أي: يوحَى إليك القرآن[3].

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: لكن الله رحمك وأنعم عليك به.

﴿تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: عوناً للكافرين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي مالك وأبي صالح.

(٢) رواه عبد بن حميد وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٦).

(٣) في (أ): «الكتاب».

(٨٧ ـ ٨٨) ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هو على الجمع؛ أي: لا يمنعَنَّك هؤلاء عن اتِّباع القرآن[1].

﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: أي: الآيات.

﴿وَٱدْعُ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا يحملنَّك شوقك إلى وطنك على مداهنة هؤلاء وموافقتهم في شيءٍ ليمكنك[2] المقام فيها، فإني مُعيدُك إليها عالياً[3] عليهم.

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: أي: إلا هو، يقال: أكرم الله وجهك؛ أي: أكرمك الله.

وقيل: معناه: كلُّ عمل باطلٌ إلا ما أريد به وجهُه؛ أي: رضاه.

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: هذا ظاهر.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) في (ف): «الحق».

(٢) في (ر) و(ف): «لتمليك».

(٣) في (أ): «أعيدك إليها غالباً».

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي هو غنيٌّ عن العالمين، الرحمنِ الذي وعَد الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة ونعم أجرُ العاملين، الرحيمِ الذي يهدي المجاهدين فيه سبُله وإنَّ الله لَمَع المحسنين.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشرُ حسنات بعدد كلِّ المؤمنين والمنافقين»[1].

وهذه السورة مكية إلا قولَه في قصة سعد: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، وقولَه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ فإنهما نزلتا بالمدينة.

وهي تسع وستون[2] آيةً، وتسعُ مئة وستٌّ وسبعون كلمة[3]، وأربعة آلاف ومئتان وتسعةٌ[4] وثلاثون حرفاً.

---

(1) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٩)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٩٠٠)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(2) في (ر) و(ف): «وتسعون»، والمثبت من (أ) وهو الصواب. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٣)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٦٩).

(3) في «البيان في عد آي القرآن»: (تسع مئة وثمانون)، وفي «تفسير الثعلبي»: (وإحدى وثمانون).

(4) في هامش (ف): «وسبعة». وفي المصدرين السابقين: (أربعة آلاف ومئة وخمسة وتسعون حرفا).

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: مر ذكر الأقاويل فيه في أول سورة البقرة، ومنها: أن معناه: أنا الله أعلم، وهو وصف الله تعالى بكمال العلم.

وختم تلك السورة بذكر نفاذ الحكم، وذلك وجهُ النظم.

وانتظام السورتين: أنهما جميعاً في بيان وحدانية الله تعالى ودلائلها، ومدحِ المؤمنين ومواعيدهم، وذمِّ الكافرين[1] ووعيدهم.

وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾: أي: أظنَّ الناس ـ وهم الذين شكَوا أذى المشركين ـ أن نقتصِر منهم على أن يقولوا آمنا بالله ورسوله ويُتركون أن لا[2] يختَبروا بالأمر بهجر ديارهم وجهادِ عدوهم والصبرِ على إيذائهم؟ ويدخل في ذلك المصائب والأمراضُ والشدائد، وهو استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا يكون ذلك[3]، ولا بد أن يُفتَنوا بأنواع المحن في الدِّين، فيُخلصوا على الامتحان، ويَظهر بذلك صدقُ مَن صدَق فيه وكَذِبُ مَن كَذَب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا نزل قوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ الآية [الأنعام: ٦٥] اغتمَّ رسول الله ﷺ وقال: «إنْ بَعَث عليهم عذاباً من فوقهم كما بعث على قوم لوط لم يبق منهم أحد، وإن خَسَف بهم كما خَسَف بقارون لم يبق منهم أحد، وإن لَبَسهم[4] شيعاً وأذاق بعضَهم بأسَ بعضٍ فكيف

---

(١) في (أ) و(ف): «الكفار».

(٢) في (أ): «أن»، وفي (ر): «أي لا».

(٣) في (أ): «هذا».

(٤) في (أ): «ألبسهم».

يكون حالهم[١]؟» فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إن الله تعالى يقول: قد أرسلنا قبلك رسلاً إلى قومهم فصدَّقهم مصدِّقون وكذَّبهم مكذِّبون، فسمَّينا المصدِّقين منهم مؤمنين وسمَّينا المكذِّبين منهم كفاراً، ثم لم يمنعْنا بعد[٢] قبض الأنبياء أن نبتليَهم ليَتبيَّن الصادقُ منهم من الكاذب، وأنزل الله هذه الآية[٣].

وقال الشعبي: نزلت في أناسٍ مؤمنين من أهل مكة كتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة: لا ينفعُكم إيمانكم إلا أنْ تهاجروا، فخرجوا مهاجرين فتبعهم المشركون فردُّوهم، فأنزل الله هذه الآية، فوجَّهوا إليهم الآية، فقالوا: نخرج ثانياً، فإن خرجوا على إثرنا قاتلناهم، فخرجوا فتبعهم المشركون، فمنهم مَن قُتل ومنهم مَن نجا، وفيهم نزل: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ الآية [النحل: ١١٠][٤].

وقال مقاتل: نزلت في مِهْجَعِ بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب أولِ قتيلٍ في الإسلام، جزع عليه أبواه فنزلت[٥].

---

(١) في (ر) وقعت الضمائر كلها بالمخاطب: «إن بعث عليكم.. من فوقكم.. وإن خسف بكم.. لم يبق منكم.. وإن لبسكم.. وأذاق بعضكم.. كيف يكون حالكم».

(٢) في (ر) و(ف): «مع».

(٣) لم أقف عليه. وقد روي في معناه حديث في الصحيح، فقد روى البخاري (٤٦٢٨) عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لمَّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال رسولُ الله ﷺ: «أعوذُ بوَجهك»، قَالَ: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «أعوذُ بوَجهِك» ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسولُ الله ﷺ: «هذا أهونُ ـ أو: هذا أَيْسرُ»

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣١).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٢).

وقال ابن جريج: نزلت في عمار بن ياسر حين عذَّبه الكفار(١).

* * *

(٣) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يعني: من الأمم، لم نكتفِ منهم بقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ بل ابتليناهم، فكذا هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: فليفتننَّهم الله ليَظهر صدقُ الصادق وكذبُ الكاذب بالفعل وترك الفعل.

وقيل: ليَعلمن الله ذلك موجوداً عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد، وقد أوضحنا ذلك في سورة البقرة وآل عمران.

ثم هذا الصدق وهذا الكذب يجوز أن يكونا في القول بأنْ كانوا وَعدوا من أنفسهم الصبرَ، فصبر بعضهم فصار صادقاً في وعده، ولم يصبر بعضهم فصار كاذباً فيه.

ويجوز أن يكون في معنى تحقيقِ الإيمان والوفاءِ بشروطه؛ كما يقال: صدق فلان القتالَ، وكما قال: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]؛ أي: خلاف.

* * *

(٤) ـ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: أي: المعاصي، بجزعهم عند الفتنة وإضمارهم النفاق والشك وغير ذلك.

---

(١) ذكره عن ابن جريج الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٢)، عن ابن جُرَيج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول...، فذكره.

﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾: أي: يُعْجزونا فيَفوتونا فلا نقدرَ على مجازاتهم، فلذلك لا يصبرون ولا يجاهدون ولا يهاجرون؟

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: بهذا الحسبان(١).

وقيل: الأول في المؤمنين وهذا في الكافرين؛ أي: ﴿حَسِبَ﴾ الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ أن نكتفيَ منهم بالإيمان بدون الامتحان، ﴿أَمۡ حَسِبَ﴾ الكفار أن يعجزونا فتركوا لأجل ذلك الإيمان؛ أي: فالحسبانان باطلان.

وقيل: نزلت الآية في بني عبد شمس: شيبةَ وعتبةَ والوليدِ بن عتبة، وحنظلة بن أبي سفيان وعبيدة بن سعيد بن العاص وعقبة بن أبي معيط والعاص بن وائل، هؤلاء الذين بارزوا عليًّا وحمزة وعبيدةَ بنَ الحارث رضي الله عنهم(٢).

* * *

(٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: أي: يؤمِّل أن يَلْقَى الله فيُثيبَه على عمله.

وقيل: أي: يخاف أن يلقى الله(٣) فيحاسبَه على عمله. والرجاء يحتملُهما.

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾: لا محالة، وهو قريبٌ، وهو اسم للموت وللقيامة أيضاً، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأفعالهم؛ أي: فلْيجتهِدْ في صالح الأعمال

---

(١) في (ر) و(ف): «الحساب».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٣). وفي قوله: «هؤلاء الذين بارزوا عليًّا وحمزة وعبيدة...» على الإطلاق نظر؛ فإن الذين بارزوهم هم الثلاثة الأُوَل فقط.

(٣) في (أ) و(ف): «يلقاه».

ولْيجتنِبْ سيِّئَ الأفعال، وهو حثٌّ على الصبر على أذى المشركين، والجهادِ مع أعداء الله لإعلاء الدِّين.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: جاهد عدوَّ الله، وجاهَد نفسَه، وجاهد الشيطان، فنفعُ ذلك يرجع إليه، لا حاجة إليه لله[1] تعالى، وهو غنيٌّ عن العالمين كلِّهم وهو غنيٌّ عن الخلائق كلهم[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أي: إن المؤمنين إذا عملوا الصالحات من الصبر على نفسه[3]، ومجاهدةِ العدو، وتحمُّل الأذى، وغيرِ ذلك، ليَمحونَّ الله معاصيَه التي سلفت، وليَجْزِينَّه على أحسن أعماله، ثم يُلحِقُ سائرَه به.

وقيل: أَي: مَن أمن من الكفار، وعمل صالحاً في الإسلام، يَغفر الله له ما كان من سيئاته في كفره، ويجزيه في الإسلام على الصالح من عمله.

* * *

(٨) ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) في (ر): «يرجع إليه لا إلى الله».

(٢) «وهو غني عن الخلائق كلهم» من (أ).

(٣) في (أ): «الفتنة».

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾: ثم ذكر بعض ما يُفتَن به الإنسان في إيمانه، وهو أن يأمره أبواه بالشرك والمعصية فلا يحتمِل قلبُه معصيتَهما مع وجوب برِّهما شرعاً وعقلاً، وأخبر أنه لا طاعة لهما في ذلك فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: أمرناه أن يفعل بهما حُسناً.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾: أي[1]: قلنا له بما أوحينا إلى رسولنا وأنزلنا عليه أن يأمره به: وإن استفرَغا مجهودهما لك ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنه لي شريك ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في ذلك.

﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: في القيامة ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أخبرُكم بأعمالكم وأجازيكم عليها، الولدَ المؤمنَ المطيعَ على إيمانه وطاعته، والوالدين الكافرين العاصيين على كفرهما ومعاصيهما.

نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمّه حَمنةَ بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، وكانت مشركةً وأسلم ابنها سعدٌ، فحلفت أن[2] لا تأكلَ ولا تشرب ولا يظلَّها ظلٌّ حتى يرجع سعد عن دينه، فأبى عليها، فلَمْ تزل كذلك حتى غُشي عليها، فأتاها بنوها فسقَوها[3] حتى أفاقت، وأنزل الله هذه الآية يأمر سعداً بالإحسان إليها وألَّا يطيعها في الشرك[4].

---

(١) بعدها في (أ): «إن»، ولا وجه لها.

(٢) «أن» من (أ).

(٣) في (ر): «فنبهوها».

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣) عن قتادة، وورد دون عزو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤١). وروى نحوه مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رضي الله عنه.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قيل: أي: والذين آمنوا بعد كفرهم وأصلحوا بعد إفسادهم ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لنتقبَّلنَّ ذلك منهم، ولنجعلنَّهم من جملة المؤمنين المصلحين.

وقيل: أي: ولندخلن المؤمنين المطيعين الجنة مع عبادي الصالحين.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: وهذه صفة المنافق الذي يُفتن في دينه، يقول بلسانه: آمنت بالله وصدقتُ بوعده ووعيده.

﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾: أي: ناله مكروه بسبب دِين الله.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾: أي: جعل إيذاء الناس في خوفه وتركِ الدِّين لأجله كعذاب الله الذي هو باقٍ لا ينقطع؛ أي: يترك الإسلام إذا خاف إيذاء الكفار إياه كما يترك المسلم المعصية إذا خاف كذلك عذاب الله.

وسمى الأذى فتنةً لأنه محنةٌ يشتدُّ احتمالها، وهذا تقبيحٌ من الله تعالى فعلَ هذا المنافق، وذمٌّ له بسوء اختياره(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: للمسلمين ظفَرٌ وغنيمة.

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: أي: في الدِّين، فأشرِكونا فيما أصبتُم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: بما في قلوب الخلق

---

(١) في (ف): «وذم له سوء الاختيار» وفي (ر): «وذم لسوء اختياره».

من الإيمان والكفر والإخلاص والنفاق، فكيف يتوهَّم هذا المنافق أنه يَخْفَى على المسلمين[١] ولا يُخبرهم الله به وهو عالمٌ به؟ وهذا تهديدٌ لهم.

* * *

(١١) ـ ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: أي: وليمتحننَّ الله الفريقين، وليُظهرنَّ إخلاصَ المخلِصين ونفاقَ المنافقين، وليُميِّزنَّ بين الفريقين ليَعْرفهم المؤمنون فيجازوهم على حسب استحقاقهم.

وقال عكرمة: كان ناسٌ بمكة قد شهدوا أنْ لا إلهَ إلا الله، فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم معهم فقُتلوا، [فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفَروا لهم] فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩] وكتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى المسلمين الذين بمكة [أنْ لا عذر لهم]، فخرج ناسٌ من المسلمين حتى إذا كانوا ببعض الطريق طلبهم المشركون فأدركوهم، فمنهم مَن أعطى الفتنة طائعاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية، فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى المسلمين الذين بمكة، فقال رجل من بني صخر لأهله: أخرِجوني إلى الرَّوحاء، وكان مريضاً، فأخرجوه حتى إذا كان ببعضِ الطريق مات، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية [النساء: ١٠٠] ونزل في أولئك الذين كانوا[٢] لم يعطوا الفتنة: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ الآية [النحل: ١١٠][٣].

---

(١) في (ف): «الناس».

(٢) «كانوا» من (أ).

(٣) رواه عن عكرمة الأزرقيُّ في «أخبار مكة» (٢/ ٢١٢)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» =

ثـم فـي أول الآية: ﴿مَن يَقُولُ﴾ علـى التوحيد، وكذلـك: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ﴾ ثـم قـال: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ علـى الجمـع؛ لأن (مَـن) اسـمُ جنس، فجـاز توحيـدُه لِلَفظـه وجمعُـه لمعناه.

وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه، وذلك أنه أسلم وهاجر إلى المدينة قبل هجرة رسول الله، فحلفت أمُّه أن لا تقومَ من الشمس ولا تغسل رأسها[1] حتى يعود عياش كافراً، وهي [أسماء] بنت مخرمة بن أبي جندل بن نهشل المخزومي، فخرج أخواه أبو جهل والحارث ابنا هشام على إثره إلى المدينة، فلم يزالا يفتلان منه في الغارب والسَّنام[2] حتى ردَّاه، فأوثقاه، وضربه كلُّ واحد منهما مئة جلدة، وقالا له: أنت تزعم[3] أن في دينك برَّ الوالدين وأن ربك بمكة والمدينة واحد، فرجعاه وآلَ أمرُه إلى أنْ كفَر[4].

= (ص: ١٧٨ ـ ١٧٩)، وفيهما: (فقال رجل من بني بكر). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٧)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما بين معكوفتين منهما. وليس فيهما قصة رجل بني بكر.

(١) في (أ): «تغتسل»، بدل: «تغسل رأسها».

(٢) أي: ما زالا يُخادِعانه حتى لان، وهو على طريقِ ضَرْب المَثَل، ويقال فيه أيضاً: (في الذروة والغارب)، والذروة: أعلى السنام، الغارِب مُقدَّمُه، قال الأصمعي: يُقال: ما زال يفتل فِي ذروته ـ أي: يخادعه ـ حتى يُزيله عن رَأْيٍ هو عليه. وأصله: أنَّ مَن أراد أنْ يَزُمَّ الصَّعبة من الجِمالِ فإنه يَرفُقُ بها، ويمسحُ غارِبها، ويَفتِلُ وَبَرَها، حتى تَستَأنِس به، فيُلقِيَ الزِّمامَ في مِخْطَمها. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ١٥٦)، و«مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: غرب).

(٣) في (ر) و(ف): «تدعي».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٥)، وما بين معكوفتين منهما.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم أسلم بعد ذلك بدهرٍ وحسُن إسلامه[١].

* * *

(١٢) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: صيغةُ أمرٍ، ومعناه جزاءُ الأمر، جُعل جوابُ الأمر على صيغة الأمر للتقابل.

وهذا أيضاً مما يُفتَنُ به المؤمن عن دينه من الخديعةِ التي يَنْفُق مثلُها على الضَّعفة، يقول: قال مشركو مكة للمؤمنين: اتبعوا ديننا ونحن نتحمَّل عنكم آثامكم في الآخرة إن كان اتِّباعكم إيانا إثماً وكانت القيامة حقاً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾: أي: لا يحمل هؤلاء القائلون من آثام هؤلاء المقولِ لهم شيئاً؛ لأنه لا تَزِر وازرةٌ وِزْر أخرى.

﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: في قولهم: إنَّا نحمل خطاياكم.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أي: أوزار أنفسهم بضلالهتم.

﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: أي: وأوزار الضالين بإضلالهم.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: هؤلاء الخادعون ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي:

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢) عقب الخبر السابق عن الكلبي ومقاتل.

يكذبون بهذا الوعد، وهو حملُ الخطايا عنهم، فكان هذا الخداع منهم داخلاً في أوزارهم التي يحملونها ويعاقَبون عليها.

وقيل: عما كانوا يفترون من الشرك بالله والكذبِ على كتاب الله ورسوله.

وقيل: نزلت الآية في أبي سفيان بن حرب وأمية بن خلف الجمحيِّ قالا لعمر بن الخطاب وخباب بن الأرت: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ الآية[١].

وقال محمد بن الحنفية: كان أبو جهل وصناديدُ قريش يتلقَّون العرب ويصدون الناسَ عن اتِّباع رسول الله ﷺ، ويقولون لهم: لا تُقِرُّوا لمحمدٍ[٢] ولا تدخلوا في دينه وعلينا أوزاركم[٣].

وقال النبي ﷺ: «ما من عبدٍ يدعو إلى خير إلا أعطاه الله مثلَ أجرِ مَن أجابه لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئاً، وما من عبد يدعو إلى شرٍّ فيُتَّبع عليه إلا جَعل الله عليه مثلَ أوزار الذين اتَّبعوه لا يَنقص ذلك من أوزارهم شيئاً»، ذلك بأن[٤] الله تعالى يقول: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ﴾[٥].

* * *

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٧٦).

(٢) في (أ): «لا تغتروا بمحمد».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦٧).

(٤) في (ر) و(ف): «وذلك لأن».

(٥) رواه عبد بن حميد وابن المُنذر عن الحسن عن النَّبي ﷺ مرسلًا، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٤)، والاستدلال بالآية في آخره هو من كلام الحسن كما صرحوا بذلك. ورواه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون ذكر الآية.

(١٤) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: ثم ذكر بعض قصص الأنبياء عليهم السلام وتحمُّلهم أذى القوم وجهادَهم إياهم في الدعوة إلى الحق بدءاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: أي: فمكث في قومه يدعوهم إلى الله تسعَ مئة وخمسين سنة.

قال الواقدي: كان عمرُه هذا.

وهذا غلط؛ هذه مدةُ مُقامه فيهم من وقتِ الوحي إلى وقت هلاكهم بالطوفان.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بُعث نوح لأربعين سنة، وكذا كان بعثُ كلِّ نبيٍّ إلا عيسى عليه السلام، وعاش بعد الطوفان ستين سنة[1]، فذلك ألفٌ وخمسون.

وقال وهب: كان عمر نوح عليه السلام ألفاً[2] وأربعَ مئةِ سنة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾: أي: الماء الكثير ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: مشركون.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩١٨)، والدينوري في «المجالسة» (٣٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٥).

(٢) في (ر): «ألفي سنة». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٣/ ٤٤٥)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٤٥)، و«روح المعاني» (٢٠/ ٣٢١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: أي: أنجينا نوحاً ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾؛ أي: والذين حملهم نوحٌ في السفينة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾: أي: السفينةَ ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: علامةً لهم دالةً على صدق قول الأنبياء ونجاةِ مَن آمن بهم وهلاكِ مَن كذبهم.

وقال قتادة: أبقاها الله تعالى آيةً فهي على الجوديِّ[١].

وقيل: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾؛ أي: العقوبةَ بالطوفان عبرةً للعالمين يَعتبرون بها.

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: عطفٌ على قوله ﴿نُوحًا﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أنفعُ لكم وأصلحُ إن كنتم من أهل العلم بالأمور والتفكُّر في بَواديها وعواقبها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾: أي: أصناماً من خشب وحجر.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: أي وتفتعلون كذباً؛ أي: وتسمُّونها آلهة كذباً.

وقيل: (تخلقون): تنحتون ما تكذبون فيه بتسميته إلهاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وتصنعون كذباً[٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٣).

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾: أي: لا يقدرون أن يرزقوكم، وجَمع بالواو والنون فعلَ الأوثان لأنه وصَفَها بصفاتِ العقلاء(١).

وقوله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾: أي: فاطلبوا الرزق من عند الله، ثم بيَّن طريق الطلب فقال: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾؛ أي: في الحال ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾؛ أي: لِمَا مضى من إنعامه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: فيجازيكم بما عملتُم: من الشكر والكفران، والعبادة والطغيان، وهو وعد ووعيد.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: قيل: من هاهنا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ كلامٌ معترِض، وهو خطاب من الله تعالى لمشركي العرب.

ومعناه على الوصل: لمَّا قال إبراهيم عليه السلام هذا كذَّبوه، وكذلك قومُ نوح عليه السلام كذَّبوا نوحاً، وإن تكذبوا يا معشر العرب فقد كذَّب أممٌ من قبلكم أنبياءهم، فما ضرَّ ذلك الأنبياء بل ضرَّ المكذِّبين، فأهلكهم الله تعالى وأنجى الأنبياء والمؤمنين، وليس على الرسول إلا البلاغ(٢) الظاهر.

* * *

(١) في (ر): «من يعقل».

(٢) في (أ): «وليس على الأنبياء والرسل إلا التبليغ».

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: استفهام بمعنى الإثبات؛ أي: قد رأوا ذلك وعلِموه، وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس هذا مما يقع عليه[1] رؤيتهم، لكنه إخبارٌ ودليلُ ثبوته إبداؤه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: غيرُ متعذِّر: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وأكد هذا بما بعده.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: على كثرتهم وتفاوُتِ هممهم، واختلافِ طبائعهم وألوانهم وألسنتهم وصناعاتهم، فتستدلوا بذلك على أنه لم يخلقهم لذلك[2] عبثاً بل ليمتحنهم، فلا بد من دارٍ للجزاء والحساب.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿النشاءة﴾ بالمد، والباقون بالقصر[3]، وهو كالرأفة والرآفة؛ أي: كابتداءِ إيجادهم في الدنيا مختلفي الأحوال والأعمال، فكذلك يعيدهم في الآخرة مختلفين في الجزاء اختلافهم في الأفعال.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من الإبداء[4] والإعادة وكلِّ شيء.

---

(١) في (ر): «في»، وليست في (ف).

(٢) «لذلك» من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٤) في (ر) و(ف): «الابتداء».

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾: في النشأة الآخرة ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾؛ أي: وإلى جزائه تردُّون وتُرجَعون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: أي: بفائتين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال الفراء: أي: ولا مَن في السماء[1]، فأضمر كلمة (مَن) وهو جائز؛ قال حسان رضي الله عنه:

فمَن يهجو رسولَ الله منكم ... وينصرُه ويمدحُه سواءُ[2]

أي: ومَن ينصره ومَن يخذله.

وقيل: هو خطاب لأهل السماء والأرض جميعاً: ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا أهل الأرض والسماء ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾: فائتين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾.

وقيل: ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا أهل الأرض تعجزون الله هرباً في الأرض، ولا في السماء لو صعدتم إلى السماء، ولا ينفعُكم[3] الهرب إليها، ويكون في معنى قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يمنعكم من عذاب ينزل بكم، فإلى الله فافزعوا وإياه فاعبدوا.

---

(١) أي: ولا من في السماء بمعجز. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٥).

(٢) انظر: «ديوان حسان» (ص: ٦٤).

(٣) في (ر): «يمكنكم».

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾: أي: بالقرآن والبعث والحساب ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾؛ أي: فأولئك القانطون من رحمتي ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو تفسير قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ وإذا كان اليأس من الرحمة لهؤلاء كانت الرحمة للمؤمنين المخالفين لهؤلاء.

ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم وجوابِ قومه له:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي: إلا قولُهم، بالرفع اسماً لـ﴿كَانَ﴾، ونصبِ ﴿جَوَابَ﴾ خبراً لـ﴿كَانَ﴾، [وقرئ بالرَّفع][(١)] وعلى هذا يكون ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ نصباً خبراً لـ﴿كَانَ﴾، ونظيره: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ [الروم: ١٠]، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، على قراءتين على الوجهين.

﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾: لمَّا ألزمهم الحجةَ أعرضوا عنها وعارضوه بقصد الإهلاك، فقال بعضهم لبعض: اقتلوه بالسيف ونحوه أو حرِّقوه بالنار.

﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: أي: من أذاها ومكروهها بعد إلقائهم إياه فيها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لَعلاماتٍ للمؤمنين على أن العاقبةَ المحمودة لأهل الإيمان.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق، والقراءة بالرفع نسبت للحسن وسالم الأفطس. انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣١٢)، و«البحر المحيط» (١٧/ ١٢٠).

(٢٥) ـ ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: لتَوَادُّوا بينكم على عبادتها وتَحابُّوا وتَواصَلوا عليها.

وقوله تعالى: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾: فيه أربع قراءات:

قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي: ﴿مودةُ بينِكم﴾ بالرفع والإضافة.

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر: ﴿مودةً بينكم﴾ منوناً منصوباً.

وقرأ عاصم في رواية الأعشى عن أبي بكر: (مودَّةٌ) مرفوعٌ منوَّن (بينكم) نصباً.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصباً غيرَ منوَّنٍ مضافاً[1].

فمَن ترك التنوين[2] فقد أضاف ولذلك خفَض ﴿بَيْنِكُمْ﴾، ومَن نوَّن فقد ترك الإضافة فنصب ﴿بينكم﴾ على الظرف، ومَن رفع ﴿مودة﴾ فلها وجهان:

أحدهما: أن يكون: (إنَّ ما) مفصولاً، وتقديره: إن الذين اتخذتُموهم أوثاناً مودةُ بينكم، على خبر (إنَّ).

والثاني: أن يكون ﴿إِنَّمَا﴾ موصولاً، ويكونُ حرفاً واحداً، ويتمُّ الكلام عند قوله: ﴿أَوْثَٰنًا﴾، ثم قوله: ﴿مودةُ بينكم﴾ يضمَر قبلها: هي؛ أي: هي مودةُ بينكم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٣). والقراءة الثالثة وهي قراءة الأعشى عن أبي بكر لم يذكرها الداني، والمشهور عن أبي بكر الرواية الأخرى؛ أي: مثل قراءة نافع وابن عامر.

(٢) في (أ): «فيه أربع قراءات قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي وأبو زيد عن المفضل: (مودةُ بينِكم) بالرفع والإضافة، وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصباً غير منون مضافاً، وقرأ الشموني والبرجمي عن أبي بكر: (مودةٌ) مرفوعاً منوناً (بينكم) نصباً، وقرأ الباقون: (مودةً بينكم) منوناً منصوباً. فمن ترك التنوين...».

ومَن نصَب ﴿مودة﴾ فلوقوع الاتخاذ عليها وعلى الأوثان؛ لأنه فعلٌ يطلب اثنين[١]، يقول: اتخذْتُموها لتتوادُّوا[٢] عليها وهي في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: أي: يتبرأُ ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ كما قال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾: يومئذ[٣] ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ حينئذ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾: أي: صدَّقه لوطٌ بعد هذا التنبيه وإقامةِ الحجج من بين القوم الكثير.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾: قيل: هو قول لوط.

وقيل: هو قول إبراهيم.

وفي رواية[٤]: أنهما هاجرا معاً من أرض السواد إلى الشام.

ومعناه: إني تاركٌ وطني وبلدي ومفارقٌ مَن خالفني مَن أهلي متقرِّباً[٥] بذلك إلى ربي.

وقيل: لمَّا صدَّقه لوط من بين قومه لم يتهيَّأ له المقام بينهم، فقال: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي من المواضع التي أمرنا فيها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: أي: المنيع الذي مَن لجأ إليه مَنَعه من أعدائه.

---

(١) في (أ): «اسمين»، وفي (ف): «أيتهن».

(٢) في (ر): «لتودوا»، وفي (ف): «لتوادوا».

(٣) «يومئذ» من (أ).

(٤) في (أ): «والرواية» بدل: «وفي رواية». وستأتي الرواية بذلك.

(٥) في (أ): «تقرباً».

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي يمتحن أولياءه بأعدائه، ثم يجعل العاقبةَ المحمودة لأوليائه.

وقال محمد بن إسحاق: خرج إبراهيم ولوط عليهما السلام مهاجرَين ـ وقد تزوَّج إبراهيمُ سارةَ بنتَ عمه ـ فراراً بدينهم والتماساً للتمكُّن من عبادة ربهم، حتى نزلوا حرَّان، فمكثوا بها مدة ثم خرجوا إلى مصر ثم إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين من قرى الشام، ونزل لوطٌ المؤتفكةَ على مسيرة يومٍ وليلة، فبعثه الله نبيًّا إليهم(١).

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾: أي: في أعقابه ونسله؛ لأن موسى وداود عليهما السلام وغيرَهما من أنبياء(٢) بني إسرائيل كلُّهم من ذرية يعقوب، ومحمدٌ ﷺ من ولد إسماعيل، وهو ابن إبراهيم، ولهم النبوةُ والكتابُ، ووحَّد الكتاب لأنه مصدرٌ كالنبوة فصلح للجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ﴾: أي: ثوابَ قيامه بأداء الرسالة، وصبرِه على أذى القوم، ومهاجَرته إلى ربه فارًّا بدينه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ من كثرةِ الأولاد وكونِ الأنبياء فيهم، وإلزامِ الناس اتِّباعَ ملَّته، وإبقاءِ ذكره على ألسنة الآخرين(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: قال الحسن: أي: لَمِن أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦] قيل: في جنَّتنا(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٣).

(٢) في (ف): «من الأنبياء من».

(٣) في (ف): «على الألسنة».

(٤) «قيل في جنتنا» من (أ). ووقعت هذه العبارة في (ر) و(ف) قبل قوله: «قال الحسن».

(٢٨) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾: عطفٌ على قوله: ﴿وَنُوحًا﴾، وبيَّن صبرَه على أذى قومه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: أي: الفعلةَ القبيحةَ المتناهيةَ القُبح، وهي إتيان الذكور.

﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿أَيِنَّكُمْ﴾: قرأ ابن كثير، ونافعٌ غيرَ قالون، وسهلٌ، ويعقوبُ غيرَ زيد، بغيرِ استفهام في الأول وبالاستفهام في الثاني بغير مدٍّ، ﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿آئنكم﴾: قرأ أبو جعفر وقالون وزيد بالمد في الثانية، وقرأ أبو عمرو بالاستفهام مع المد في الموضعين، ﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿أَيِنَّكُمْ﴾: قرأ شامي ـ وهو ابن عامر ـ وحفصٌ عن عاصم بغير استفهام في الأول وبالاستفهام في الثاني، وهشام عن ابن عامر يدخل بين الهمزتين مدةً، وقرأ الباقون بالاستفهام في الحرفين[1]، وهو استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لم يفعلها أحد من الناس قبلكم.

* * *

(٢٩) ـ ﴿أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

---

(١) من قوله: «﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿أَيِنَّكُمْ﴾: قرأ ابن كثير ونافع...» إلى هنا وقع بدلًا منه في (ر) و(ف): «وقرأ نافع وحفص: ﴿إِنَّكُمْ﴾ في الموضعين بغير استفهام، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالاستفهام في الحرفين، وحفص عن عاصم في الأولى بغير استفهام وفي الثانية باستفهام». وانظر: «التيسير» (ص: ١٧٣)، و«البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» لعبد الفتاح القاضي (ص: ٢٤٥)، وقد لخص القاضي ما فيهما من قراءات للعشرة فقال: (قرأ المدنيان والمكي والشامي وحفص ويعقوب بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، والباقون بالاستفهام فيهما، فلا خلاف بينهم في الاستفهام في الثاني، وكل على أصله في التحقيق والتسهيل والإدخال). والمدنيان هما: نافع وأبو جعفر، والمكي: ابن كثير، والشامي: ابن عامر.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾: أي: تُواقعونهم، وهو تفسير تلك الفاحشة.

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: قيل: أي: تقطعون طرق الناس وتأخذون أموالهم، وكانوا يفعلون كذلك.

وقيل: كانوا يفعلون[1] الفاحشة بمن مرَّ بهم من الغرباء، فكانوا لذلك لا يمرُّون بهم فينقطع الطريق لذلك.

وقيل: كانوا يَخْذفون المارَّة بالحصى، فكان الناس يمتنعون من المرور بهم.

وقال الفرَّاء: وتقطعون سبيل الولد لتعطيلكم النساء[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾: قال السدي: كانوا يَخْذِفون بالحصى مَن مرَّ بهم[3].

وقال مجاهد: كانوا يأتون الذُّكران مجاهرةً[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الضُّراط[5].

وقيل: هو كلُّ فعلٍ قبيح يجاهِر به[6] أهلُ المجون والذين لا حياءَ لهم.

---

(١) في (أ) و(ف): «يأتون».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٠). وروي مرفوعاً، رواه الترمذي (٣١٩٠) وحسنه، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٦١) وصححه، من حديث أم هانئ رضي الله عنها. وفي إسناده أبو صالح مولى أمِّ هانيء ـ واسمه باذام، ويقال: باذان ـ وهو ضعيف كما في «التقريب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩١).

(٥) لم أجده عن ابن عباس، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٤)، من قول عائشة رضي الله عنها. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٤ ـ ٣٠٥٥) من قول القاسم بن محمد.

(٦) في (ف): «مجاهر به»، وفي (ر): «مجاهرة به فعل».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال[١]: هو الخذفُ بالحصى، والرميُ بالبندق، وفرقعةُ الأصابع، ومضغُ العِلك، وحلُّ الأزرار والإزار[٢]، وفحشُ المزاح[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: وهو غايةُ وقاحتهم وعنادهم.

* * *

(٣٠ - ٣١) - ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٣٠ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: سأل الله أن يمنع أذاهم عنه، وأن يُنزل العذاب عليهم، فاستجاب الله ذلك له بما ذكر بعده.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾: أي: الملائكة المرسلون جبريلُ وجماعة من الملائكة ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق، ويعقوبَ بعده منه؛ أي: من إسحاق[٤].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: وهي قرية قوم لوط؛ أي: نهلكُهم، فقد أمرَنا الله بذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: أي: هم متقادمو الكفر والمعاصي.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «وقال ابن عباس رضي الله عنهما».

(٢) «والإزار» من (أ).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٥٠).

(٤) «منه أي من إسحاق» من (أ).

(٣٢) ـ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ﴾: أي: قال إبراهيم أتهلكونهم وفيها لوط.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ﴾: أي: ليس يخفَى علينا ذلك أن فيها لوطاً ومؤمنين معه، أعلمنا الله تعالى بذلك، فلَنا العلم به حقيقةٌ وغيرُنا من البشر مَن علمهم كذلك فإنما ينبني على الظاهر دون الحقيقة فنحن أعلم منه.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: لنأمرنَّ لوطاً أن يخرج مع مَن معه من المؤمنين من القرية بأمر الله إيانا بذلك، فيخرج فينجو بذلك مما يحلُّ بقومه[1].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: أي: الباقين في الهلاك.

وقال أبو عبيدة: يعني: من الذين طالت أعمارهم فبقيت بعد موت الأتراب ثم أهلكت[2].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾: أي: لمَّا جاء هؤلاء الملائكة لوطاً ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم؛ أي: أحزنه.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: قال في «ديوان الأدب»: الذَّرْع قَدْرُ الرجل الذي يبلغُه[3].

---

(١) في هامش (ف): «بالقرية. نسخة».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١٨) و(٢/ ١١٥).

(٣) انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١١٦).

وقوله: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾؛ أي: ضاق قلبُه ولم يحتمل ذلك وُسْعُه، وذلك لأنه لم يعلم أنهم ملائكةٌ فظنَّ أنهم غرباءُ ضافُوه، وخاف عليهم من قومه ما كان[1] يكون منهم بالغرباء من الفاحشة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾: أي: لا تخَفْ علينا من وصولهم إلينا، ولا تحزنْ ولا تهتمَّ من ظهور حالٍ يحزنُك بسببنا من الفضيحة، وأَظهَروا أنهم ملائكة أُرسلوا لإنجائه وإهلاك قومه ـ كما ذكر في سورة أخرى ـ:

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾: أي: إنا ننجِّيك وننجِّي أهلك، ونصَبه بهذا التقدير ولم يخفض عطفاً على الكاف المخفوضة بالإضافة؛ لأن المكنيَّ المخفوض لا يَحسُنُ العطف عليه إلا بإعادة الخافض، على ما مر في قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١][2].

﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: أي: الباقين في الهلاك.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: عذاباً، وهو إمطار الحجارة.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي: بفسقهم المتقادِم.

---

(١) «كان» من (أ).

(٢) وهذا الشرط الذي هو إعادة الخافض عند العطف مردود بقراءة حمزة: (والأرحامِ) بالكسر، وللعلماء في هذا كلام طويل، وردود على مَن قال بالشرط المذكور، وينظر في ذلك ما قاله أبو حيان والآلوسي عند تفسير الآية المذكورة في سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: قال قتادة: هي الحجارةُ التي أُمطرت عليهم(١)، ما من أحدٍ مرَّ منهم(٢) من المدينة إلى الشام إلا رآها في قرية سدوم.

وقيل: هو عفو آثارهم مع ظهور هلاكهم، يقول: ولقد ألقينا في قرية قومِ لوط علامةً واضحة على قدرتنا وعلى انتقامنا من أعدائنا لأوليائنا ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الآيات فيتدبرونها.

وقال الحسن: إن ملكاً موكَّلاً بالأرض، فإذا أراد الله أن يخسف بأرض ناداه جبريل باسمه، فيقول: لبيك، فيقول جبريل: أَرْخِ أرض كذا وكذا، فإذا هو لا يمسكها بشيء فيُخسَف بها، فلما أراد الله أن يخسف بقوم لوط ناداه جبريل: أن ارفعها إليَّ، فرفعها إليه حتى جعلها على جناحي جبريل، حتى سمع أهل السماء صياحَ الدجاج ونباح الكلاب ثم قلبها، ثم نادى ملَكَ المطر: عليَّ بالسحاب، فجاء بالسحاب فيها الحجارةُ، فأمطرها على مَن كان خارجاً من القرية وعلى مَن كان في القرية، ثم قال: كذلك قال رسولُ الله عليه السلام(٣).

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق «تفسيره» (٢٢٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٨).

(٢) «مر منهم» من (ر).

(٣) من قوله: «وقال الحسن...» إلى هنا من (أ). ولم أجده عن الحسن، وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: عطف على قوله: ﴿نُوحًا﴾.

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: وحِّدوا الله وأطيعوه.

﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾: قال الحسن: أي: صدِّقوا به، ومعناه: أنهم كانوا لا يصدِّقون به فلا يرجون كونَه، فكأنه قال: وارجوا كونَه.

وقيل: معناه: فاعملوا الصالحات راجين ثوابه في الآخرة.

وقيل: أي: خافوا عذاب الله يوم القيامة على المعاصي فلا تعصُوه، والرجاء يقع على الأمل والخوف جميعاً على ما مر[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي: ولا تبالغوا في الإفساد في الأرض بالكفر والمعاصي؛ من نقص الكيل والوزن[2] وغير ذلك.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: أي: الزلزلة التي أصابتهم يوم الظلَّة، رجَفَتْ[3] بهم الأرض مع أخذِ الحر فهلكوا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾: أي: بلدهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾: ميتين لاصقينَ بالأرض. وقال أبو عبيدة وقتادة: ساقطين بعضهم على بعض[4].

وقيل: جاثمين على الركب.

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾.

(٢) في (ف): «الكيل والميزان»، وفي (ر): «كيل أو وزن».

(٣) في (ر): «وجفت».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١٨) و(٢/ ١١٦). وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٠٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٠)، عن قتادة قوله: (ميتين).

(٨) ـ ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ ﴾: قيل: عطف على الهاء والميم في قوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ﴾.

وقيل: أضمر قوله: وأهلكنا.

وقيل: أي: واذكر عاداً وثمودَ.

وقال الكسائي: يرجع هذا إلى أول السورة: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ وفتنَّا عاداً وثمود.

وقوله تعالى: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ﴾: كيف خرَّبها الله تعالى وأخلاها عن أهلها؛ كما قال: ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: الكفرَ والمعاصيَ بالوسوسة.

﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: صرفهم بالدعوة عن الطريق المستقيم، وهو الدِّين الحق.

﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾: قال قتادة: أي: صاروا ذوي بصائرَ في دينهم عند أنفسهم لعُجْبهم بضلالتهم(١).

وقال مجاهد: وكانوا ذوي بصائر يمكنهم تمييز الحق من الباطل، ولكنهم أغفلوا ولم يستعملوا بصائرهم(٢).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٠)، عن قتادة بلفظ: (﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ في ضلالتهم معجبين بها). وروى الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله: (كانوا مستبصرين في دينهم).

(٢) ذكره بنحوه دون نسبة الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٢٢٧)، والنحاس في «إعراب =

(٣٩) ـ ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾: عطف على قوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾.

وقيل: فصدَّهم وصدَّ قارونَ وكذا.

قوله تعالى[1]: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالترؤُّس على أهلها واستعبادِ ضعفائها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾: أي: فائتين أَخْذَنا.

* * *

(٤٠) ـ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾: أي: فأخَذْنا كلًّا مِن هؤلاء بكفره ومعصيته.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: حجارةً كقوم لوط.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: كقوم صالح.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: كقارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾: بالطوفان كقوم نوحٍ، وبالبحر كفرعون وقومه.

= القرآن» (٣/ ١٧٤)، أما مجاهد فروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٠)، عنه قوله: (﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ في الضلالة). وهو شبيه بما رويناه عن قتادة.

(١) «وكذا قوله تعالى» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ليعاقبَهم من غيرِ ذنبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالمعاصي المنزلةِ بهم الهلاكَ.

* * *

(٤١) - ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾: أي: مَثَلُ مَن أشركَ بالله الأوثانَ وتولَّاها في ضَعْف احتيالهم وسوءِ اختيارهم كمثَل العنكبوت حيث ابتنَتْ لنفسها[1] بيتاً، وإن ذلك البيت لا يكنُّ من حرٍّ ولا بردٍ، ولا يَقي ما تقي البيوتُ، فكذلك أوثانُ هؤلاء لا تنفعُهم ولا تغني عنهم في الدارين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: أي: واعتمادُهم على الأوثان أضعفُ شيء لو كانوا يرجعون إلى علمٍ.

والعنكبوت مؤنَّثةٌ في الآية، وقد ذكرها بعض الشعراء فقال:

علـى هَطَّالِهـم منهـم بيـوتٌ كأنَّ العنكبـوتَ هـو ابْتَناهـا[2]

* * *

(٤٢ - ٤٣) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾: قرأ أبو عمرو

(١) في (ر): «حين أثبتت لها».

(٢) البيت في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٧)، و«الصحاح» (مادة: هطل)، وفيه: الهطَّال اسم جبل.

وعاصم في رواية[١] بياء المغايبة، والباقون بتاء الخطاب[٢]؛ أي: إن الله يعلم ما يعبدون من دونه من صنمٍ أو ملَكٍ أو جنٍّ أو شيطان.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا شريك له ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في ترك المعاجلة بالعقوبة.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: أي: هذا المثلُ وسائر الأمثال نبيِّنها للناس ونذكِّر[٣].

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: أي: وما يفهمها ويعرف حقائقها إلا أولو العلم الذين يضعون الأشياء مواضعها، فأما مَن ألِفَ الجهل وترَكَ التدبُّر فما يَنتفِع بها انتفاعَ مَن يَعقِل.

فإن قيل: لِمَ لمْ يقل وما يعلمها إلا العاقلون، والعقل يسبق العلم؟

قلنا: لأن العقل آلةٌ يُستدرك بها معاني الأشياء بالتأمُّل فيها، ولا يمكن التأمُّل فيها والوصول إليها بطريقها إلا بالعلم، ودلَّت الآية على فضل العلم على العقل، ولا عالم منَّا إلا وهو عاقل وأما العاقل فقد يكون غير عالم.

* * *

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: لم يخلقها باطلاً ولا جُزافاً، بل بحكمةٍ بالغةٍ وهو الامتحان، ثم ذلك يقتضي داراً أخرى للحساب والجزاء على الأعمال.

---

(١) في (أ): «قرأ أهل البصرة وعاصم غير الأعشى يدعون».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤)، عن أبي عمرو وعاصم.

(٣) في (ر) و(ف): «تنبيهاً للناس وتذكيراً».

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: أي: لدلالةً على قدرة الله تعالى وربوبيَّته وحكمته.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: والدلالةُ للكل، لكن انتفَع بها المؤمنون فأُضيفت إليهم.

وقيل: ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: لحجةً للمؤمنين على الكافرين في التوحيد والإسلام.

وقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: تقرُّباً إلى الله تعالى بقراءةِ كلامه، ولِتَقفَ على ما أمر الله تعالى به ونهى عنه فيه[1]، وعلى ما يعامَلُ به الكفار.

وقيل: أي: اتلُ على الكفار وأنذرهم به وادعُهم إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: إذا فرغْتَ من إنذارهم به.

وقيل: دُمْ على تلاوة الكتاب وإقامةِ الصلوات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾: أي: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تشتمِل على قراءة القرآن، وفيه الوعظُ والوعيد والوعد، وذلك مانعٌ[2] ﴿عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ أي: الفعلةِ القبيحة ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ أي: ما يُنكره العقل والشرع.

والنهيُ يكون بالقول، ولكن هذا مجازٌ عن المنع، ولأن الصلاة تشغَلُ المصلي عن ذلك كلِّه، فإن المصليَ يناجي ربه فإذا أراد أن يعطيَ الصلاة حقَّها وجب عليه أن يُقبلَ عليه بقلبه ويُشعرَ قلبه الخشيةَ لله والمراقبةَ له، وذلك يمنعه عن المعاصي بعدها.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قيل للنبي ﷺ: إن فلاناً يصلي الليلَ كلَّه فإذا أصبح سرق، قال: «سينهاه ما تقول»[3].

---

(١) «فيه» من (أ).

(٢) في (أ): «يمنعه»، وفي (ف): «لمنعه».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٧٧٨)، والبزار (٧٢٠ ـ كشف)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٨): رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح.

وقال أبو عون[١]: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ﴾ قال: إذا كنتَ في صلاةٍ فأنت في معروفٍ وطاعةٍ وقد حجزَتْك عن الفحشاء والمنكر[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إقامةُ الصلاة: إتمام وضوئها وقيامها وركوعها وسجودها وقراءتها، ومراعاةُ السُّنن فيها[٣]، فمَن كان هكذا مواظباً على هذا يرجو ثوابَها نهتْه ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: الزنا والقبيح من الأعمال ﴿وَ﴾عن ﴿المنكرِ﴾: البغي والظلم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لم يُطِع الصلاة، ومَن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد أطاع الصلاة»[٤].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أيما[٥] صلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً[٦].

---

(١) في (أ): «ابن عوف»، وفي (ر) و(ف): «ابن عون». والصواب المثبت. وهو أبو عون الأنصاري الشامي الأعور، واسمه عبد الله بن أبي عبد الله. من رجال «التهذيب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦). وفي إسناده جويبر بن سعيد وهو متروك.

(٥) في (أ): «قال النبي عليه السلام أيما».

(٦) لم أجده عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٥٤) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٢٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٤٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

=

وقال بعض أهل المعرفة: معناه: إن الصلاة الخالصة لله تنهَى عن الرياء والعُجب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: قيل: ولذكرُ الله جلَّ جلالُه بتلاوةِ القرآن والأذكار في الصلاة أكبرُ من كلِّ شيء.

وقيل: ولذكر الله في الصلاة بالقرآن أفضلُ من ذكره بغيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه[1].

وقال عبد الله بن ربيعة: قال لي ابن عباس: أرأيتَ قول الله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فقلت: ذكر الله بالقرآن وبالصلاة وبالتسبيح وبالتكبير حسنٌ، وأفضل من ذلك كلِّه إذا ذكر الرجل ربه عند المعصية فانحجز عنها، قال: لقد قلتَ قولاً عجباً، وما هو كما قلتَ، ولكن ذكرُ الله إياكم أكبر من ذكركم إياه[2].

وقيل: يتصل هذا بقوله: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ أي: ولذكر الله بقلبه عند الهم بالفحشاء والمنكر، والكفُّ عن ذلك أكبرُ من كل عمل.

وقيل: ولذكر الله في الصلاة أكبر من أفعالها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: أي: ما تعملون من الصلاة وغير ذلك،

= قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٤): (أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطّاعة والمعصية» من حديث الحسن مرسلاً بإسناد صحيح، ورواه الطبراني وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عَبَّاس بإسناد لين، والطَّبرانيّ من قول ابن مسعود: من لم تأمره صلاته بالمعروف وتَنْهَه عن المُنكر لم يَزْدَدْ من الله إلّا بعدا. وإسناده صحيح).

(١) انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٧).

والتعظيم فيها وترك التعظيم، وهو حثٌّ على الطاعات والإخلاصِ فيها ونهيٌ عن المعاصي والرياء في الصلاة[١].

***

(٤٦) ـ ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: أمره بمحاجَّة المشركين بما مرَّ، وبمجادلة أهل الكتاب بالأحسن[٢]، فقال: ولا تخاصموا أهل الكتاب في الدِّين إلا بالجهة التي هي أحسنُ من غيرها، وهو الدعاء إلى الله تعالى بآياته والتنبيهِ على حججه، على سبيل النصح والرفق وتصويرِ الحق بأحسن الصور على وجهٍ يُرجى به ميلُهم إلى الإسلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في وفد نجران: السيدِ والعاقب وذريتِهم[٣]، وقد ذكرنا ذلك في سورة آل عمران[٤].

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: أي: الذين أصرُّوا على كفرهم وامتنعوا من إعطاء الجزية، فجادلوهم بالسيف ـ وهو الجدالُ بغيرِ الأحسن ـ حتى يُسْلموا أو يعطوا الجزية.

وقيل[٥]: يحتاج هؤلاء إلى المغالطة والتشديد، فيكون جدالاً بغير الأحسن.

---

(١) في (أ): «الطاعات».

(٢) في (ر): «أمره بمحاجَّة المشركين لما مرَّ، ونهاه عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالأحسن».

(٣) في (أ): «وذويهم».

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

(٥) في (أ): «وقد».

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: وهو القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾: وهو التوراة والإنجيل، وهو بيان مجادلةِ الأحسن؛ أي: قولوا لهم: كتابكم حكَمٌ بيننا وبينكم ككتابنا حكَمٌ علينا، وقد آمنا بالكتابين.

وقوله: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: منقادون، فقد اتَّفقنا على الله[1] الذي يستحق أن يُعبد ويطاع، وعلى الكتاب الذي أُنزل إليكم، فقد رضينا بحكمه كرضانا بحكم كتابنا، فلم يبق إلا الرجوع إلى قصة[2] الكتاب، فهلموا نرجعْ إليه فيما اختلفنا من نبوة نبينا محمدٍ ﷺ، وهو موصوف في كتابكم بصفاتٍ لا توجد إلا في محمد عليه السلام، فما بقي بعد هذا إلا العِنادُ، والمجادلةُ على هذا الوجه مجادلةٌ بالأحسن.

وقيل: معناه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلا بالجميل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: إلا مَن ظلم رجلاً بحق له قِبَله فأنه يؤخَذُ بذلك الحق ولو بالإغلاظ[3] له في القول.

وقيل: معناه ما روي في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا حدَّثكم أهل الكتاب عن كتابهم فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾»[4].

(٤٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) بعدها في (ف): «هو».

(٢) في (ف): «قضية».

(٣) في (أ): «ولو بإغلاظ».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري (٤٤٨٥)، لكن فيه: وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦].

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء المتقدمين فكذلك أنزلنا إليك القرآن وأمرناك أن تحاجَّهم به.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: أي: والذين آتيناهم الكتاب من قبلك من بني إسرائيل يؤمنون بهذا الكتاب؛ لإيمانهم بالأنبياء الذين بشَّروهم بك وبأمَّتك والكتابِ المنزلِ عليك.

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: أي: ومن أهل عصرك مِن بني إسرائيل مَن يؤمن به؛ كعبد الله بن سلَام وأصحابه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: أي: القرآنِ ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بالله وكتبه، فلا يَضيقنَّ صدرُك بكفر هؤلاء، فقد آمَن بك وبكتابك أولئك.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾: يدل على صحة كتابه ويقول: وما كنتَ تقرأ مِن قبل هذا الكتاب المنزل عليك كتاباً من الكتب المتقدمة فتكونَ قد وقفتَ بذلك على قصص الأولين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾: أي: وكنتَ لا تكتب كتاباً بيمينك(١) فتكونَ قد وجدتَ كتاباً من الكتب المتقدِّمة فنظرتَ فيه وحفظتَ القصص منه، بل كنتَ أميًّا في بلاد الأميين لا تقرأ ولا تكتب.

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أي: ولو كنتَ تتلو كتاباً أو تخطُّه لشكُّوا إذاً، وإذ لم يكن كذلك فلا وجهَ للارتياب في أنَّ ما تتلوه عليهم هو وحيٌ من السماء.

والمبطِلون: الكفار، وقيل: أهل الكتاب.

---

(١) «أي: وكنت لا تكتب كتاباً بيمينك» ليس في (أ).

وقيل: معناه: لو كنتَ تقرأ الكتب لقالوا: أخذ القصص منها، ولو كنت تخطُّه بيمينك لقالوا: نظَمْته وألَّفْته من عندك.

وقيل[١]: منعُ الخط والقراءة كان معجزةً له، وهما من الفضل لغيره، وقد أكرمه الله بذلك في آخر عمره، وروى مجالد عن[٢] عون بن عبد الله [عن أبيه] أنه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ[٣].

***

(٤٩) ـ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: أي: القرآن، و﴿بَلْ﴾

---

(١) في (أ): «وقالوا».

(٢) في (أ) و(ف): «مجاهد عن»، وليست في (ر)، والصواب المثبت، ومجالد هو ابن سعيد، وقال عنه الحافظ في «التقريب»: ليس بالقوي.

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٢)، وما بين معكوفتين منه. قال البيهقي: (هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين).

قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ٣٧٧): وممن ذهب إلى ذلك أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة، وحكاه عن السمناني، وصنف فيه كتاباً، وسبقه إليه ابن منية، ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسُب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه، ومعرفة الكتابة بعد أميته ﷺ لا ينافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم، وردّ بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح: «إنا أمةٌ أميةٌ لا نكتب ولا نحسب»، وقال: كل ما ورد في الحديث من قوله: كتب، فمعناه أمر بالكتابة كما يقال: كتب السلطان بكذا لفلان...) إلى آخر ما قال، وقد استوفى رحمه الله الكلام في هذه المسألة، واستوفينا في تحقيقنا له تخريج أحاديثه ومسائله وترجمة من ذكر من الأئمة فيه.

لردِّ ما سبق، وتقديره: ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون إنه سحر وشعر وكهانة ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾؛ أي: دلائلُ واضحات وحججٌ نيِّرات، يُعرَف بها دينُ الله وأحكامُه.

وقوله تعالى: ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: أي: هي كذلك في قلوب أصحابك العلماء يحفظونها ويعتقدونها، فمَن وصَفَه بغير هذه الصفة(١) فهو من أهل الجهل، فلا تبالِ بقوله.

وقيل: ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: بل محمدٌ ﷺ ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾؛ أي: رسولُ الله حقٌّ ظاهرُ الدليل، وجمع الآيات لوجوه:

أحدها: أنه عَلَمٌ(٢) على أشياءَ كثيرة من أمور الدِّين(٣)، فهو آيةٌ واحدة لذاته آياتٌ لمدلولاته، وهو كقوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] على قولِ مَن جعَل ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ تفسيراً لها وترجمةً عنها.

وقيل: كلُّ صفةٍ كانت آيةً، فكانت صفاتُه آياتٍ.

وقيل: كان(٤) من أولِ ما نشأ(٥) إلى آخر أمره آيات؛ لِمَا ذُكر من النور في وجه أبيه ما دام في صلبه، ثم في وجه أمه إذ وقع في رحمها، ثم من ضياء الليلة التي وُلد فيها، ثم مِن ظِلِّ السحاب الذي أظلَّه، وأمثالها، وهي كثيرةٌ.

﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾؛ أي: أوتوا منافع العلم؛ فهم الذين يعتقدونه ويصدقونه.

---

(١) في (ر) و(ف): «بغير هذا الوصف».

(٢) في (ف): «أعلم».

(٣) في (ر) و(ف): «الدنيا».

(٤) في (أ): «فكان»، وفي (ف): «وقال». بدل: «وقيل كان».

(٥) في (أ): «فشا».

وقيل: الذين أوتوا العلم: أهلُ الكتاب، وجدوه في كتبهم وعلِموه.

﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: بمحمدٍ ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أنفسَهم، وقيل: الواضعون التكذيبَ في غير موضعه.

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾: كآيات الأنبياء موسى وعيسى وغيرِهما؛ كفَلق[1] البحر، وإحياءِ الموتى، وإخراجِ الناقة من الصخرة.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: هو يأتي بها على ما يعلمه صلاحاً لكلِّ نبيٍّ ولكلِّ قومٍ، لا أملك أنا شيئاً منها.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: مخوِّف بالقرآن أن يأتيكم عذابٌ إذا أصرَرْتُم على شركِكم وعنادِكم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾: استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: لقد كفاهم ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهو معجزة[2] فهو آيةٌ كافية.

﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾: بلسانهم، ولقد تحدَّاهم[3] أن يأتوا بسورةٍ مثلِه فعجزوا.

وقرأ ابن كثير، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ، وحمزةُ والكسائي[4]: ﴿آيةٌ من ربه﴾،

(١) في (أ): «من فلق».

(٢) في (أ): «معجز».

(٣) في (ر) و(ف): «تحديتهم».

(٤) في (أ): «وحماد وحمزة والكسائي غير قتيبة وخلف لنفسه» بدل: «وحمزة والكسائي».

وقرأ الباقون: ﴿ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[(١)] لأنهم كانوا يقترحون آيات كما قال: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات، ومَن وحَّد فهو للجنس فيؤدِّي معنى الجمع، وهو كقوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: إن في ذلك الكتاب المنزل عليك لرحمةً وموعظةً لمن همَّتُه الإيمانُ بما قامت دلالتُه.

وقيل: هو متصلٌ بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ على تأويلِ مَن قال: لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم بما يُخبرون به من كتابهم، ثم[(٢)] قال: أولم يكفهم ما في القرآن[(٣)].

ورُوي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان في يده رقٌّ فيه شيءٌ مكتوبٌ[(٤)] من كتبهم، فقال النبي ﷺ: «ما هذا؟» قال: كتبتُه من كتبهم[(٥)] لأزدادَ علماً على علمي، فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ وقال: «أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكتِ اليهود والنصارى؟! كفى بقومٍ حُمقاً وضلالاً أن يرغبوا عما أتاهم به نبيهم إلى غيره» فأنزل الله هذه الآية[(٦)].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٢) «ثم» من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «ما في الأرض من القرآن».

(٤) «مكتوب» ليست في (ر).

(٥) في (أ): «كتابهم».

(٦) رواه الدارمي في «سننه» (٤٧٨)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٢)، عن يحيى بن جعدة قال: جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سَمِعُوه من اليهود، فقال رسول الله ﷺ: «كفى بقوم حمقاً..» الحديث، وهو مرسل، وليس فيه: «أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكتِ اليهود والنصارى؟!»، وهذه العبارة وردت في حديث آخر رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٣٢٣) (ط: الأميرية)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥١٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٤٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦)، من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف. ولفظه: «أمتهوّكون أنتم =

(٥٢) ـ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾: أي: شاهداً بصدقِ ما أدَّعيه[1] من الرسالة وإنزالِ القرآن عليَّ.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه شيء مما فيهما، وهذا وعيد لهم بتعريضٍ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾: بالجبت والطاغوت ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾؛ أي أشركوا به.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: قيل: الهالكون، وقيل: المغبونون؛ حُرِموا الجنة واستحقُّوا الخلود في النار.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: ولمَّا قال ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: بالعذاب، قالوا: متى هذا الوعد؟ وقال النضر بن الحارث: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، فنزل هذا: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، ونزل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، ونزل: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦].

= كما تهوّكت اليهود والنّصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيةً، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلّا اتّباعي».
وليس فيه ذكر نزول الآية.

(١) في (ر): «ادعيت».

قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: أي: إن لكلِّ عذابٍ يُنزله الله بالعصاة أجلاً معلوماً عنده لا يقدِّمه قبله ولا يؤخِّره بعده.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾: أي: العذاب ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقتِ مجيئه.

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: عجبٌ من جهلهم في استعجال العذاب وقد أعد الله لهم جهنم[1] وهي قد أحاطت بهم؛ أي: هم في المعنى كالمحصور فيها لا يجد مخرجاً.

وقيل: أي: ستحيط بهم في الآخرة لا محالةَ، فلا معنى لاستعجالهم في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: أي: مُحيطةٌ[2] بهم في[3] يومٍ يأتيهم ويغطِّيهم العذاب ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ومن[4] كلِّ جهاتهم، وهو كقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: قرأ نافع وأهل الكوفة بالياء ردًّا على قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة بأمر الله: هذا جزاء عملكم فذوقوه؛ أي: فقاسوه، وقرأ الباقون بالنون ردًّا على قوله: ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾[5].

---

(١) قوله: «عجب من جهلهم...» إلى هنا من (أ). والمراد: (تعجيب من جهلهم) لأنه سبحانه منزه عن أن ينسب إليه العجب.

(٢) في (ر): «يحيط».

(٣) «في» من (أ).

(٤) في (أ): «من» بدل: «﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ومن».

(٥) في (ر) و(ف): «قرأ ابن كثير وابن عامر بالنون ردًّا على قوله: ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾، وقرأ الباقون بالياء =

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾: أي: يا عبادي الذين آمنوا بي وبرسولي، وخالَفوا عشائرهم وقومهم، وخافوا الفتنة منهم وألَّا يصبروا على أذاهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾: أي: بلادي والمواضعَ التي[1] خلقتُها لمعاشِ خلقي كبيرةٌ لا تَضيق عنكم فهاجِروا إليها.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ لا ما يدعوكم إليه المشركون، ولا يَشُقَّنَّ عليكم احتمالُ الغربة لأجلي، فإن حياة الدنيا منقضية، والبلايا منتهية، ومرجعُكم إليَّ، وذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّ أَرۡضِي﴾؛ أي: أرضَ الجنة ﴿وَٰسِعَةٞ﴾، ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ حتى أُوتيكم ذلك.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: قرأ حمزة والكسائي وخلف[2]..

= ردًّا على قوله: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة بأمر الله تعالى: هذا جزاؤكم فذوقوه؛ أي: فقاسُوه». والمثبت من (أ)، وأهل الكوفة هم عاصم وحمزة والكسائي، وانظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(١) في (ر) و(ف): «أي الأرض التي».

(٢) في (أ): «حمزة وخلف»، وفي (ف): «حمزة والكسائي» وفي (ر): «ابن كثير والكسائي»، والمثبت من المصادر.

بالثاء المعجمة فوقها بثلاثٍ من الثَّواء، وهو[١] الإقامةُ، والإثواءُ تعديتُه، وقرأ الباقون بالتاء من التَّبْوئة وهي الإنزال[٢].

﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: وهي أعالي المنازل بها.

قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: من تحت أشجارها وقصورها المياه في الأنهار، وهي أنزه ما يكون.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: أي: ثبتوا على الإيمان مع الفتنة، وتحمَّلوا أذى الكفار ومفارقة الديار.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي: يعتمدون في أرزاقهم وجهادِ أعدائهم وكفايةِ أمورهم على ربهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: أي: وكم من ذاتِ حياةٍ تدبُّ على وجه الأرض ليس معها رزقُها مدَّخراً يرزقها الله تعالى كما يرزقكم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: الذي لا تخفى عليه الأصواتُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي أحاط علمُه بالخَفِيَّات.

نزلت في الذين أُمروا بالهجرة من المستضعَفين، فقالوا: كيف نهاجر إلى المدينة

---

(١) في (أ): «وهي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤)، عن حمزة والكسائي، و«النشر» (٢/ ٣٤٤) عن خلف.

وليس لنا بها دار ولا عِقار، ولا أحد يؤوينا ويطعمنا ويسقينا؟ فنزلت هذه الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يخبئ القُوتَ إلا الإنسان والفأرة والنملة.

* * *

(٦١) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾: أي: ولئن سألتَ هؤلاء المشركين: مَن خالقُ السماوات والأرض على كبرهما وسَعَتهما وكثرةِ عجائبهما، وما علَّق اللهُ تعالى بهما من قرارِ هذا العالم على كثرتهم، ومَن الذي صيَّر الشمس والقمر غيرَ ممتنعَين عما خلَقهما له من منافعِ العباد، وما علَّق بهما من أسباب المعاش؟ لأقرُّوا أن فاعل ذلك كلِّه هو اللهُ وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾: أي: فأين يُصرَفون، وإلى أين يذهبون عن الإخلاص له مع إقرارهم بهذا كلِّه، ومِن أين يجوز مع هذا أن يكون مَن عَبَد[1] خالقَ هذه الأشياء يعاقبُه الله تعالى بالتقتير عليه، ومَن أشركَ به غيرَه يُثيبه الله تعالى بالتوسيع عليه.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ﴾: أي: إن الله هو المستحِقُّ العبادة وحده، وهو الموسِّع للرزق على مَن يشاءُ وهو المضيِّق له والمعطي بقَدْر الكفاية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾: هو العليم بمصلحة كلِّ عبدٍ، فيعطي كلًّا ما فيه صلاحُه، قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: إنَّ مِن عبادي مَن لا يصلحُه إلا

---

(١) في جميع النسخ: «عند»، ولا يستقيم به السياق.

الفقرُ، ولو أغنيتُه لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي مَن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقَرْتُه لأفسده ذلك، أدبِّر أمور عبادي بعِلمي»(١).

ثم من تمام معنى الآية: أن الله هو يبسط الرزق ويَقْدِره، فلا يحملنكم خوفُ الفقر والضِّيق في الغربة على ترك الهجرة، فإن الله هو رازقكم أين كُنْتم.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: أي: فإذا كانوا مُقرِّين بأن فاعل ذلك هو الله، وهو القادر عليه وعلى كل شيء، أفلا يقدر على إغناء المؤمنين؟ قل: الحمد لله على ما أوضح لنا من الحجة، وبصَّرنا من العَمَاية (٢)، وأنقذنا من الجهالة.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾: أي: لا يتدبَّرون بما فيهم من العقول فيما يُريهم من الآيات ويُقيم من الدلالات، فصاروا بذلك كمَن لا يعقل ما يقال له ولا ما يقول.

وقيل: لا يعقلون ما يلزمهم بهذا الإقرار.

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

---

(١) رواه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٩٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) في (ف): «وبصرنا من الحماقة»، وفي (ر): «ونصرنا بالحماية».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: أي: ما[1] يعطيه الله تعالى لهؤلاء الأغنياء من السَّعة في دنياهم فليس هو في سرعة انقضائه إلا كاللهو، وهو الشيء الذي يَتلذذ به الإنسان فيُلهيه ويُفرحه ساعةً ثم ينقضي، وكاللعب الذي لا حقيقة له.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: أي: والدار الآخرة التي هي للثوابِ والعقاب ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[2]؛ أي: فيها الحياةُ الباقية؛ أي: هي الحياةُ في الحقيقة لأنها حياةٌ لا تنتغَّص[3] بانقضائها بالموت.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: أي: لو كان هؤلاء المشركون المفتخرون بالدنيا يعرفون حقائق الأشياء.

* * *

(٦٥) ـ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: أي: لأمرٍ من أمور المعاش، فأصابتهم شدة يخافون منها الغرق والهلاك ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: لا يَدينون في تلك الحالة أن شيئاً يفرج عنهم ذلك غيرَ الله وحده.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: فإذا خلَّصهم[4] من البحر إلى البر وأَمِنوا ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: عادوا إلى الشرك بالله.

* * *

(٦٦) ـ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «إنما».

(٢) في (أ): «لهي الحياة».

(٣) في (ف): «تنتقض».

(٤) في (أ): «خلصناهم».

وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي[١] بتسكين اللام: ﴿وَلْيَتَمَتَّعُوا﴾ على الأمر[٢]، وعلى هذا ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ يكون على صيغة الأمر وهو للتهديد؛ كما قال: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال: ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فدل على أنه للتهديد.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: يعني: في الآخرة إذا عُوقبوا على ذلك.

وقرأ الباقون بكسر اللام، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون على صيغة الأمر وتأويله ما مر، ويجوز أن يكون بمعنى (كي) ويتصل بقوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ كي يكفروا نعمتنا ويتمتَّعوا بالدنيا، وسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تعذيبهم وتدميرهم.

* * *

(٦٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: استفهام بمعنى التقرير ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾؛ أي: لهم ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾؛ أي: وسائرُ أهل بلاد العرب يُستلبون بالإغارة والسبي، إنعاماً مني على أهل الحرم وقد خلَّصتهم في البر كما خلَّصتهم في البحر، فكيف صاروا يشركون بي في البر ولا يشركون بي في البحر ويدعون لي مخلصين؟

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: بما يعبدونه من دون الله ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: وهو الرسول والكتاب، استفهام بمعنى التوبيخ.

---

(١) في (أ): «قرأ ابن كثير عن البزي من طريق الهاشمي وقالون عن نافع وحمزة والكسائي وخلف والشموني والبرجمي والخزار عن هبيرة» بدل: «وحمزة والكسائي».

(٢) وهي أيضا قراءة قالون، وقرأ باقي السبعة بكسر اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾: أي: لا أظلم منه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ استفهام بمعنى الإثبات.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا ﴾: أي: أعدائي، وقيل: الشيطان، وقيل: أنفسَهم.

﴿فِينَا ﴾؛ أي: لأجْلنا وفي طلب رضانا.

وقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾: أي: لنثبِّتنَّهم على الحق.

وقيل: لنوفِّقنَّهم سُبلَنا، وسبيلُ الله واحد وجُمع لذكر المجاهدين، فصار السبيل جمعاً لاجتماع السالكين.

وقال الداراني: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينَّهم إلى ما لم يعلموا(١).

وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السنَّة لنهدينَّهم سبل الجنة(٢).

وقال الواسطي: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم إلينا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: أي: حافظُهم وناصرُهم.

والحمد لله رب العالمين، اللهمَّ يا مستعان، أسألك الثبات على الإيمان، بحق

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٦٥)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠) بلفظ: (الذين يعملون بما يعلمون يهديهم ربّهم إلى ما لا يعلمون).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦).

كتابك الفرقان[١]، وآياتك والتبيان، وأياديك والإحسان، على أنبيائك وعلى أهل التوحيد والإيمان، احفظنا يا رحيم يا رحمن، عن المعاصي والطغيان، وعن شر الجن والإنس[٢] والشيطان، وأدخِلْنا بفضلك دار الجنان، وأَمِّنَّا من[٣] دركات النيران، مع الآباء والأمهات، والمؤمنين والمؤمنات، من الإخوة والأخوات، والأبرار والأصحاب والأقران، من الطغيان والعصيان، بحقِّ نبيِّك وخِيرتك من البَرِيَّة والإنسان[٤].

* * *

(١) في (ف): «القرآن».

(٢) في (ر): «والإنسان».

(٣) في (ف): «وآمنا عن».

(٤) من قوله: «والحمد لله رب العالمين...» إلى هنا ليس في (أ).